470

HARLEQUIN®

روايات أحلام

من يتحدى القدر

كاي ثورب

WWW.REWITY.COM
^RAYAHEEN^

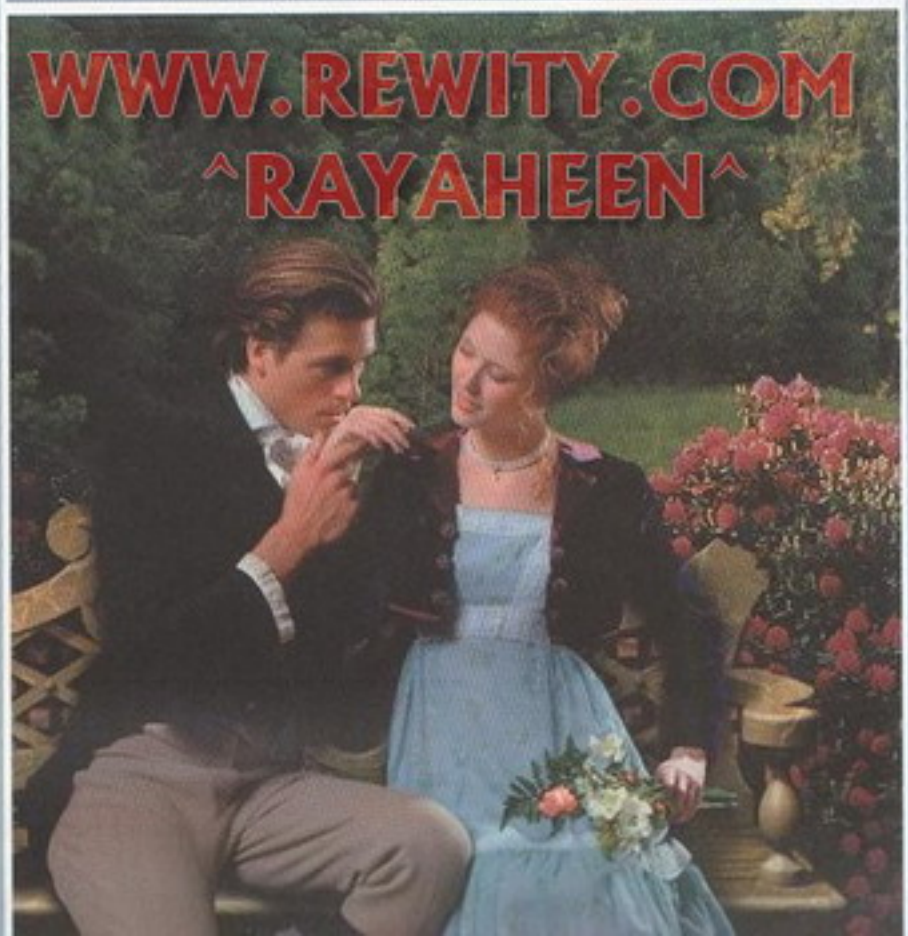

من يتحدى القدر

- أنت لا تمتلكني!
- يقال إن التملك هو تسعة أعشار القانون..

رفضت ليوني سابقا عرض فيدال الصاعق بالزواج بسبب غروره وبسبب علاقاته المتعددة بالنساء، وبسبب جاذبيته القوية، وهو أمر يجعلها ترتعد خوفا.

أما الآن، فقد عاد المليونير البرتغالي إلى حياتها، وهذه المرة هو متمسك بها. إنه يريد تصفية حسابات سابقة. ولم تجد ليوني أي خيار أمامها سوى التجاوب معه.

لكن فيدال لا يريد عشيقة، بل يريد الزواج. وهو عازم على الحصول على ليوني، بكل ما للكلمة من معنى.

WWW.REWITY.COM
TRAYTAREEN

لبنان	3000 ل.ل	البحرين	1 دينار
سوريا	100 ل.س	السعودية	10 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	8 جنيه
الكويت	750 فلس	المغرب	15 درهم
الإمارات	10 دراهم	تونس	2.50 دينار
قطر	10 ريال	عمان	1 ريال

ISBN 978-9953-15-487-9

كاي ثورب

ولدت في «شيفيلد» في العام ١٩٣٥، امتهنت أعمالاً متعددة بعد أن أنهت دراستها. بدأ تأليف الروايات بالنسبة إليها كهواية ثم أصبح نمط حياتها بعد أن تمت الموافقة على نشر روايتها الأولى سنة ١٩٦٨.

ألفت حتى الآن أكثر من ٥٠ رواية، وهي تعيش حالياً مع زوجها وابنها وكلبها وهرتها السوداء، في ضواحي «تشستر فيلد» في «دربيشاير». تتضمن هواياتها المطالعة والنزهات الطويلة والسفر.

١ - لا أريد عشيقة

على الأقل هو لم يرفض مقابلتها بالرغم من أنه يعرف حتماً سبب وجودها هنا. أبقت ليوني ملامح وجهها خالية من التعابير، إذ أدركت أن عيون الموظفين في الجوار تلاحقها بنظرات فضولية. لاشك أن غياب والدها المترافق مع وصول فيدال سوف يثير بعض الشكوك، لكنها لا تعتقد أن الحقيقة الكاملة باتت معروفة لدى الآخرين.

بدا منظر الرجل الذي خرج من المكتب الذي كان في السابق مكتب والد ليوني بعيداً جداً عن السرور. لا يمكنها أن تلومه لأنه تجنّب ملاقاة عينيها. لحسن الحظ أنه لم يفقد وظيفته بسبب عدم إدراكه لما يدور حوله. انتظرت ليوني أن يتم استدعاؤها إلى داخل الصومعة وهي تخشى لحظة المواجهة. مضت سنتان على آخر مرة رأت فيها الرجل الذي سوف تتوسله أن يرفق بوالدها. مضت سنتان على آخر مرة قالت له فيها إنه آخر رجل على وجه الأرض قد تفكر بالزواج به. إن كان هذا الرجل ما يزال يكنُّ لها الضغينة بسبب ذلك الأمر فليست أمامها فرصة كبرى بأن يتجاوب مع توسلها، لكن بالرغم من ذلك يجدر بها أن تحاول.

لاحظت ليوني أن المرأة الجالسة إلى المكتب الذي كانت تشغله عادة سكرتيرة والدها هي موظفة جديدة. نظرت المرأة نحو ليوني فيما سُمِعَ صوت هاتف الاتصال الداخلي، وبدا الفضول مرتسماً بوضوح في عينيها حين قالت: «يمكنك أن تدخلي الآن».

نهضت ليوني من مكانها وقومت كتفيها استعداداً للمواجهة القادمة. في الواقع، لن تستغرب أن تخرج من مكتب فيدال مجدداً خلال دقائق معدودة بعد

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

أن يطردها. لن يفاجئها إن طلب منها أن تغرب عن وجهه، فذلك ليس سوى حق من حقوقه.

راقبها فيدال باريلادوس سانتوس بصمت للحظة مطولة، فيما لم تكشف ملامح وجهه عما يجول في رأسه. اتكأ بشكل لا مبالٍ إلى إطار النافذة وهو يرتدي بذلة رسمية ذات لون رمادي يميل إلى الفضي.

قال بلغته الإنكليزية الممتازة: «تغيّرت قليلاً».

أشار إلى الكرسي الموضوع على جانب المكتب الواسع، وقال: «أرجوك، اجلسي!».

ردّت ليوني: «من الأفضل أن أبقى واقفة».

استنشقت نفساً ثابتاً، ولاقت عينيه الداكنتين مباشرة وهي تقول: «أظن أنني لست بحاجة إلى إطلاعك على شعوري تجاه ما فعله والدي، فهو... استغل ثقتك به، ويستحق أن يدفع الثمن».

حثها فيدال حين لاحظ ترددها قائلاً: «لكن...؟».

قالت ليوني: «لكن السجن قد يقتله».

رفع فيدال أحد حاجبيه السوداوين بتهكم، وقال: «ما الذي تقترحينه؟ هل أدعه ينجو بفعلته».

وضعت ليوني كل طاقتها في محاولتها الابقاء على رأسها ثابتاً، وقالت: «أنا فقط أطلب منك أن تمنحه بعض الوقت لكي يسوي الأوضاع مجدداً. هو قادر على تسديد كل ما يدين لك به من خلال رهن المنزل مجدداً».

- وكيف يمكنه أن يرتب أمر الرهن من دون أن تكون لديه وظيفة؟

علت وجه فيدال ابتسامة كادت تكون مرحة عندما فشلت ليوني في الإجابة، ثم تابع: «أتتوقعين مني أن أعيده إلى منصبه السابق أيضاً؟».

ردت ليوني: «لن يحظى بوظيفة أبداً إذا قمت بملاحقته قانونياً، ما يعني أنه لن يكون في موقف يسمح له بتسديد الديون المتوجبة عليه».

- أتعنين إن حرمته من أي فرصة تالية كي يتلاعب بالحسابات المصرفية؟

أدركت ليوني أنها ابتلعت الطعم بسرعة ووقعت في الفخ. قالت: «ذلك

يبدو منطقياً أكثر من زجّه في زنزانة».

درس فيدال ملامح وجهها اللطيف الجذاب الذي يؤطره شعرها الأحمر، ثم تابع تحديقه متعمداً على امتداد جسدها الطويل المتناسق قبل أن يرفع نظره مجدداً. أحنت ليوني ذقنها، وقد تألقت عيناها الخضراوان فيما لاقت عينيه مجدداً. ما يزال انجذابه نحوها قوياً كما عهدته في السابق، وذلك ما أبعدها عنه في ما مضى. هذا الرجل معتاد على الحصول على ما يرغب به، لذا فإن رفضها الزواج منه لاقى عدم التصديق الكامل من قبله في بادئ الأمر، تبع ذلك السخط البارد عندما أضافت ليوني الإهانة إلى جرحه بما قالته حينها، لكنه مع ذلك لم يفجر غضبه في وجه والدها في ذلك الحين.

سألها فيدال: «هل أرسلك والدك حتى تدافعي عن قضيته؟».

هزّت ليوني رأسها نفياً: «هذه فكرتي أنا. أنا لا أصفح عمّا فعله والدي، لكنني أكره رؤيته محتجزاً في السجن. أنا واثقة أنه لن يقوم بأي مقامرات أخرى بعد الآن».

ساد الصمت مطولاً، وتمنت ليوني لو أن بمقدورها أن تعرف ما الذي يجول في رأس ذلك الرجل الأسمر المتغطرس.

سألها فيدال بعد مدّة: «أتظنينه مستعداً لمتابعة عمله هنا نظراً إلى الظروف الحالية؟ حتى الآن لا يعرف حقيقة الأمر إلّا شخص واحد فقط، لكن من المحتمل أن يشك الآخرون بالموضوع».

انتبهت ليوني أنها تحبس أنفاسها فأطلقتها بتنهيدة حذرة، ثم قالت: «سوف يضطر إلى التعايش مع هذا الأمر. إنه جزء من الثمن الذي يجب أن يدفعه».

استقام فيدال في وقفته، وابتعد عن إطار النافذة بهيئته البرتغالية المليئة بالحيوية وطوله الذي يبلغ الست أقدام، ثم قال: «أنا بحاجة إلى بعض الوقت للتفكير بالأمر. سوف أعطيك جوابي هذه الليلة... في شقتي».

هزّ رأسه ما إن فتحت ليوني فمها لتعترض، فيما ظهر لمعان قاس في عينيه. تابع يقول: «الثامنة مساءً. إلا إذا كنت تفضلين تسوية المسألة هنا والآن».

علمت ليوني بالضبط ما الذي يعنيه بالتسوية التي سوف تواجهها عند

WWW.REWITY.COM KAYAHEEN

الساعة الثامنة. حسناً! لا جدوى من التوسل إليه. إن أرادت أن تحقق النجاح في ما تصبو إليه، فسوف تدفع الثمن بدورها.

لم تبذل ليوني أي مجهود لإخفاء امتعاضها فيما نظرت إليه وقالت: «حسناً! كان يفترض بي أن أتوقع هذا».

قوّم فيدال كتفيه العريضتين فيما بدت ملامحه قاسية عديمة الرحمة، ثم قال: «أظن أنني أستحق بعض التعويض، لكن الخيار يعود إليك بكامله».

استدارت ليوني من دون أن تتفوه بأي كلمة أخرى، وغادرت المكتب. اتجهت نحو المصعد من دون أن تلتفت يميناً أو يساراً.

هناك أمر واحد مؤكد: لن يجدد فيدال عرضه بالزواج منها هذه الليلة. سوف يبحث عن طريقة ليهينها تماماً كما أهانته هي منذ سنتين. مجرد تفكيرها بذلك جعلها تشعر بانقباض في أعماقها، لكن إن كان ذلك يعني بقاء والدها خارج السجن فسوف تضطر إلى التعايش مع الأمر.

في طريق عودتها إلى المنزل أخذت تفكر بالرجل الذي غادرت مكتبه للتو؛ فيدال باريلادوس سانتوس هو ظاهرة فريدة، فقد أصبح أحد أبرز الصناعيين الناجحين في أوروبا وهو ما يزال في الخامسة والثلاثين من عمره فقط، على الرغم من أنه كان بمقدوره أن يسير متباطئاً في دروب الحياة، فهو وريث عائلة ارستقراطية برتغالية. قابلته ليوني لأول مرة بعد أسابيع قليلة من تولي والدها منصب رئيس المحاسبة في شركته في لندن. لابد لها أن تقر بأنها شعرت بالانجذاب نحوه في بادئ الأمر، فقلة من النساء يمكنهن مقاومة مظهره الجذاب. إلّا أن افتراضه المتعجرف بأنه قادر على الحصول على أي امرأة يريدها ضايقها. أما ما سبب لها الصدمة فهو عرضه الزواج عليها. لم تقع ليوني فريسة أي أوهام، إذ أدركت أن كل ما يراه فيها وجلّ ما يشتهيه هو القشرة الخارجية فقط. إنه لا يعرف شيئاً عن الشخص الموجود في داخلها، كما أنه لا يريد معرفة شيء عن ذلك. فما إن يسأم منها حتى يتخلص منها كما يفعل بنسائه الأخريات. يومها لم يعرف والدها شيئاً عن عرضه الزواج بها. بعد أن توفيت والدتها منذ أربعة أعوام، لم يبد والد ليوني اهتمام بأي شيء

سوى العمل، أو هذا ما كانت تظنه. لم تعرف ليوني متى بدأت لديه مشكلة المقامرة، لكن يبدو أنها استمرت بما يكفي حتى تجعله يسلب أكثر من ثمانين ألف جنيه من أموال الشركة.

شعرت ليوني بالقلق على والدها. إن زجه فيدال في السجن فسوف تسوء صحته، وربما تخسره كما خسرت والدتها من قبل. إن كان تفادي ذلك يتطلب تضحية منها فهذا ما عليها أن تقوم به.

كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة حين وصلت ليوني إلى منزلها في تلال نورثوود، وهو المنزل الذي تتشارك به مع والدها. إنها في السادسة والعشرين من عمرها وتكسب راتباً محترماً، بحيث يمكنها أن تتحمل نفقات الحصول على منزل خاص بها، لكنها ترفض أن تنتقل إلى مكان أصغر، كما أنها لم تقوَ على على ترك والدها يعيش في المنزل وحيداً.

كان ستيوارت باكستر يجلس إلى منضدته في غرفة المكتب، يلعب بتكاسل باللعبة المخصصة للأشخاص الذين يمارسون وظيفة إدارية، وهي لعبة أهدته إياها ليوني لمناسبة عيد الميلاد الماضي. رفع نظره عندما دخلت، فيما بدت عيناه ذاويتين وتعابير وجهه ذابلة.

قال لها بكآبة: «لم أتبلغ أي شيء بعد. مازلت أتوقع وصول الشرطة في أي لحظة!».

بذلت ليوني الكثير من الجهد كي لا تبدو محبطة، فقالت: «قد لا يصل الأمر إلى هذا الحد... ذهبت لمقابلة فيدال. من الواضح أنه ليس مسروراً حيال الأمر، لكن هنالك فرصة بألّا يرفع دعوى قضائية بحقك، و... ربما سيبقيك في منصبك إذا ما تدبرت أمر تسديد المبلغ الذي أخذته».

حدق بها ستيوارت بصمت للحظة مطولة، فيما تلاحقت على وجهه مجموعة مختلفة من التعابير. أخيراً سألها: «كيف بحق السماء تدبرت ذلك؟ أنت بالكاد تعرفين الرجل!».

شبكت ليوني أناملها خلف ظهرها، وقالت: «توسلت إلى طبيعته الجيدة الطيبة».

- لم يعطني أي انطباع بأنه يمتلك طبيعة كهذه عندما قابلته يوم أمس.

توقف ستيوارت مجدداً عن الكلام، ثم قال: «ما الذي قلته له بالتحديد؟».

- أكدت له أنك مستعد لأن تقطع أناملك بنفسك قبل المخاطرة بالمقامرة مجدداً. أنت لن تفعل ذلك من جديد. أليس كذلك؟

ظهرت ابتسامة ملتوية على فم والدها، وقال: «تعلمت درساً قاسياً في هذا المجال. صدقيني!».

هزّ رأسه والابتسامة ما تزال بادية على وجهه، ثم قال: «هذا أكثر مما كان بمقدوري أن آمل به... أكثر مما يمكن لأي كان أن يأمل به!».

تردد ستيوارت قبل أن يضيف: «أفترض أن الجميع أصبحوا يعلمون بالأمر. أليس كذلك؟».

- شخص واحد فقط يعلم به. لكن لاشك أنه سيتم تبادل بعض الأحاديث بين الموظفين.

أضافت ليوني بجرأة: «على أي حال، مواجهة الثرثرة أفضل من دخول السجن. أليس كذلك؟».

هزّ والدها رأسه قائلاً: «نعم، بالطبع! لا تظني أنني لست ممتناً، فأنا بالكاد أصدق أنه لا يفكر بملاحقتي قانونياً، فما بالك بأن يبقيني في منصبي؟ هل أعطاك أي تلميح عن الوقت الذي ينوي فيه إعلامي بقراره هذا؟».

- أتوقع أن تعرف شيئاً مع حلول يوم غد.

تركت ليوني والدها ليفكر بالأمر، وتوجهت إلى غرفة نومها في الطابق العلوي. شعرت أنها بحاجة إلى البقاء بمفردها لبعض الوقت. يجدر بها أن تتمالك نفسها تماماً، وأن تركز على أمر واحد فقط هو إخراج والدها من الورطة التي أوقع نفسه فيها.

لا يمكنها أن تنكر الانجذاب الجسدي الذي تشعر به حيال فيدال. أحست بذلك الانجذاب ما إن وقعت عيناها عليه مجدداً. لطالما قرأت على صفحات المجلات أخباراً عن مغامراته العاطفية مع نساء مختلفات خلال السنتين الماضيتين، لكن أياً من تلك العلاقات لم تدم طويلاً. لو أنها كانت غبية بما

يكفي حتى تتزوج به، فمن المحتمل جداً أن تصبح واحدة منهن هي نفسها. أما الفارق الوحيد فهو أنها كانت ستحصل منه على أموال تكفي لجعلها تعيش في بحبوحة حتى آخر حياتها. ربما يعتبرها البعض غبية لعدم استغلالها تلك الفرصة التي سنحت لها في ذلك الحين.

لم تبذل ليوني أي مجهود في اختيار ملابسها لهذا المساء، فاختارت تنورة رمادية عادية مع قميص بيضاء. لن تسمح لنفسها بالتورط في أي عواطف بتاتاً مع فيدال، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي ستمكنها من تخطي المسألة.

حجزت لنفسها سيارة أجرة كي تقلها إلى المدينة مجدداً، فهي لم تشعر أنها في حالة تسمح لها بمواجهة رحلة أخرى بالقطار. من جهة أخرى، تركت الباب مفتوحاً أمام جميع الاحتمالات، فأخبرت والدها أنها سوف تلتقي صديقة لها، وأنها قد تمضي الليلة في شقتها.

توقفت سيارة الأجرة خارج مبنى المايفير الكبير الذي يشرفه فيدال بحضوره عندما يأتي إلى لندن، فهو يحتفظ بعدة أجنحة محجوزة باسمه في الفنادق الفخمة في عدد من المدن الهامة. يقع الجناح الذي يشغله في الطابق العلوي للمبنى، وهي تعرف رقم الجناح الخاص به، لذا تمكنت على الأقل من تجنّب السؤال عنه في مكتب الاستقبال. أحست كأنها امرأة مستهترة تسعى إلى جناح عشيقها الغني. على الرغم من أن ذلك ليس حقيقياً.

أخذت ليوني نفساً عميقاً قبل أن تقوم بقرع الباب. فتح فيدال الباب، وراقبها بعينين متفحصتين من تحت حاجبين مرفوعين فيما وقفت تنتظر هناك بصمت. لاحظت أنه يرتدي سروالاً وقميصاً عاديين، لكنه لم يبدُ أقل روعة مما بدا عليه قبل قليل. علق فيدال: «أنت دقيقة في مواعيدك. ادخلي!».

مع أن باب الجناح واسع بما فيه الكفاية، إلا أنها أحست أنه قريب جداً منها إلى درجة الازعاج عندما دخلت. وصلت ليوني إلى غرفة الجلوس الواسعة، وسرعان ما لاحظت أن الهندسة الداخلية للجناح تم تغييرها منذ زيارتها الأولى إلى هنا. شكلت الألوان المتناغمة الآن لجناح فيدال سيمفونية أنيقة من تدرجات اللونين الرمادي والأزرق المتمازجين، تتخللها بعض اللمسات

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

القرمزية. أما السجادة تحت قدميها فتمتد كبحر فضي ذي موج رمادي نحو النوافذ ذات الستائر الجميلة.

- تصميم جميل! لا شك أنهم يهتمون بك.

جاء ردّ فيدال الجاف بسرعة: «يجدر بهم أن يفعلوا ذلك، نظراً إلى ما يكلفني الجناح من مال. لكنك لم تجيئي إلى هنا لمناقشة أعمال الديكور».

- صحيح.

استدارت ليوني لتنظر مباشرة إلى عينيه، فيما تابعت: «أريد منك وعداً بأن تعيد والدي إلى عمله قبل أن نتحدث عن اتفاقنا نحن».

التوت إحدى شفتيه وهو يسألها: «أتصدقين وعدي بهذا الخصوص؟».

- نعم.

قالت ليوني ذلك آملة ألا تخطئ في تقييم تلك الناحية من شخصيته.

ازداد التواء شفته وقال: «أعدك بذلك إذاً. أترغبين باحتساء مشروب ما قبل أن نتناول الطعام؟».

بدت ليوني مصدومة للحظة، ثم قالت: «ظننت...».

- ظننت أن هناك شيئاً واحداً فقط يشغل ذهني؟

أنهى فيدال الكلام عنها، فيما ظهر الاستهزاء في عينيه الغامقتين. تابع: «قد تكون مساوئي كثيرة، لكنني لست فظاً أبداً».

سألته ليوني: «ماذا تسمي إذاً هذا... التدبير بأسره؟».

رد فيدال برباطة جأش: «مصالح متبادلة. ألا تظنين ذلك؟».

أحست كما لو أنها حيوان وقع في شرك الصياد. تبعت عيناها تحركات فيدال بصورة لا إرادية عبر الغرفة، فسجّلت تحركات جسده الرشيقة وعضلاته المتموجة التي ظهرت من تحت قميصه القطنية الرقيقة. فكرت ليوني، من المؤكد أنه يمارس التمارين الرياضية باستمرار كي يحافظ على هذا المظهر الرياضي.

جلست حيث أشار لها فيدال، أما هو فلم يقم بأية محاولة للجلوس قربها بل اختار كرسياً موضوعاً بشكل مائل، فوضع إحدى رجليه بشكل مريح فوق الأخرى

سألها: «ما الذي تقترحين أن نتكلم بشأنه ريثما ننتظر وصول عشائنا؟ أم لعلّه يفترض أن أبدأ أنا بفتح الحديث بما أنني المضيف؟».

ردّت ليوني: «أنا فعلاً لا آبه بأي حديث خارج إطار اتفاقنا».

قاومت لتحافظ على رباطة جأشها التي أخذت تهددها بالتلاشي.

- أخبريني إذاً، هل استمتعتِ برحلتك إلى باريس الشهر الماضي؟

اتسعت عينا ليوني الخضراوان في تساؤل ودهشة، وسألته: «كيف عرفت أنني زرت باريس الشهر الماضي؟».

أجابها فيدال من دون أن يرف له جفن: «جعلت من شأني معرفة كل تحركاتك خلال السنتين الماضيتين. أنا أعرف على سبيل المثال أنك الآن لست على علاقة جدية مع أي رجل، ولم تكن لديك أي علاقة أيضاً من قبل».

- هل تتجسس علي؟

بدت ليوني مصدومة جداً، فلم تقدر على الرد بغضب.

أمال فيدال رأسه، وقال: «أفضل أن أقول إنني مهتم بالموضوع. لو أنك تورطت مع أي شخص في علاقة غرامية لكانت تلك العلاقة قصيرة المدى على أي حال».

راح الغضب يغلي الآن داخل ليوني، ما جعلها تجلس على حافة مقعدها فيما بدت عيناها عاصفتين. قالت: «آه! فهمت. بما أنني بدوت لك متهورة طائشة إلى درجة جعلتني أرفض عرضك الزواج بي، فلا مجال لأن يُسمح لي بإيجاد شخص غيرك!».

لم تبدُ في نبرة فيدال أي نغمة اعتذار حين قال: «صحيح. هل ظننت حقاً أنني سوف أنسى بكل بساطة تلك الأشياء التي قلتها لي؟ هل أنا بحاجة لأن أذكرك بما قلته فعلاً؟».

عضّت ليوني على شفتها إذ عادت الذكرى بوضوح تام إلى ذهنها. لاشك أنها بالغت في كلامها لأنها أرادت أن تصدّ أي محاولة من قبله لإغوائها بالموافقة. إن أقل ما قالته له هو إنه آخر رجل على وجه الأرض قد تفكر بالزواج منه. حتى الآن ما زالت العبارات التي استخدمتها لقطع علاقتهما

تسبب لها الانقباض في داخلها.

قالت ليوني بتصلب: «حسناً! ربما بالغت قليلاً... أنا أقر بذلك. لكن ذلك لا يبرر ما تفعله. يُزج الناس في السجن في هذا البلد بسبب مطاردتهم للآخرين خفية».

هزّ فيدال كتفيه، وقال: «بما أنك أنت نفسك لم تلاحظي أنك تخضعين للمراقبة، أنا أشك أن اتهاماً مماثلاً قد يؤخذ على محمل الجد. على أي حال، السؤال لم يعد بذي أهمية الآن ما دامت هناك أساليب أخرى لتحقيق الانصاف أو التعويض».

ردت ليوني بجواب مفحم وسريع: «الكلمة الأفضل هي الثأر أو الانتقام. بالكاد يشكل ذلك هدفاً نبيلاً!».

- لكنه مُرضٍ.

سمعا قرعاً على الباب، فوقف فيدال على الفور قائلاً: «أعتقد أنه العشاء».

أدخل النادل عربة محمّلة بالطعام إلى الغرفة. بدا غير متطفّل بتحركاته، فنقل محتويات العربة إلى الطاولة الموضوعة في ناحية منعزلة مخصصة للطعام من دون أن يتفوه بكلمة واحدة. لكنه بدا مسروراً تماماً بحجم الإكرامية الذي ناوله إياها فيدال.

- تعالي لتتناول الطعام. أنت تحيين ثمار البحر إذا كنت أذكر جيداً.

إن آخر أمر ترغب به ليوني حالياً هو تناول الطعام، لكنها لن تجني شيئاً من الرفض. توجهت نحو الطاولة مارة بالقرب من الباب المؤدي إلى غرفة النوم في طريقها.

تساءلت عن عدد النساء اللواتي استقبلهن فيدال في هذه الغرفة، واللواتي حظين باهتمامه لفترات تطول أو تقصر بحسب مزاجه. أما التساؤل التالي فهو إلى أي حد يفكر بالذهاب في علاقته بها؟ ربما يريدها أن تكون صديقته في المرحلة القادمة، لكن لابد أن تنتهي المحنة في وقت ما. أما هي فجلّ ما ستسمح لنفسها أن تهتم لأمره، هو أن يعود والدها إلى سابق عهده ومساره المستقيم.

بدا الطعام ممتازاً، لكن ليوني أحست كما لو أنها تمضغ نشارة الخشب. لم

يفسح لها فيدال المجال لتحيد بنظرها عنه إلا لتتناول طعامها، ما جعلها تتناول الكثير منه. حتى إنه عبر لها بعد حين عن خشيته أن تصاب بالتخمة وتغفو أمامه.

سألته ليوني متعمدة، وهي ترسم ابتسامة مقتضبة على وجهها: «أنت في الواقع تقر بأن المرأة قد تغفو برفقتك. أليس كذلك؟».

- فقط تحت تأثير الأكل المفرط.

- لا أستطيع مجادلتك في ذلك بما أنك ماهر، واسع الخبرة في العلاقات العاطفية.

سخريتها تلك جعلته يبقى لبرهة من دون حراك، بعدئذٍ قال: «إذا فكرت بإزعاجي، فانسي الأمر. أنا أنوي أن أستمتع بكل لحظة من الوقت الذي سنمضيه سوياً».

عضت ليوني على شفتها مانعة نفسها من التفوه بملاحظة لاذعة. لكم تود أن تقسم على البقاء غير متأثرة به، إلّا أن طريقة تفاعل جسدها لمجرد وجودها بقربه جعل هذا الاحتمال غير وارد:

اختتم العشاء بموس الشكوكولا الذي تناولته ليوني بسرور فذاب في فمها بسلاسة، وبدا من المستحيل تقريباً ألا تستمتع به. راقبها فيدال من دون أي تعليق، ولم يبدِ أي إشارة عن نفاد الصبر. بدا موقفه إجمالاً كموقف رجل يشعر بالارتياح مع نفسه. تاقت ليوني لأن تتخلى عن ضبطها لأعصابها. لكن بما أن مصير والدها ما يزال متقلقلاً، يمكنها أن تتحمل المجازفة بأي شيء.

أخيراً انتهت ليوني من تناول الموس، فوضعت ملعقتها على الطاولة. راقبته عبر الطاولة العريضة بمشاعر متصارعة، مع ذلك شعرت بتأثر غريب في داخلها لا يمكن نكرانه، فاستنتجت بأسى أن قدرتها على السيطرة على الموقف ليست كما تصورتها من قبل.

قالت: «حسناً! دعنا نتفق على ما سوف نقوم به لاحقاً. أنا موافقة على أن أصبح صديقتك الحالية إذا ما التزمت بالشق المتعلق بك من الاتفاق. أما الآن، فكلما أسرعت بالخروج من هنا، كلما كان ذلك أفضل!».

شبك فيدال يديه خلف رأسه واتكأ إلى الوراء في كرسيه، فيما راح يراقبها وقد علت وجهه نظرة ساخرة. قال: «الوقت ليس مهماً. أمامنا الليل بطوله».

توقعت ليوني ذلك إلى حد كبير، لكن ذلك لا يعني أنها ستوافق على ذلك من دون اعتراض، فقالت: «إذا كان إذلالي هو ما تسعى إليه، فلست مضطراً إلى الوصول إلى هذا الحد. في الواقع، نجحت بذلك للتو».

هز فيدال رأسه، وقال: «أتقترحين أن أشعر بالاكتفاء وأترك الأمر هنا؟ انتظرت هذه اللحظة لفترة طويلة جداً. ويجدر بي أن أذكر ذلك. إذا كنت تأملين بأن تثنيني عما أريده بارتدائك ملابس تجعلك تشبهين السكرتيرات فأنت مخطئة. ملابسك الصارمة تجعلك أكثر جاذبية في نظري وتجعلني أرغب أكثر في ضمك بين ذراعي».

علمت ليوني أن شعورها بالإهانة هو شيء مضحك نظراً إلى الظروف الراهنة، لكنها كانت غاضبة جداً حتى إنها ما عادت تأبه، فقالت: «ليست لديك أي فكرة عن مقدار اشمئزازي من رغبتك هذه، فأنا لم أسمح للأمور بأن تصل إلى هذا الحد بيننا من قبل!».

ابتسم فيدال ببطء، فيما ظهر استمتاعه بارتباكها واضحاً. قال: «لست بحاجة إلى خبرة سابقة لأعرف أن بشرتك ناعمة كالحرير، وأن خصرك نحيل وأنك تملكين جسماً يترك تأثيراً قوياً في الرجل، أما...».

شعرت ليوني بخديها يحترقان. قالت: «توقف عن هذا! لست أرغب بسماع المزيد!».

- سوف تسمعين أكثر من هذا عزيزتي، فالكلام يشكل جزءاً مهماً من العلاقات العاطفية.

جاء رد ليوني لاذعاً وهي تقول: «أتسمي ما يجول في ذهنك. «عاطفياً»؟».

التوت شفتا فيدال مجدداً، ثم قال: «لو أنني كنت على الصورة التي يصورها لك ذهنك، لتمكنت من الحصول عليك بذلك الأسلوب قبل سنتين. كما قلت لك للتو، أنا أود أن نستمع إلى الموسيقى، ولعلنا سنتبادل العناق ونحن نرقص».

أمسكت ليوني لسانها، فهي لا ترغب بتعريض نفسها إلى المزيد من السخرية. مهما كانت نوايا فيدال، لا خيار أمامها سوى مجاراته.

حرص فيدال على جعل ليوني تجلس على الأريكة التي احتلتها قبل قليل. أدار جهاز الموسيقى المخفي في مكان ما، وسرعان ما غمرت الموسيقى الناعمة الغرفة. في تلك الأثناء أحضر لهما النادل الشاي المعطر، فأخذ فيدال الصينية ووضعها على الطاولة الصغيرة، فيما استقر هذه المرة في المقعد المجاور لها على الأريكة. نظر إليها بعد لحظة ولاحظ أنها ذابلة وتكاد تغفو هناك، فقال: «أحلاماً ممتعة!».

انتفضت ليوني على الفور قائلة: «آمل أن تراودك الكوابيس».

إلا أن ردها جاء بصوت واهن وهي ترسم ضحكة على وجهها. ناولها فيدال كوب الشاي وهو يقول: «سوف أعلمك بذلك في الصباح».

سألته ليوني بنبرة ملؤها السخط: «وهل تتوقع مني أن أبقى طيلة الليل؟».

- بالطبع! فأنا أتطلع قدماً إلى أن نتناول الفطور سوياً على الشرفة إذا سمح الطقس بذلك. لو أننا في البرتغال الآن، لما كان هنالك من شك في ذلك. شهر حزيران هو فترة مبهجة من السنة، فالهواء دافئ والأزهار تملأ الحقول، أما الأجواء برمتها فتوحي بالسلام والوفرة.

استرقت ليوني نظرة إلى صورته الجانبية المقولبة بحزم، تمهلت للحظات قصيرة جداً على انحناءة فمه الأنيق، ثم عادت وجذبت اهتمامها نحو الكوب الذي تحمله بيدها. لم تشعر برغبة في تناول الشاي، ومع هذا رفعت الكوب إلى شفتيها وابتلعت نصف محتواه بجرعة واحدة. أحست على الفور بالسخونة تنتشر في جسدها كألسنة من النيران.

علّق قائلاً: «الهدف من احتساء الشاي المعطر هو أن يتلذذ المرء بنكهته لا أن يفرغ محتوى الكوب في حلقه مباشرة، أم أنك ببساطة تبحثين عن الشجاعة؟».

ردّت ليوني بمشاكسة: «لماذا؟ أنا لست خائفة منك».

علق فيدال: «على الأرجح أنه خوفك من نفسك. أنت تشعرين بالانجذاب

WWW.REWITY.COM BAYAHEEN

إلي ولطالما شعرت بذلك، لكنك لا تستطيعين الإقرار بالأمر».

وضع إحدى أنامله على فمها عندما حاولت أن تتكلم، وتابع قائلاً: «لا شكوك. سوف أجعلك تنطقين بالكلمات قبل نهاية السهرة».

- أفضل أن أقطع لساني قبل أن يحصل ذلك!

قاومت كي تحتفظ بغريزة المقاومة لديها. إلا أن لمسته حركت أحاسيسها، لا مجال لنكران ذلك.

في اللحظة التالية حرك فيدال إصبعه، فمرره برفق على امتداد خط فكها، ثم صعوداً إلى خلف أذنها. تطلّب الأمر كل ما لديها من قوة حتى تمنع نفسها من الاقتراب منه والجلوس هناك بوجه خال من التعابير وهي تحدق بنظرته السوداء.

قال فيدال ملاحظاً: «أنت امرأة تتمتع بقوة إرادة معتبرة، لكنك لست منيعة لا تقهرين».

أبعد فيدال إصبعه عن وجهها، ثم نهض على قدميه وقال: «تعالي!».

نهضت ليوني، وما لبث فيدال أن أدارها حول نفسها لكي يدفعها أمامه بعيداً عن الأريكة والطاولة. أصبح نغم الموسيقى رقيقاً وأكثر نعومة، فأدارها فيدال مجدداً، لكن هذه المرة نحو ذراعيه. انزلقت يداه خلف ظهرها حتى يمسكها بقربه. أحست بأنفاسه دافئة على خدها، وملأت منخريها رائحة عطره الرجولية الرقيقة فيما بدأ يتحرك بإيقاع بطيء مع النغم. تسلل الخدر إلى أنحاء جسمها عندما احتك بصدره الصلب، فدبت فيه الحياة. لابد أنه يشعر بردة فعلها هذه، لا يمكن أن يفشل في الاحساس بها.

غمغم فيدال بصوت خافت: «جيد».

حرك يديه على ظهرها، ثم قربها منه وعانقها. مرت لحظات وربما دقائق لم تشعر خلالها بمرور الزمن كما لو أن هذا الأخير توقف. بعدئذٍ قطع فيدال العناق وغمغم: «كم أنت رائعة!».

لم تبدِ ليوني أي مقاومة عندما قادها مجدداً عبر الغرفة نحو الأريكة. كانت الأنوار المجاورة للأريكة على الجانبين مضاءة، فألقت توهجاً دافئاً على المكان،

فيما أطفأ فيدال بقية الأنوار تاركاً ما تبقى من الغرفة في عتمة جزئية.

تناول فيدال وجهها بين يديه، متمعناً في ملامحها كما لو أنه أراد أن يحفظها في ذاكرته. بدت عيناه كبركتين غامقتين، وبدت لمساته ناعمة رقيقة بشكل غير متوقع. عانقها من جديد عناقاً شغوفاً لطيفاً، فشعرت أن أحاسيسها بدأت تطفو وأن قوة إرادتها بدأت تلين شيئاً فشيئاً. طرأت في بالها فكرة بأنها لو أرادته أن يتوقف عليها أن تقول له ذلك الآن قبل أن تضيع تماماً. شدها نحوه أكثر ليزداد عناقه عمقاً، فشهقت ليوني بسبب الأحاسيس الغامرة التي اجتاحتها...

شعرت ليوني بالصدمة عندما دفعها فيدال بعيداً عنه. اتسعت عيناها بقوة، وحدقت به بتساؤل صامت. فجأة قال لها بفظاظة: «يا إلهي! أنا آسف».

ابتعدت ليوني عنه وهي تلملم شتات نفسها. إن كان هدفه أن يثير مشاعرها ثم يرفضها كما رفضته هي من قبل، فقد نجح تماماً. لكن... ماذا لو كان قد غيّر رأيه بخصوص الأمر برمته؟

سألته ليوني: «أهذا هو أسلوبك في إبلاغي بأن الاتفاق ملغى؟».

هزّ فيدال رأسه فيما بدا وجهه خالياً من التعابير مجدداً، ثم قال: «بل هنالك تغيير في المخطط. أنا لا أستطيع الاكتفاء بصداقتك لفترة وجيزة فقط. عندما أعود إلى البرتغال سترافقينني».

أخيراً وجدت ليوني صوتها، وأدهشها ثباته حين قالت: «أتظن فعلاً بأنني سأوافق على أن أصبح عشيقتك؟».

أطلق ضحكة قصيرة، ثم قال: «إذاً هنالك حدود لمدى التضحية التي يمكنك بذلها من أجل والدك؟».

ومضَ شيء ما في أعماق عيني فيدال الغامقتين وهو يضيف: «أنا لا أريد عشيقة. منذ سنتين طلبت منك الزواج بي، أما اليوم فأنا آمرك بذلك».

٢ - أنت لا تكرهينني!

حدقت ليوني بفيدال وهي تشعر بالذهول، وحين وجدت صوتها بدا كأنه قادم من أعماق بئر. قالت: «لا يمكن أن تكون جدياً!».

أكدّ لها فيدال بقوة: «لم أكن يوماً أكثر جدية. حاولت طوال سنتين أن أخرجك من ذهني، ولطالما قلت لنفسي إن ما من امرأة تستحق أن أفقد القدرة على النوم لأجلها، لكن ذلك لم يجدِ نفعاً. عرضت عليك أمراً لم أعرضه على أي امرأة غيرك، لكنك رفضت طلبي ورميته في وجهي كما لو أنه إهانة ما. أما الآن فالفرصة سانحة أمامي حتى أجعلك تأكلين كلماتك».

توقف برهة وجيزة، ثم تابع: «الخيار النهائي سيبقى لك أنت».

أجابته ليوني وهي غير غافلة عما يقصده: «إنك تطلب مني الكثير».

علق فيدال من دون أن يتحرك: «ليس أكثر من طلبك مني بأن أستمر في توظيف الرجل الذي سرق مني المال. بالطبع، يمكنك أن تسمحي له أن يتخذ القرار بنفسه».

علمت ليوني أن لا مجال لذلك على الإطلاق، فوالدها سوف ينهار لو عرف ما تواجهه ابنته الآن.

وقف فيدال بحركة مفاجئة، فقال: «سوف أدعك لتفكري بالأمر».

غرقت ليوني أكثر في الأريكة، فيما خرج فيدال من الغرفة وأغلق الباب خلفه. في هذه الأثناء شعرت أن أعصابها ممزقة. إن أي توسل سوف يكون هدراً للوقت. لكن... الزواج منه! كيف عساها تستطيع القيام بذلك، لاسيما أنه يعرضه عليها بروح الانتقام بسبب الإهانات السابقة التي قذفته بها.

فيدال محق بشأن أمر واحد: شعرت بالانجذاب نحوه منذ سنتين ماضيتين،

وما زالت كذلك الآن. إن مقتها وكرهها لشخصه لم يتركا أي تأثير على أحاسيسها. أحست ليوني بتأثيره عليها منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيها عيناها عليه. يومها مرّت بمكتب والدها لتصطحبه إلى الغداء، فأخبرتها سكرتيرته أنه في اجتماع مع رئيس الشركة. في اللحظة نفسها تقريباً انفتح باب المكتب وظهر في إطار الباب رجل أظهرت تعابير وجهه التقدير الصريح لما يراه وهو يراقبها...

- كنت أنظر إلى صورة فوتوغرافية لك موضوعة على مكتب والدك خلال النصف ساعة الماضية، لكنها لا تنصف جمالك مطلقاً.

قال فيدال ذلك، ثم تحرك إلى الأمام وهو يمد لها يده فيما بدت ابتسامته مدمرة. تابع يقول: «أنا فيدال باريلادوس سانتوس».

تناولت ليوني يده، وغمغمت ردّها فيما اجتاح جسدها بأكمله وخز بدا لها كالصدمة الكهربائية عندما أطبقت يده على يدها. بعد كل ما سمعته وقرأته عن الرجل الواقف أمامها، بالكاد فاجأها أنه يرشح بجاذبية بدائية صافية كهذه، فالنساء في كافة أرجاء أوروبا مسحورات بقوة جاذبيته.

نقلت ليوني نظرتها نحو الرجل الواقف خلفه، وقالت: «أملت أن نتناول الغداء سوياً، أبي».

أجابها ستيوارت آسفاً: «آسف، حبيبتي! أنا مضطر إلى العمل لساعة أخرى على الأقل».

عندئذٍ سارع فيدال يقول: «في هذه الحالة، ربما ستسمحين لي بأن أرافقك إلى الغداء عوضاً عن والدك. ذلك سيسرني كثيراً».

أنبأتها غريزتها أن عليها رفض عرضه، لكن قدرة أقوى منها سيطرت عليها. لذا قالت: «ذلك لطيف جداً من قبلك».

ابتسم فيدال مجدداً، فأزعجتها ابتسامته تلك بالقدر نفسه بسبب مفعولها المدمر. قال: «لا يتطلب الأمر مجهوداً كبيراً كي أكون لطيفاً مع امرأة جميلة».

لاحظت ليوني عيني والدها، فقرأت فيهما الرسالة التي توجهانها لها من دون صعوبة. حسناً! هي لا تنوي أن تصبح إحدى النساء اللواتي فاز بهنّ.

قالت لوالدها بخفة: «سأراك لاحقاً، إذاً. لا تكدّ كثيراً في العمل!».

يومها قصدا مطعماً لم تكن ليوني قد زارته من قبل. هناك تم الترحيب بفيدال، فناداه رئيس النادلين باسمه ورافقهما بنفسه إلى طاولتهما. بدا المكان فخماً جداً، شعرت ليوني بالسرور لأنها اختارت أن ترتدي يومها بذلة رسمية من اللون البرتقالي. بالطبع لم تكن بذلة تحمل اسم مصمم شهير، لكنها بدت كذلك.

قالت ليوني ملاحظة بعد أن جلسا: «هل أستنتج أنك زائر دائم في هذا المطعم؟».

ردّ فيدال موافقاً: «أتناول الطعام هنا عندما آتي إلى لندن، لذا فهم يعرفون ذوقي جيداً».

فكرت ليوني بتهكم، الجميع يعرف ذوقه في النساء أيضاً! لابد أنها ليست أول امرأة يحضرها إلى هنا. راقبت ملامح فيدال فيما مرّر هذا الأخير عينيه نزولاً على قائمة الطعام، فلاحظت ملامح وجهه ذي البشرة السمراء بلون الزيتون، كذلك لاحظت عرض كتفيه تحت بذلته الرسمية الرمادية، بالإضافة إلى يديه ذات الأنامل النحيلة الطويلة. إنه يمتلك كل ما يتمناه أي رجل في ما يتعلق بالمظهر الخارجي، وهو لن يضطر إلى المكافحة لأجل الحصول على الرفقة الأنثوية حتى لو لم يكن له مثل هذا المركز وهذه الثروة.

رفع فيدال نظره وكأنما استشعر بتدقيقها النظر إليه، فسألها: «هل لقيت استحسانك؟».

أجابته ليوني رافضة أن تبدو مصدومة بسؤاله: «إنك رجل وسيم. لابد أنك معتاد على الاهتمام الموجه لك من قبل الآخرين».

أحنى فيدال رأسه ذا الشعر الأسود بتواضع ساخر، وقال: «إنها مسألة أدين بها لأسلافي، فلطالما كان رجال آل دوس سانتوس محظوظين».

- هل تتشارك معكم نساء آل دوس سانتوس بالإرث نفسه؟

- بعضهنّ وليس جميعهنّ.

توقف فيدال للحظة، فدرس ملامحها بدوره وقال: أنت لا تشبهين والدك

كثيراً. لا بد أن والدتك كانت امرأة جميلة جداً».

حتى بعد مرور أربع سنوات على وفاة والدة ليوني ما زال ذكرها يجعلها تشعر بالكرب والغصة. سألته: «كيف علمت أنها توفيت؟».

- أنا أعرف كل التفاصيل عن خلفية أي موظف متفوق لدي. فهمت أنك ما تزالين تقيمين مع والدك؟

- ذلك صحيح.

لم ترَ ليوني أن هناك داعياً كي تشرح أسبابها له. أخفضت بصرها لتنظر إلى القائمة الموضوعة أمامها، وقالت: «أود تناول السمك الأبيض كبداية، يتبعه سمك الترويت».

صفق لها فيدال قائلاً: «أنت امرأة ذات قرار! أظنني سأتناول الأصناف نفسها. أترضين بترك أمر اختيار المشروب لي أنا؟».

اتسعت عيناها الخضراوان ببراءة، وقالت: «بالطبع، فالرجال يجيدون اختيار المشروب!».

التوت شفتا فيدال بابتسامة أثارت الفوضى في أوتار قلب ليوني. قال لها محذّراً: «إن كنت تسخرين مني فأنت تعرضين نفسك للخطر، قد أجد من الضروري أن أفرض عليك العقوبات».

إن تبادل الغزل مع رجل مثل فيدال هو أمر بالكاد تحتمله، لكنه أمر ممتع جداً لتمضية الوقت. قالت متظاهرة بالخوف: «سوف أتذكر ذلك».

نوت ليوني أن تدعي بأن لديها ارتباطات أخرى بعد الغداء، لكن عندما حان الوقت وجدت نفسها توافق من دون أي اعتراض على اقتراحه بأن يستقلا مركباً فوق النهر.

علقت ليوني فيما هما يطوفان معاً: «قد لا تصدق الأمر، لكنها المرة الأولى التي أفعل فيها هذا على الإطلاق».

ردّ فيدال قائلاً: «بل أجد من السهل تصديقه. قلة من الناس يقدرون ما هو متوفر وجاهز أمامهم. هنالك أجزاء من لشبونة لم أزرها قط».

غامرت ليوني بسؤاله: «أعلم أن المركز الرئيسي لدوس سانتوس هو في

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

لشبونة، لكن هل منزلك الأساسي يقع هناك أيضاً؟».

- ليس في المدينة ذاتها. أنا أقيم في سينترا التي تبعد حوالى الثلاثين كيلومتراً إلى الشمال الغربي.

- في منزلك الخاص؟

- بالطبع. إنه منزل أعيد بناؤه من بقايا دير يعود إلى القرن الرابع عشر.

أضاء الاهتمام عيني ليوني، فقالت: «أحقاً؟».

أجابها فيدال ساخراً: «وصدقاً! ذلك لا يعني أنك تجدين فيه أشباحاً من الماضي، لقد تم طردها جميعاً إلى الخارج».

- أقمت بتخطيط الترميم بنفسك؟

- نعم بمساعدة قيمة جداً قدمها لي صديق مختص في الهندسة المعمارية، إذ أطلعني على ما هو ممكن وما هو غير ممكن. انتهى العمل في المنزل منذ ثلاث سنوات، ثم وظفت شركة متخصصة في مجال تنسيق المناظر الطبيعية، فصممت لي الأراضي المحيطة بالملكية.

- هل تقيم عائلتك في المنطقة نفسها؟

- ملكيات آل دوس سانتوس تقع في وادي دورو. إنها منطقة جميلة لكنها معزولة جداً لا تلائم مزاجي. هنالك أكثر من فرع لعائلتنا في تلك الناحية.

أضاف فيدال وهو يتوقع سؤالها التالي: «نسيب والدي يمتلك أراضٍ ملاصقة لأراضي والدي. هنالك أقرباء لنا يعيشون على جزيرة مادبرا أيضاً. إنهم يمتلكون عدّة فنادق هناك».

علّقت ليوني بخفة: «إذاً أنت لست الوحيد الذي اختار دخول مجال الأعمال، عوضاً عن البقاء في مكانك لتستمتع بثمار ميراثك؟».

التوت شفتا فيدال لدى سماعه ذاك التعليق، فقال: «ذاك أسلوب شاعري جداً للتكلم عن الموضوع، مع ذلك فهو صحيح في جوهره. أنا أترك أسلوب الحياة الأخير لأقرباني».

رغبت ليوني في معرفة المزيد، لكن أجراس التحذير والتنبيه قرعت في ذهنها. إنها لن تسدي نفسها أي خدمات بغوصها أكثر فأكثر في حياة رجل من

غير المرجّح أن تراه بعد اليوم.

هذه الفكرة بحد ذاتها استجلبت كآبة وقنوطاً نادرين. بدا لها فيدال مختلفاً جداً عن الصورة التي كونتها عنه من خلال تقارير وسائل الإعلام. كانا قد غادرا القارب لدى وصولهما إلى غرينتش، فاستقلا سيارة أجرة لتعيدهما إلى حيث تركا السيارة. مع حلول ذلك الوقت، أحست ليوني بميل أقل إلى إنهاء هذا النهار. هي ليست امرأة ينقصها الاهتمام من قبل الرجال، لكن أياً من الرجال الذين تعرفت إليهم من قبل لم يكن يشع بذلك المقدار من السحر والجاذبية. جعلها فيدال تشعر كما لو أنها المرأة الوحيدة في الكون بأسره التي يرغب بالتواجد معها. علمت ليوني في أعماقها أن هذا كله جزء من التقنيات الخاصة به، لكنها لم تعد تصغي إلى الأصوات المحذرة في ذهنها. تناولا المثلجات في أحد مقاهي مايفير، تبع ذلك دعوة إلى العشاء في جناحه الخاص في الفندق، ما جعل نواياه واضحة تماماً. لكن ليوني اختارت أن تتبع الدرب المتهور منقادة باندفاع داخلي لا يقاوم. على المرء أن يعيش الحياة بجرأة، ومع رجل كفيدال لا يمكن أن تكون التجربة سيئة.

بدا جناح فيدال فخماً مترفاً، أما الطعام فمذاقه رائع، كما جرى الحديث بينهما سلساً. تناولا العشاء على الشرفة، واختتماه بشرب القهوة.

توجهت ليوني نحو سياج الشرفة لتتأمل المنظر البانورامي المتألق، ثم اقتبست قولاً مأثوراً، فقالت: «عندما يسأم الرجل من لندن، فذلك يعني أنه سئم من الحياة».

علق فيدال على كلامها: «أظن أن ساموبل جونسون عرف لندن مختلفة تماماً عن لندن اليوم».

وقف خلفها، والتفت يداه حول خصرها ليجذبها حتى تدنو منه. وغمغم قائلاً: «الليل جميل جداً، لكنك تفوقينه جمالاً عزيزتي!».

كانت ليوني قد خلعت سترتها منذ قليل، ولم تعد القميص الرقيقة التي ترتديها توفر لها الحماية أمام يديه، فأحست بارتعادة تعبر على امتداد جسدها. أحست كما لو أنها تطوف على وجه الماء، فأصبحت رجلاها ضعيفتين جداً لا

تقويان على حملها.

أدارها فيدال نحوه. بدا وجهه غامقاً باستثناء التألق البادي في عينيه، فيما أحنى رأسه نحوها وعانقها...

بدا عناقه أشبه بالإلهام، ما استدعى ردّة فعل فورية غامرة من قبلها.

قال لها برقة: «تعالي!».

ما إن أمسك فيدال بيدها وقادها نحو الداخل، حتى بدأت ليوني تستعيد رشدها. هذا ليس شيئاً جديداً بالنسبة إليه ولا هو بشيء مميز، كما هو الحال بالنسبة إليها. إن تجاوبت معه لن تكون سوى امرأة سهلة أخرى يحصل عليها في سريره. أدار فيدال رأسه نحوها متفاجئاً نوعاً ما عندما جذبت ليوني نفسها بحدة حتى تتحرر منه. سألها: «هل من خطب؟».

أجابته بصوت مرتجف: «أنا لست من أولئك النساء اللواتي يقمن علاقات غرامية لليلة واحدة فقط!».

انعقد حاجباه السوداوان سوياً، وقال: «هل تظنينني أراك على هذا الشكل؟».

تحدّته ليوني قائلة: «حسناً! أليس الأمر كذلك؟ أنت فكرت بهذا منذ البداية. أليس كذلك؟».

أجابها فيدال بنبرة صوت سطحية: «ظننت أن كلينا نعلم إلى أين نحن متوجهان، فأنت لم تمنحيني أي سبب لأشك بذلك حتى الآن».

أحست ليوني أن الدفء ينضب من كيانها، فبحثت عن مكان تلجأ إليه من الحقيقة القاسية التي واجهتها. قالت: «أنت تأخذ الكثير من الأمور على أنها مسلمات! أنا قبلت دعوتك إلى العشاء، لكنني لم أدرك أنه سيطلب مني أن أدفع ثمن ذلك بسخاء».

راقبها فيدال بصمت للحظة أو اثنتين، ولم يظهر أي دليل على أن مشاعره تأثرت بها. لم يظهر سوى وميض عميق جداً داخل عينيه. أخيراً قال: «أعتذر عن الخطأ. ظننتك كالأخريات».

أقرت ليوني أنها خرجت عن مسارها المعهود، فأعطته ذاك الانطباع.

أفسح الغضب مجالاً للشعور بالخزي للحظة حين فكرت أن الذنب ذنبها هي لا ذنب فيدال. قالت بصوت ثخين: «أنا آسفة! لابد أنني تماديت قليلاً. ليس من عادتي أن أفعل ذلك. صدقني!».

بدا من الصعب تحديد التعبير الذي غطى ملامح وجهه المنحوتة إذ قال: «أنت على حق. أنا فعلاً أبالغ في أخذ الأمور كمسلمات. لعلنا نستطيع أن نبدأ من جديد».

هزت ليوني رأسها رافضة الاستسلام للاغواء خشية أن يغرقها، وقالت: «أنا فعلاً لست أرى أي جدوى من ذلك، فنحن ننتمي إلى عالمين مختلفين. وفي المستقبل أنا سأبقى ملتزمة بعالمي فقط».

أشار فيدال نحو الأبواب الزجاجية المفتوحة وقد بدا وجهه هادئاً خالياً من أي تعبير ثم قال: «إنه خيارك، بالطبع. سوف أطلب لك سيارة أجرة».

تقدمته ليوني، فدخلت الغرفة. وقفت مستقيمة لتتمكن من تمالك نفسها وهي تراقبه، فيما رفع سماعة الهاتف.

قال فيدال بعد أن أعاد السماعة إلى مكانها: «سوف تكون السيارة بانتظارك. والأجرة مدونة على حسابي».

فكرت ليوني أن هذا الأمر تدبير قديم العهد، فأعلنت له بقساوة: «يمكنني أن أدفع أجرة السيارة التي ستقلني».

أمال رأسه، وقال: «من الطبيعي أن تفعلي ما ترينه ملائماً لك».

تقدم فيدال نحوها، والتقط السترة التي علقتها فوق المسند الخلفي لكرسيها قبل العشاء، فحملها فيما أزلقت ليوني ذراعيها داخلها. قامت ليوني بذلك بأكثر رشاقة وسرعة ممكنتين وهي تدرك بحيوية دنوه منها، وتشعر بنبضاتها الضاربة بقوة.

رافقها فيدال حتى الباب الخارجي للجناح، فيما ظل من المستحيل أن تقرأ أي شيء في عينيه الصوداوين حين تلاقت عيونهما للمرة الأخيرة. قال لها: «كان النهار ممتعاً».

علقت ليوني: «لكن الليل كان مخيباً للآمال».

جاءت ابتسامة فيدال بصورة غير متوقعة عندما قال: «لا يهم. نامي نوماً هنيئاً، عزيزتي».

لم تكن لدى ليوني أي فكرة عما عناه بكلامه الأخير، كما أنها لم تهتم لتسأله. سمعت الباب ينغلق فيما شقت طريقها نحو المصعد.

أحست أن عبور بهو الفندق هو بحد ذاته محنة، فهي واثقة أن موظفي الاستقبال يراقبون كل خطوة من خطواتها. وجدت سيارة الأجرة بانتظارها كما وعدها فيدال. أعطت السائق العنوان المطلوب وانزلقت داخل السيارة شاعرة بالامتنان لوجود ذاك الفاصل الزجاجي مما حال دون إجراء أي أحاديث.

كانت الساعة تقارب منتصف الليل عندما وصلت إلى المنزل. وكما توقعت تماماً، فإن عرضها بدفع أجرة السيارة بحسب القيمة المدونة على العدّاد لم يقابله الرفض مطلقاً. خرج والدها من غرفة المكتب عندما دخلت إلى المنزل، وبدا من السهل جداً قراءة تعابير وجهه.

- لم تعودي إلى مكتبك بعد ظهر هذا اليوم.

وضعت ليوني على وجهها ابتسامة، وقالت بنبرة خفيفة: «لا، ففيدال رغب أن نقوم بجولة في الباخرة، ثم تناولنا العشاء سوياً».

- العشاء فقط؟

طمأنته ليوني قائلة: «العشاء فقط».

فيما خنقت مقتها تجاه طريقته في السؤال. تابعت: «تصرف كرجل نبيل تماماً».

بدا ستيوارت مرتاحاً حين قال: «جيد. ليس الأمر أنني لا أثق بكونك قادرة على إبقاء رأسك مرفوعاً، لكنني فقط شعرت بالقلق لأنه قد يحاول استغلالك، هذا كل شيء».

- حسناً! هو لم يفعل ذلك.

استطاعت ليوني أن تقول ذلك بصدق، نظراً إلى أسلوب تقبله لرفضها. لاشك أن هذه هي المرة الأولى التي يحدث معه شيء كهذا.

أعلنت وهي تكتم تثاؤباً زائفاً: «أنا سأذهب إلى الطابق العلوي مباشرة».

ردّ ستيوارت: «أنا أيضاً سأصعد خلال دقائق قليلة».

قبلت ليوني خد والدها وهي تمر أمامه، ثم صعدت الدرج وهي تشعر بأي شيء ما عدا السرور. أمضت ليلة قلقة، ونهضت لتلاقي نهاراً قليل التألق. كلما فكرت بالليلة السابقة كلما أحست بالانزعاج. تصرفت كمراهقة ساذجة عوضاً عن التصرف كامرأة ناضجة. لابد أن فيدال يعتبرها غير ناضجة البتة. تساءلت إن كان الأوان قد فات حتى تتصل به فتعتذر منه على إعطائه الانطباع الخاطئ؟ شعرت برغبة يائسة بأن تراه مجدداً، فهو لا يشبه أي رجل آخر تعرفت إليه يوماً. ماذا لو كانت لديه سمعة سيئة مع النساء؟ إنه رجل أعزب في الثالثة والثلاثين من عمره، لذا فهو لن يعيش كراهب بالتأكيد.

كانت ليوني ما تزال تتصارع مع أفكارها عندما نزلت لتناول الفطور حيث جلس والدها يقرأ الصحيفة الصباحية.

- أظن أنك يجب أن ترى هذا، فلربما ساورتك أي شكوك بشأن فيدال.

قال والدها ذلك وهو يناولها الصفحة، فأخذتها وهي تهم بالجلوس على كرسيها إلى الطاولة. قفزت الصورة بوضوح أمامها: إنه فيدال المتألق ببذلته الرسمية وإلى جانبه تقف امرأة شابة جميلة بدت لها مألوفة قليلاً. وبحسب ما ذُكرَ في التقرير المرافق للصورة، رفض فيدال أن يتقبل مسؤولية الطفل الذي وضعته تلك المرأة حديثاً، ما أجبرها على ترك مهنتها في عرض الأزياء لتصبح فقيرة محرومة. ادعت المرأة شاكية بكآبة أنها لم توافق على إجهاض الطفل، وجل ما طلبته منه يوماً هو الدعم.

ابتلعت ليوني ريقها وهي تشعر بكتلة تسدّ حلقها. عرفت من قبل أنه رجل كثير العلاقات. لكن هذا الموضوع شيء مختلف. أي نوع من الرجال هذا الذي يدير ظهره لطفله؟

- أنا لا أنوي مقابلته مجدداً.

بدا ستيوارت مرتاحاً، فقال: «جيد. على أي حال، سوف يرحل خلال أيام معدودة، فهو لا يمضي أبداً وقتاً طويلاً في أي مكان».

WWW.REWITY.COM KAYAHEEN

بذلت ليوني قصارى جهدها حتى تبعده من ذهنها كلياً لكنها فشلت، لأن جسدها رفض الانصياع لها.

مرّ النهار ببطء، وعندما خرجت من مكتبها عند الساعة الخامسة والنصف وجدت فيدال مستنداً إلى مقدمة سيارة مرسيدس فضية اللون أمام المبنى. صدمها ذلك الأمر وجعلها تفقد القدرة على الكلام آنياً. لم تقدر إلّا أن تحدق به وهي تدرك الاهتمام الذي أثاره فيدال في الأشخاص المحيطين بها عندما استقام في وقوفه.

قال لها: «تذكرت أنك ذكرت اسم الشركة التي تعملين فيها. أنا بحاجة إلى التكلم معك».

سألته ليوني: «بأي شأن؟».

لابد أن فيدال أدرك أن الناس يراقبونه، لكن نظره لم يتزحزح عن وجه ليوني. قال لها: «ليس هنا».

ليس في أي مكان معك! فكرت ليوني بذلك، لكن الكلمات فشلت في الخروج من فمها. سمعت نفسها تقول عوضاً عن ذلك: «أنا فعلاً لست أرى الهدف من ذلك».

قال فيدال: «اسمحي لي».

ترددت ليوني إلا أنها لم تشأ التسبب بمزيد من الشكوك لدى المتفرجين. لاشك أن الجميع يعلمون من هو فيدال، فلطالما ظهرت صوره على صفحات المجلات. غداً سوف تواجه سيلاً من الأسئلة بغض النظر عن ذهابها معه أم لا.

اعتبر فيدال أن ترددها نفسه هو بمثابة الموافقة، فاستدار ليفتح الباب الأمامي المجاور للسائق في السيارة. انزلقت ليوني إلى المقعد الجلدي، وسرعان ما مدت يدها بشكل تلقائي لتتناول حزام الأمان، فيما تحرك فيدال حول مقدمة السيارة فجلس في مقعد السائق.

وجد فيدال بالقوة مخرجاً نحو مجرى سير السيارات متجاهلاً صيحات الاستهجان الغاضبة. استرقت ليوني نظرة إليه، وهي غير قادرة على القيام بأي

شيء تجاه تأثيره القوي عليها.

لم تكن لدى ليوني أي فكرة عما يمكن أن يقوله فيدال لها. أهو اعتذار آخر لأنه أخذ الكثير من الأمور كمسلمات ليلة أمس؟ بدا ذلك غير محتمل، لكنها لم تقدر على التفكير بأي تفسير آخر دفعه للبحث عنها. على أي حال ذلك لن يحدث أي فرق في نظرتها إليه بعد ما قرأته هذا الصباح.

- إلى أين نحن ذاهبان؟

ردّ فيدال وهو ينطلق بالسيارة: «إلى جناحي في الفندق».

- إذا كنت تظن...

أعلن لها فيدال: «أنا لست على وشك أن أكرر خطأ ليلة الأمس نفسه في حكمي الخاطئ، لكن ما سأقوله لك يتطلب الخصوصية».

هز رأسه عندما حاولت أن تتكلم، فقال: «هذا ليس الوقت ولا المكان المناسبين لمناقشة ذلك».

لابد لها أن تقر أنه محق بخصوص ذلك. فالشارع مكتظ بالسيارات في زحمة السير المسائية، ومنطق القيادة يتطلب التركيز. رضخت ليوني مجدداً على مضض، وهي تشعر بالارتباك.

وصلا إلى الساحة المقصودة. قاد فيدال السيارة مباشرة نحو المواقف السفلية للسيارات في الفندق. انضم إليهما زوج آخر في المصعد، ولاحظت ليوني النظرة التي رمقت بها المرأة فيدال لتعود وتنظر إلى شريكها كما لو أنها تقارن بين الاثنين. وكأن هنالك مجالاً للمقارنة!

خرج الاثنان الآخران من المصعد عند الطابق الرابع ليصعدا هما إلى الطابق الخامس بصمت، لم تكن لدى ليوني أي نية بخرقه. سوف تصغي إلى ما يريد إطلاعها عليه مهما يكن، لكنها لا تنوي تغيير رأيها بخصوصه، لاسيما بعد ما اكتشفته هذا الصباح.

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة والنصف عندما وصلا إلى جناح فيدال بحسب ساعة يدها. تذكرت أنها أخبرت والدها أنها سوف تعود مباشرة إلى المنزل هذه الليلة، بالرغم من أنها عادة قلما تصل قبل الساعة السابعة. وعدت

ليوني نفسها بأن تتصل به هاتفياً حالما تخرج من هنا. يميل والدها إلى القلق عليها إذا ما تأخرت في الوصال إلى المنزل في الوقت الذي تكون قد حددته له، فيبدأ بتصور كل أنواع الحوادث والبلايا.

دعاها فيدال لتجلس، وما لبث أن رفع كتفيه عندما رفضت ليوني ذلك. بدا متألقاً إلى حد آلمها، إذ كان يرتدي سروالاً غير رسمي مع كنزة قطنية بيضاء ناعمة أنيقة، أما شعره الأسود فظهر فيه تجعيد خفيف بسبب كثافته.

حثته قائلة: «حسناً!؟».

لامست شفتيه ابتسامة وهو يراقبها، وقال: «أنت تذكرينني بالأيل المترقب الذي يبدو مستعداً للهجوم إذا ما قمت بأي حركة خاطئة. ما من داع لأن تخافي. أنا مستعد للانتظار».

أطلقت عيناها الخضراوان سيلاً من الشرارات، وقالت: «سوف تهدر وقتك!».

رد فيدال: «إنه وقتي أنا على أي حال. ذلك لا يعني أنني أرغب بفترة خطوبة مطولة».

حدّقت ليوني إليه بانشداه. قالت: «عمَّ تتكلم؟».

- عن زواجنا. أنا أريدك أن تصبحي زوجتي.

أحست ليوني برغبة مفاجئة بالضحك، وفكرت بذهول أنها الهستيريا الصرفة تماماً. ليلة الأمس ثم هذا.

دفعت الكلمات بقوة لتخرج من فمها فقالت: «ما هو نوع الألاعيب التي تمارسها الآن؟».

- أنا لا أمارس أي ألاعيب، وحتماً ليس من هذا النوع. انتظرت فترة طويلة لكي أجد امرأة أرغب بتمضية بقية حياتي معها، امرأة تقيّم نفسها إلى حدّ كاف يدفعها إلى التغلب على حاجاتها البدائية الأساسية. أنتِ شعرت بالانجذاب نحوي ليلة أمس تماماً كما شعرت بالانجذاب نحوك، لكنك رفضت الاستسلام. أنت لم تفعلي ذلك أبداً، أليس كذلك؟

أحست ليوني بوجهها يشتعل، فقالت: «ذلك ليس من شأنك!».

ابتسم فيدال وقال: «بل إنه من شأني إلى حد بعيد. أنا أبحث عن زوجة لم تعرف أي رجل آخر سواي. إنها إحدى تقاليد آل دوس سانتوس التي لا مجال للجدال بشأنها. أنا أفضل زواجاً هادئاً وبأسرع ما يمكن».

اكتسبت عيناه لمعاناً وهو يدرس ملامحها، وقال: «ليلة الأمس كانت محبطة بما فيه الكفاية».

أخيراً وجدت ليوني صوتها، وأدهشها ثباته حين قالت: «ألا يتضمن قاموسك كلمة الحب؟».

- بالطبع! ربما ليس ذاك النوع من الحب من النظرة الأولى الذي يكتبون عنه في القصص. إن النوع الحقيقي يتطلب الوقت والمعرفة حتى يتطور.

توقف فيدال عن الكلام، فيما ظهر خط رفيع بين حاجبيه بانتظار سماع جواب منها، ثم قال: «أليس لديك أي شيء تقولينه لي؟».

استنشقت ليوني نفساً عميقاً متقطعاً وهي تقاوم رغبة مجنونة مفاجئة بأن تجاري الأمر برمته بكل بساطة، إلا أنها أجبرت نفسها أن تقول: «لدي الكثير مما أود قوله. أنا لن أتزوجك حتى لو كنت آخر رجل على وجه الأرض!».

الصدمة التي ظهرت على وجه فيدال بدت مثيرة للضحك، هذا لو شعرت ليوني برغبة في الضحك أصلاً. يبدو أن احتمال رفضها له لم يطرأ في باله مطلقاً.

الغضب الذي غمر ليوني جاء بمثابة دفاع عن نفسها من أي شكوك تتربص بها بقدر ما هو تعبير عن مقتها. استقامت في وقفتها وأطبقت يديها في قبضتين إلى جنبيها، فيما ظهر الاحتقار في عينيها وهي تقول: «إذا كنت تريد الحقيقة، أنا أفضل أن أتزوج من دودة عوضاً عن الزواج بزير نساء ورجل حقير يهجر طفله كما فعلت! لابد أنني كنت مجنونة حتى سمحت لك بالاقتراب مني. أنا أتكلم عن قعر البرميل... الخائنة».

توقفت ليوني هناك، فيما سيطر عليها الخوف لدى رؤيتها للنظرة المرتسمة في عيني فيدال. وعلى الفور ومض الخطر في الأجواء بينهما.

استدار فيدال فجأة فاتجه نحو خزانة المشروبات. فيما أدار لها ظهره وقد ظهر التوتر في كل خط من خطوط جسده.

- أظن أن من الأفضل أن ترحلي.

ترددت ليوني للحظة وقد خجلت من الضراوة الصرفة لهجومها عليه. تطلب الأمر منها تذكر الخبر المنشور في الجريدة لتزيح أي ندم من ذهنها. في مكان ما في الخارج، هناك امرأة ترعى طفله، وربما لا تكون هي الوحيدة التي تفعل أمراً مماثلاً، لذا هو لا يستحق أي اعتذار.

كان فيدال ما يزال واقفاً مكانه عندما أغلقت الباب عليه.

تأملت ليوني بألم أن ذلك كله لم يكن صحيحاً، ليس ذلك الجزء على الأقل. تلك المرأة حاولت إلباسه التهمة، لكنها خسرت القضية عندما أثبتت فحوصات الدم بأن الطفل ليس طفله.

أما العرض الذي قدمه لها للتو فما يزال صعب الاستيعاب، فلا معنى لعقد الزواج في ظل الظروف الراهنة. ألا يمكنه أن يرى أن هذه مبادرة عديمة الفائدة إلى أقصى الدرجات؟

كان فيدال يجلس على إحدى الأرائك في الغرفة المجاورة وهو يحمل كوب شراب بيده عندما تحلت ليوني بالشجاعة الكافية حتى تدخل إليه. راقبها بوجه يخلو من التعابير فيما تحركت نحوه.

- لابد أن تكون هنالك طريقة أخرى للتعامل مع الأمر. لماذا ترغب بزوجة تكرهك؟

صرّح فيدال، قائلاً: «أنت لا تكرهينني. أنت تشعرين تماماً كما شعرتِ دوماً تجاهي، وهو ما أشعر به تجاهك. قدّر لنا أن نكون سوياً، وإذا كان الزواج هو الأسلوب الوحيد لتحقيق ذلك، فليكن».

سألته ليوني: «أتتخلى عن جميع الأخريات، أم أن المتوقع من زوجات آل دوس سانتوس أن يغضّ النظر؟».

هز فيدال كتفيه بإيجاز، وقال: «إنها مسألة تعلّم الثقة».

- أأثق بك أنت؟!

وضعت ليوني كل ذرة من الاستهزاء في كلماتها، وتابعت: «ذلك مستحيل!».

هز فيدال كتفيه مجدداً، وقال: «الوقت سينبؤنا بذلك».

توقف عن الكلام رافعاً أحد حاجبيه بتساؤل، ثم تابع: «هل أستنتج أننا عقدنا اتفاقاً؟».

سألته ليوني بمرارة: «هل لدي أي خيار؟».

- ليس إن أردت لوالدك أن يحتفظ بوظيفته.

جلست بتثاقل في كرسي مجاور فيما راح ذهنها يتصارع مع التعقيدات التي يتضمنها الأمر. سألته: «ما الذي يفترض بي أن أقوله لوالدي؟».

أجابها فيدال: «ذلك أمر يعود إليك بأكمله. أخبريه الحقيقة إذا أحببتِ».

رفعت ليوني رأسها فيما أخذت عيناها تقدحان شرراً، وقالت: «هو لن يوافق على الأمر أبداً!».

- إذاً، بكل بساطة ستضطرين إلى إقناعه بأن هذا هو ما تريدينه. يمكنك مثلاً أن تقولي إنني طلبت منك الزواج منذ سنتين لكنك لم تكوني حينها مستعدة لهذه الخطوة الكبرى. وإنك أمضيت السنتين الأخيرتين نادمة على قرارك، ويسرّك أنك حصلت على فرصة أخرى.

- لن يصدق ذلك أبداً.

- لِمَ لا؟ لابد أنه لاحظ الانجذاب الذي التهب بيننا لحظة تعارفنا.

أطلقت ليوني ضحكة مختصرة، ثم قالت: «بالكاد يعتبر ذلك كافياً حتى ينتج عنه عرض بالزواج من قِبلك!».

- كيف عساه يعرف ما ستكون عليه ردة فعلي؟ فنحن ننتمي إلى ثقافتين مختلفتين.

فكرت ليوني أن ما من كلمة أصدق من تلك، فيما بحثت في وجهه عن إشارة ما مهما كانت ضئيلة تدل على بعض العاطفة. لاشك أن تلك مهمة ميؤوس منها، ففيدال لا يمتلك أي عواطف. فكرت أن العديد من النساء قد يطرن فوق القمر من شدة فرحهن لو سنحت لهن الفرصة التي يعرضها عليها.

WWW.REWITY.COM
KAYAHEEN

على أي حال استمرار هذا الزواج لفترة أمر غير مؤكد. قالت بصوت ثخين: «أنت تربح».

لم تبدُ في عينيه السوداوين أي ردة فعل، بل قال: «سوف أبدأ بالترتيبات يوم غد. يُفترض بي أن أكون في ميونيخ بعد غد، لكنني سأختصر الزيارة قدر الإمكان. يمكننا أن نتزوج بعد ثلاثة أسابيع، ثم نسافر إلى لشبونة مباشرة بعد ذلك».

أحست ليوني أن قلبها ينخلع من مكانه، فرسمت تعابير وجهها ابتسامة ساخرة.

- بالطبع، أنت لم تتخيلي أنني أرضى بإقامة منزل دائم لي هنا؟

أعلنت باحثة عن عذر للتأخير: لا يمكن أن يتم الأمر بهذه السرعة. هنالك وظيفتي...».

جاء رد فيدال بسرعة: «أخبريهم أنك مغادرة. وإذا كان هنالك أي جزاء مالي سوف أهتم بالأمر. لن أنتظرك لفترة تزيد عن الثلاثة أسابيع، فالضغط للتو يؤثر علي».

ردّت ليوني بنبرة مغيظة: «أشك أن تواجه أي صعوبة في أن تريح نفسك منه».

قال: «لن تكون هنالك أخريات».

تأملت ليوني مفكرة: نعم، وبمقدور الخنازير أن تطير! إن امرأة واحدة لن تكون كافية أبداً بالنسبة إليه، لاسيما أنها لا تتمتع بالخبرة على الاطلاق. هذه الفكرة أرسلت ارتعادة مفاجئة على امتداد عمودها الفقري.

- إذا كنا سننتظر إلى ما بعد الزواج، أفترض أنني حرة لأرحل الآن؟

لوهلة بدا فيدال كأنه على وشك مجادلتها، ثم أمال رأسه وقال: «يمكنك أن تطلعي والدك على الخبر هذه الليلة إذا رغبتِ، أو يمكنك أن تنتظري حتى الصباح حيث يمكننا أن نخبره سوياً».

- أتعني أنك ستأتي إلى منزلنا؟

ظهرت على فمه ابتسامة جافة، وقال: «أظن أن والدك وأنا لدينا بعض

المسائل لنتناقشها قبل أن يعود إلى وظيفته. سوف أطلب لك سيارة أجرة لتقلك».

نهض فيدال فوقف على قدميه ثم توجه نحو الهاتف. لم تكن لديها أي فكرة أبداً عما ستقوله لوالدها بالتحديد. كيف عساها تقدر على إقناعه بأن قرارها في الزواج من الرجل الذي لم تره منذ سنتين لا علاقة له البتة مع ورطته الخاصة؟

بدت رحلة العودة إلى نورثوود طويلة مرهقة. ساد الارتياح عليها للحظة أو اثنتين عندما وصلت إلى منزلها، إذ وجدت أن والدها خلد إلى النوم. مع ذلك فإن المسألة لن تصبح أكثر سهولة صباح الغد.

مازال من الصعب عليها أن تصدق أن هذا ما يحدث فعلاً. ما انفكت ليوني تفكر أنها سوف تستيقظ من نومها في أي لحظة فتكتشف أن الأمر برمته هو مجرد حلم سيء. افترضت أنه يجدر بها أن تشعر بالامتنان لأن فيدال في الواقع يرغب بالزواج منها.

لكن ذلك لم يساعدها على النوم الجيد. نهضت عند الساعة السابعة مثقلة العينين، ولم تكن لديها أدنى فكرة بعد عن كيفية إبلاغ والدها بالخبر. عندما نزلت ليوني إلى الطابق السفلي كان والدها قد بدأ بتناول الفطور، لكنها لاحظت أنه بالكاد يأكل القليل من طعامه.

- ظننتك ستبقين خارج المنزل ليلة أمس. لابد أنك تأخرت في الوصول إلى المنزل.

ردت ليوني موافقة: «تماماً».

قررت ليوني أن الأسلوب الأفضل لابلاغه بأمر الزواج هو بقول الحقيقة مباشرة.

- أنا لم أخبرك الحقيقة بشأن مكان ذهابي ليلة أمس. في الواقع ذهبت لرؤية فيدال مجدداً. سوف يأتي إلى هنا هذا الصباح لكي يقابلك.

نظر ستيوارت إليها، وبدا من الواضح أن شيئاً ما صدمه في نبرة صوتها، فقال: «لماذا؟».

- يمكنك البقاء في وظيفتك . . .

استنشقت ليوني نفساً ثابتاً، وتابعت: «. . . ولكي يخبرك أننا سوف نتزوج».

إن عبارة «صعقه البرق» تبدو لطيفة جداً للتعبير عما ارتسم على وجه والدها. سألها: «أنتما . . . ماذا؟».

ردت ليوني وهي تقاوم للحفاظ على رباطة جأشها: «أعرف أن الأمر بمثابة الصدمة بالنسبة إليك، إلا أنه ليس خارجاً من العدم كما يبدو لك. في الواقع، طلب فيدال يدي للزواج منذ سنتين، وأنا رفضت عرضه حينها، لكنني ندمت على ذلك».

بدا ستيوارت باكستر أكثر ذهولاً مما كان عليه قبل قليل، فقال: «منذ سنتين؟ لكنك قابلته مرة واحدة فقط».

- بل مرتين!

صححت له ليوني. تابعت وهي تجبر نفسها على الإبتسام: «عرض فيدال علي الزواج في اليوم التالي للقائنا الأول، وانتابني شعور مماثل لما تشعر به أنت الآن. شعرت أن من الصعب أن يتخذ المرء قراراً مماثلاً بمثل هذه السرعة. لم أمتلك الشجاعة لمجاراة ما شعرت به تجاهه في ذلك الحين، إلا أنني ما أزال أشعر بذلك الآن».

حدق بها والدها بصمت للحظة طويلة، ثم قال: «أتقولين إنك مغرمة به».

واجهت ليوني تحديقه بقوة، قالت: «نعم».

لم تسد أي فترة صمت أخرى، بل تبدلت ملامح وجه والدها مجدداً، وهذه المرة ارتسمت عليه ملامح الشك، فقال: «هل تفعلين هذا لأجلي؟».

بدت ضحكتها فارغة حتى لسمعها الخاص حين قالت: «أبي! بغض النظر عن مقدار حبي لك، لا يمكنني أن أفكر في الارتباط برجل لا أكنّ له المشاعر. ما فعلته أنت جمعنا سوياً مجدداً. هذا كل ما في الأمر. أنا أريد الزواج به أكثر من أي شيء آخر».

بدا كلام والدها صرخة من القلب عندما قال: «إنه ليس مناسباً لك،

حبيبتي! أنت تعرفين أي نوع من الرجال هو!».

ردّت ليوني: «بل أنا أعرف أي نوع من الرجال كان عليه. ما دام الرجل أعزب يسمح له أن يمرح كما يشاء، لكن ذلك لا يعني أنه سيستمر بذلك بعد الزواج».

- الفهود لا يمكنها أن تغير جلودها. لا يمكنني أن أصدق أنك جدية فعلاً بهذا الخصوص!

طمأنته ليوني قائلة: «أنا كذلك. . . جدية جداً، وأريدك أن تكون مسروراً لأجلي، أبي».

قال والدها: «أنا أحاول. أنا فعلاً أحاول. لكنني فقط أجد الأمر. . .».

توقف عن الكلام وهو يهز رأسه، ثم قال: «متى تفكران بالزواج؟».

استنشقت ليوني نفساً عميقاً آخر، وقالت: «خلال ثلاثة أسابيع، سنقيم زفافاً هادئاً لأن فيدال لا يرغب بأي ضجة إعلامية».

- ثلاثة أسابيع؟!

أجابت ليوني وهي تتمسك برباطة جأشها: «بالطبع سوف نقيم في البرتغال. منزل فيدال الأساسي يقع في سينترا بالقرب من لشبونة، ونحن لا نخطط لإقامة شهر عسل».

هي حتماً لا تخطط لذلك! تابعت تقول: «سوف نذهب مباشرة إلى هناك بعد حفل الزفاف».

- ماذا بشأن وظيفتك؟

- من الطبيعي أن أتركها.

- أبهذه البساطة؟

هزت ليوني كتفيها قائلة: «أخشى أن الضرورة تتطلب ذلك».

راقبها ستيوارت بحيرة قائلاً: «هل ستسمحين له بالسيطرة على حياتك منذ الآن؟».

حاولت ليوني جعل الأمر موضوعاً للمزاح، فقالت: «لشبونة بعيدة إلى حد ما، فلا يمكنني أن آتي إلى هنا باستخدام وسائل النقل البري. كما أنني لن

أحتاج إلى الوظيفة، فأنا سأتزوج من بليونير».

علق والدها باستسلام: «أنت لا تتكلمين عادة على هذا النحو».

استدركت ليوني قائلة وقد ندمت على تسرعها في الكلام: «آه! أعرف أن هذا كلام فارغ، لكنني أنوي الزواج بفيدال حتى لو لم يكن يمتلك أي قرش في حسابه».

مدت ليوني يدها عبر الطاولة حتى تغطي إحدى يدي والدها، فيما حاولت جهدها ألا تستسلم لرغبتها بأن تقول الحقيقة. تابعت تقول: «أعلم أنها صدمة بالنسبة إليك أبي، لكنني أدرك ما أفعله».

- آمل ذلك... أنا فعلاً آمل ذلك.

قال والدها ذلك، ثم دفع كرسيه إلى الوراء ونهض على قدميه قائلاً: «سأكون في غرفة المكتب».

تركته ليوني يرحل من دون اعتراض، فهو بحاجة إلى تمضية بعض الوقت بمفرده حتى يستوعب هذا الموضوع.

مرّت الساعتان التاليتان ببطء، لكن عندما حلّت الساعة العاشرة ثم تخطت ذلك، بدأت ليوني تتساءل إن كان فيدال قد غير رأيه بخصوص الموضوع بأسره. ما لبثت أن أزاحت تلك الفكرة من رأسها عندما سمعت صوت سيارة تتوقف أمام المنزل ولم تصل الساعة إلى الحادية عشرة بعد. رأت سيارة المرسيدس من نافذة غرفة الرسم. ذهبت لتفتح الباب قبل أن يقرع الجرس. لم تتمكن من تجاهل انقباض عضلات معدتها فيما راقبت ملامح وجهه الحاسمة. قالت من دون مقدمات: «أبي ينتظرك في غرفة المكتب. أنا أخبرته بما عليه أن يتوقعه».

أجابها فيدال بنبرة جافة: «لم يبق لدينا سوى القليل إذاً لنتناقش به. خمس دقائق يجب أن تكون كافية لأقول له ما لدي».

وجدت ليوني من الصعب أن تبقي نبرة صوتها متحضّرة، فقالت: «إنه يواجه أوقاتاً عصيبة. سأكون شاكرة إن لم تقسُ عليه كثيراً».

لم يجبها فيدال. تراجعت ليوني عن التوسل أكثر، فقرعت بخفة على باب

غرفة المكتب قبل أن تفتحه.

- وصل فيدال يا أبي.

تركتهما يتناقشان بما لديهما، وذهبت إلى المطبخ حتى تعد القهوة. لم تسمع أي صوت في غرفة المكتبة عندما عادت عبر الرواق حاملة صينية القهوة. مع أن فيدال قال إنهما يحتاجان إلى خمس دقائق فقط، مرت حتى الآن خمس عشرة دقيقة. لم تفهم ليوني ما الذي يمكنهما أن يتحدثا بشأنه.

مرّت خمس دقائق أخرى قبل أن يخرج الرجلان. بدا ستيوارت مستسلماً، أما فيدال فبدا لا مبالياً.

قال فيدال: «أعددت الترتيبات ليوم الاثنين الذي يأتي بعد ثلاثة أسابيع من هذا اليوم. سوف أسافر إلى ميونيخ بعد ظهر هذا اليوم لأنهي بعض المسائل المتعلقة بالعمل».

أبقت تعابير وجهها وصوتها تحت التحكم الصارم، وقالت: «ظننت أن مكتب تسجيل الزواج محجوز بكثافة خلال هذا الوقت من السنة».

ابتسم فيدال وهو يبدو مرتاحاً تماماً، ثم قال: «ألغى زوجان حجزهما. هل أعلمت رؤساءك بتركك للوظيفة؟».

أقرت ليوني قائلة: «ليس بعد. لا يمكنني أن أقوم بذلك عبر الهاتف. سوف أذهب بعد ظهر اليوم».

بدأ ستيوارت يقول شيئاً ما، ثم توقف عن الكلام كما لو أنه يقر بعدم جدوى ذلك. لكنه قال ملاحظاً: «إنها مهلة قصيرة لتبلغ عائلتك بأمر الزفاف. هل سيحضر أي منهم حفل الزفاف؟».

أجاب فيدال: «أشك بذلك. إنهم لا يسافرون كثيراً. سوف نقوم بزيارتهم عندما تسنح لنا أول فرصة، بالطبع. سوف تجري مراسم الزواج عند الساعة العاشرة. لدي حجوزات للسفر بالطائرة من مطار هيثرو عند الساعة الرابعة».

- أبهذه السرعة؟

هز كتفيه بإيجاز، وقال: «لست أرى داعياً للتمهل. من الطبيعي أنه سيكون مرحباً بك أن تزورنا في أي وقت تشاء».

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

- شكراً.

تدبر الرجل الأكبر سناً أن يمنع نبرة صوته من إظهار أي سخرية.

أنهى فيدال كوب القهوة ووضعه على الطاولة وهو يهم بالنهوض. قال: «يجدر بي أن أرحل. سترافقينني إلى الباب ليوني. أليس كذلك؟».

جاء كلامه أشبه بالتصريح عوضاً عن الطلب، لكن بما أن والدها ينظر إليهما لم تكن ليوني في موقف يسمح لها بأن تعترض. ثبتت ابتسامة على شفتيها فيما رافقته إلى خارج الغرفة، لكنها ما لبثت أن مسحتها عندما أصبحا بعيدين عن النظر والسمع.

سألته بنبرة صوت خشنة، فيما ارتسمت على وجهها نظرة ساخرة: «أمن الضروري أن تتصرف بنبالة إلى هذا الحد؟».

- أتظنينني غير متفهم لموقف والدك؟

عضّت ليوني على شفتها، وقالت: «يا له من تفهم مكلف!».

رقّت نبرة صوته، وقال: «أتجدينه ثمناً باهظاً جداً؟».

لاقت نظرات ليوني عيني فيدال وتمنت لو أن بمقدورها أن تخترق سوادهما الذي لا يسبر غوره. قالت: «أفترض أن الكثيرين قد يعتبرونه ثمناً بخساً جداً مقابل ما سأحصل عليه».

رد فيدال موافقاً: «أعتقد أن الكثيرين يعتقدون ذلك. أنا لا أنكر أنني استخدمت الموقف لصالحي، لكن لا تحاولي أن تدّعي أنك لا تشعرين بأي شيء البتة تجاهي. لعل الأمر لا يتعدى الانجذاب الجسدي في الوقت الحالي، لكنك في الواقع لم تتعرفي إلي بعمق بعد».

جذبها فيدال نحوه بشوق ولّد لديها تجاوباً لا إرادياً، وعانقها بقوة...

اضطرت ليوني إلى منع نفسها من التعلق به عندما رفع رأسه. غمغم فيدال قائلاً: «أترين؟ هنالك تعويض قيم أيضاً».

فكرت ليوني بفراغ أنه تعويض من نوع ما، فيما راقبته وهو يسير متجهاً إلى سيارته.

٣ - صديقة!

راقبت ليوني المنظر الطبيعي من الجو. إنها صورة رائعة للتلال والجبال التي يتخللها العديد من الأنهار. سوف تحط بهم الطائرة خلال عشرين دقيقة. هذا ما أعلنه القبطان للتو.

السفر بالدرجة الأولى تجربة جديدة بالنسبة لليوني، ولابد لها أن تقر بأنها ممتازة. استرقت نظرة إلى الرجل الجالس بجانبها فرأت رأسه المغطى بالشعر الأسود مستلقياً على الوسادة. أغمض فيدال عينيه بارتياح، مع ذلك لم يبدُ أي ارتخاء في العضلات المحيطة بفكه الصلب.

بدت الأسابيع القليلة الماضية أشبه بالرحلة في الأفعوانية: سريعة وحادة ومن دون توقف! لم تصادف ليوني أي عراقيل جدية عندما قدمت استقالتها من الشركة التي كانت تعمل فيها، وعاد فيدال من ميونيخ كما وعدها. وأمضيا صباح يوم السبت وهما يشتريان الخواتم للخطوبة وللزفاف معاً.

استرقت نظرة إلى يدها اليسرى حيث استقرت حلقة مرصعة بثلاثة أحجار ماسية لامعة فوق المحبس الذهبي المحفور بشكل جميل جداً. لم تشك أن كلاهما كلّفاه ثروة من المال، لكنهما ما يزالان غريبين تماماً بالنسبة إليها. أصبح لقبها الجديد السينيورا باريلادوس سانتوس، وتساءلت إن كانت ستتمكن يوماً من التآلف مع وضعها الجديد هذا.

بدا حفل الزفاف نفسه تدبيراً عملياً. أحست بالارتياح عندما خرجوا من مكتب تسجيل الزّيجات فلم يجدوا مصورين متربصين بهم. كان فيدال قد حجز طاولة لثلاثة أشخاص من أجل تناول الغداء، لكن والد ليوني انسحب ولم يرافقهما. بدا كأنه تقبل الموقف بلباقة. وجهت نظرتها نحو فيدال مجدداً وهي

تفكر أن المشاعر التي يثيرها في داخلها هي التي جعلتها تصمد طيلة الأسابيع الثلاثة الماضية.

سألها فيدال: «هل انتهيت من التحليل؟».

فاجأها تماماً فيما ظنته ناماً فعلاً.

استجمعت ليوني دهاءها، فردت بجواب مفحم وسريع: «لن أدعي أنني قادرة على سبر أعماقك».

أدار فيدال رأسه لينظر إليها من دون أن يرفعه عن الوسادة. قال: «أنت تظنين أن لدي أعماقاً لتسبريها، إذاً؟».

- في أعماق كل شخص أشياء غامضة من نوع ما، فأنت لم تولد وأنت تكره النساء.

رفع حاجبيه السوداوين، وقال: «أتعتقدين أن هذا ما أفعله؟».

بما أنها بدأت هذا الحديث فهي لن تتراجع عنه. قالت: «بشكل أساسي، نعم. نحن وجدنا كي يتم استخدامنا. سمعتك تصرّح بذلك».

- لطالما اعتقدت أنك تتمتعين بذكاء يجعلك لا تصدقين كل ما تقرأينه في الصحف.

عضت ليوني شفتها وهي تعلم أنه محق في وجهة نظره، ثم أعلنت محاولة الحفاظ على ماء وجهها: «لو أنني أتمتع حقاً بمثل هذا الذكاء لابتعدت عنك تماماً كما فعلت منذ سنتين!».

علق فيدال بنبرة سطحية: «لو أنك فعلت ذلك، لربما كان والدك في موقف مختلف اليوم».

جالت عيناه على وجهها ملتهمة ملامحها بتعطش، قال: «استغرق الأمر بعض الوقت، لكنني حققت غايتي في النهاية. أنا أتطلع قدماً الآن إلى حياة طويلة سعيدة نمضيها سوياً».

سألته وهي ما تزال تشك في كلمة «طويلة». : «هل يمكن لزواج تم عقده كزواجنا أن يكون سعيداً؟».

- إذا منحناه الفرصة لا مجال لأن نشك بذلك. سوف نمضي بقية الأسبوع

في الكويتنا لنتعرف على بعضنا البعض بشكل أفضل.

اكتشفنا أن هناك الكثير من الأمور المشتركة بيننا يوم أبحرنا في النهر سوياً. يومها شعرت بالارتياح برفقتي.

تذكرت ليوني ما شعرت به ذلك اليوم، «الارتياح». ليس بالتحديد المفهوم الذي يفسر ما أحست به يومها، لكنها علمت ما الذي يقصده. يومها تبين لهما أن هنالك توافقاً بينهما في حبهما للموسيقى الكلاسيكية، للمسرح، للكتب ذات المحتوى القيم. من المدهش أنهما تكلما عن الكثير من الأمور الأساسية خلال تلك الساعات القليلة التي أمضياها سوياً.

- ما الذي سيحصل الأسبوع المقبل؟ هل أستنتج أنك سوف تنتقل في أرجاء أوروبا؟

- الأسبوع القادم سنسافر إلى الدورو لأقدمك إلى عائلتي.

لاحظت ليوني توتراً ما في صوت فيدال، فألقت نظرة باتجاهه مستفسرة: «هل أستنتج أنهم لا يعرفون شيئاً عن زواجك؟».

أقر فيدال: «ليس بعد، ومن المرجح أنهم لن يوافقوا».

بدا الغرور واضحاً على خدي ليوني إذ قالت: «أتعني أنهم قد يعتقدون أنني لست جيدة بما فيه الكفاية حتى أنضم إلى عشيرة آل دوس سانتوس؟».

لامست فم فيدال الحازم ابتسامة ملتوية، وقال: «التكبر والغرور ليس حكراً على عرق واحد فقط. لكن عندما سيواجهون الأمر الواقع، لن يبقى أمامهم أي خيار سوى تقبل اختياري للعروس».

قالت ليوني بتوتر: «لا يحق لك أن تفاجئني بهذا الأمر الآن. كيف يفترض بي أن أتصرف؟».

أجابها: «تصرفي على طبيعتك، فهي ستساعدك على اجتياز ذلك».

في هذه اللحظة بالذات شعرت ليوني أن طبيعتها في أسفل درك ممكن. أدارت رأسها نحوَ النافذة لتتأمل المنظر في الأسفل، فيما ساورها إحساس بأنها أسيرة. التأقلم مع زواج تم عقده تحت الإكراه أمر سيء بما فيه الكفاية، فما بالك بمواجهة عائلته الارستقراطية؟

هبطت الطائرة بهما، ونزلا عن متنها بسهولة. لم يكن فيدال يحمل أي أمتعة باستثناء كمبيوتر محمول، ما جعل ليوني تفترض أنه يمتلك خزانة ملابس كاملة في كل الأماكن التي يتواجد فيها. لم تتوقع أن تكون بانتظارهما سيارة ليموزين يقودها سائق، لكن سيارة المرسيدس رودستر البيضاء بدت مؤثرة بما فيه الكفاية. أنزل فيدال سقف السيارة بعد أن غادرا محيط المطار.

فكرت ليوني أنها ستحيا حياة البذخ والرفاهية من الآن فصاعداً، أو على الأقل طالما يدوم هذا الزواج.

قطعا بالسيارة أطراف المدينة كي يتوجها نحو التلال، فمرّا بالقرب من قرى طليت بيوتها باللون الأبيض الكلسي، حيث انتشر عدد من الفيلات الخاصة بالأغنياء، واتجها إلى سيرا دي سينترا. مرا بقرية تقع عند أسفل الجبل تماماً، لكن فيدال تابع سيره عبرها، فأخذت الطريق تتجه صعوداً وتلتف حول الجبل الذي تغطيه الغابات الكثيفة. أخيراً وصلا إلى منطقة صغيرة في الأعلى، يقع في وسطها ذاك القصر الضخم.

- سينترا لا تبعد كثيراً من هنا.

تقع الكوينتا على بعد حوالى النصف كيلومتر خارج البلدة، ويتم الوصول إليها عبر طريق دائرية تتخللها الأشجار. بدا القصر أبيض لمّاعاً تحت أشعة شمس ما بعد الظهر، وقد تم بناؤه انسجاماً مع انحدار الأرض، بحيث ينزل على التل بشكل متدرج. أما البرج المخصص للحرس فاحتل موقعاً بارزاً في الطابق العلوي.

- إنه رائع! أستغرب كيف تحتمل مغادرة المكان!

أبدت ليوني تعجبها، وقد غمرها جمال المكان وروعته.

أجابها فيدال: «أنا أجد حياتي مبتورة إذا أقمت هنا بصورة دائمة».

تناول حقائب ليوني من صندوق السيارة، وأشار إلى درج حجري يؤدي إلى باب من خشب السنديان، ثم قال: «تقدمينى».

انفتح الباب قبل أن تصل إليه، وظهرت امرأة سمينة لطيفة المظهر. وقفت هناك تراقبها متفحصة باستغراب واضح، ثم حولت اهتمامها نحو الرجل الذي

وصل إلى جانبها، فسألته شيئاً ما باللغة البرتغالية. رد عليها فيدال بعد قليل باللغة نفسها، فارتسمت على وجه المرأة نظرة دهشة نتيجة ذلك. أضاف موجهاً الكلام لليوني: «هذه هي مدبرة منزلي، إيلينا. إنها لا تتكلم الإنكليزية أبداً».

علقت ليوني، وهي تبتسم تجاه المرأة: «بينما أنا لا أتكلم البرتغالية أبداً. كان بإمكانك أن تهيأني لهذا، والأمر ينطبق عليها أيضاً».

وقفت إيلينا جانباً، فيما دخل فيدال عبر الباب. بدت ملامح وجه المرأة الأخرى مقروءة بكل اللغات. من الواضح أنها علمت للتو بأمر زواج مخدومها، وهذا مثال آخر على غروره.

وصلا إلى بهو واسع رصفت أرضه بالآجر. المداخل المؤدية إلى الغرف الموجودة على جانبي البهو تعلوها قناطر مقوسة، وهنالك درج يؤدي إلى الطابق العلوي.

ناول فيدال أحدهم الحقيبة والكمبيوتر النقال، فتمتم شيئاً لم تسمعه ليوني، وحتى لو تمكنت من سماعه فإنه لن ينفعها كثيراً.

توجهت إيلينا نحو الدرج، فدعا فيدال ليوني لتدخل إحدى الغرف قائلاً: «من هنا. أظنتا ستتناول مشروباً ما ثم غداء مبكراً».

فكرة تناول الغداء ما زالت تبعد كثيراً عن ذهن ليوني، فالطعام هو آخر شيء يشغل بالها الآن. لو أن الظروف مختلفة، فإن فكرة أن تمضي أسبوعاً واحداً في محيط كهذا ستملأها غبطة.

أضاءت أشعة الشمس الغرفة التي يحتل أحد جوانبها موقد حجري عريض، فبدت مضيافة تماماً مثل البهو، كما لو أنها تدعو المرء ليدخل فيجلس ويسترخي على أرائكها ومقاعدها الوثيرة المريحة. أما أرضها ففرشت بسجادة بهتت ألوانها. من الواضح أن اللوحات المعلقة على الجدران الحجرية أصلية.

تخلّص فيدال ممّن سترة بذلته الرسمية، فعلقها فوق المسند الخلفي لإحدى الكراسي ثم ألحقها بربطة عنقه. سأل ليوني: «ما الذي ترغبين بتناوله؟».

ردت ليوني: «لِمَ لا نشرب القهوة؟».

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

سرعان ما لمس فيدال زر جرس مخصص لاستدعاء الخدم ثم قال: «سيستغرق الأمر بضع دقائق. لِمَ لا تجلسين؟».

الرجل الشاب الذي ظهر بعد قليل في الباب يرتدي سروالاً غامق اللون مع قميص بيضاء مخصصة للخدم. مع ذلك لم تبدُ أي لمحة من الذل في تعابيره المرحة. أخذ الشاب طلب فيدال ثم غادر، وعاد بعد دقائق وهو يحمل صينية عليها إبريق القهوة مع كوبين. سكب فيدال القهوة لكليهما، فتناولت ليوني منه كوبها، وارتعدت لمجرد تلامس أناملهما.

رفع فيدال كوبه إلى فمه قائلاً: «بارا ميلورار أو كونيسيمنتو!».

- ما الذي يعنيه ذلك بالضبط؟

- نخب التعارف الأفضل.

- من النوع الواحد المحدد؟

صحح لها فيدال قائلاً: «إنه خلاصة أي علاقة بين رجل وامرأة».

- وحده الرجل ينظر إلى الأمر على هذا النحو.

ضحك فيدال وقال: «أتعتبرين الصداقة أساساً أفضل؟».

- أنا أعتبرها على القدر نفسه من الأهمية.

أبعدت عن ذهنها أي ميل إلى التهاون والليونة، وتابعت: «باستثناء أمر أو اثنين نتشارك بهما في ذوقينا، نحن أبعد عن بعضنا مما يمكن أن يكون عليه أي شخصين آخرين. لافكرة لديك أي نوع من الأشخاص أنا فعلاً. جل ما تعرفه عني هو ما تراه. لو أنني لا أبدو على الشكل الذي أنا عليه، ما كنت لتنظر إلي أبداً».

وافقها فيدال: «ذلك صحيح على الأرجح. وهل كنت ستشعرين بالانجذاب نحوي منذ اليوم الذي التقينا فيه لو أنني كنت سميناً وأصلع؟».

رفعت ليوني ذقنها وقالت: «لعلني كنت سأفعل».

هزّ فيدال رأسه ضاحكاً وقال: «إنك كاذبة لطيفة، لكنك ما زلت كاذبة! أما بالنسبة إلى معرفتي أي نوع من الأشخاص أنت حقاً، فذلك سيأتي في حينه، كما أنك سوف تعرفين المزيد عني».

أقرت ليوني مستسلمة أنها تهدر طاقتها سدى في محاولة النيل منه بهذه الطريقة. لعله على حق... لعله يجدر بها أن تترك الأمور على حالها.

- بشأن زيارتنا لعائلتك، أشك أنني أمتلك الملابس الملائمة كي أؤثر على الارستقراطيين.

رد فيدال: «الأرستقراطية التي تفكرين بها اختفت منذ أكثر من ثلاثين سنة. الملابس مسألة تتعلق بالذوق، وأنا أجد ذوقك رفيعاً جداً. على أي حال لشبونة مركز ممتاز للتسوق، تجدين فيه الملابس الملائمة إذا ما رغبت. سوف أرتب لك بعض الحسابات المصرفية لتستخدميها».

لا مجال أبداً بأن أسمح لك أن تشتري لي الملابس! اندفع هذا الكلام على رأس لسانها، لكنها عضت على شفتها وتراجعت عن التفوه بالكلمات عندما أدركت أنها ستبدو سخيفة مضحكة.

أخذها فيدال في جولة سريعة على المنزل قبل أن يتناولا الطعام. تبين لها أن المنزل مؤلف من أربعة طوابق، وأنهما دخلا إلى الطابق الثاني. كما اتضح لها أن الطابق السفلي مخصص للمطبخ وهو مقر للموظفين، أما الطابق الثالث فمخصص لغرف الجلوس والاستقبال. غرف النوم تقع في الطابق الأعلى، حيث يقع الجناح الذي سيشغلانه وهو يطل على منظر رائع للجبال وللسهول الساحلية الممتدة نحو البحر. احتل سرير ضخم رائع ذو أربعة أعمدة مكاناً مركزياً في غرفة النوم ذات الجدران المطلية باللون الأبيض، أما الحمام المتصل بالغرفة ففيه حوض جاكوزي. خلف غرفة النوم هناك غرفة جلوس مفروشة بأناقة.

كانت حقائب ليوني موضوعة داخل غرفة الملابس، أما مفتاح الحقائب فما زال داخل حقيبة يدها، لذلك لم يتم إفراغها بعد. ظلت ليوني بمفردها بناء لطلبها لكي تحضر نفسها قبل العشاء. غيّرت ملابسها بسرعة فخلعت البذلة الرسمية التي كانت ترتديها أثناء مراسم الزفاف وارتدت فستاناً بسيطاً ذا أزرار. غطت خزائن الملابس الواسعة أحد جدران الغرفة، وقد ضمت إحداها البذلات الرسمية فيما احتوت خزانة أخرى على ملابس عادية وأقل تكلفاً.

لابد أن الثياب التي أحضرتها ليوني معها سوف تبدو ضائعة في الخزانتين المتبقيتين.

تناول العروسان عشاء خفيفاً مكوّناً من السلطة والأسماك وهما يجلسان على الشرفة التي تطل على المنظر الطبيعي نفسه الذي يمكن مشاهدته من غرفة النوم. غابت الشمس تاركة خلفها توهجاً خلاباً. بعد قليل أضيئت الشرفة بإنارة خفيفة.

بدا فيدال مرتاحاً تماماً، وقد لف كمي قميصه وفتح أزرار القبة. تساءلت كم من النساء أحضر إلى هنا ليتمتع برفقتهن. لابد أن إيلينا تعرف ذلك، لكن حتى لو كان بمقدورها أن تتكلم اللغة نفسها معها، بالكاد يمكنها أن تطرح عليها سؤالاً كهذا. خلال فترة قصيرة سوف يأخذها فيدال إلى الطابق العلوي... إلى غرفة النوم. حسناً! لابد أن تقر بأنها لا تشعر بأي إحساس من الخوف بل تشعر بالانتظار والترقب.

حاولت ليوني يائسة أن تجد موضوعاً يبقي أفكارها متماسكة، فسألته: «منذ متى تعمل إيلينا لديك؟».

- منذ أن انتهى العمل بالمنزل. قبل ذلك كنت أمتلك شقة في المدينة.

علقت ليوني بخفة: «أنت حققت نوعاً من الأعجوبة في عالم التجارة، فما هو شعورك بعد أن حققت الكثير خلال فترة قصيرة من الوقت؟».

أقر فيدال قائلاً: «إنه شعور مرضٍ، ورثت إحدى ثرواتي من جدي لوالدي والثروة الأخرى من جهة آل باريلا، وبعد وفاة والدي سأصبح وريثاً للملكية بأكملها».

ابتسم ابتسامة باهتة وتابع: «وآمل -لصالحه ولصالحي أيضاً- ألا يحدث ذلك قبل فترة طويلة».

خاطرت بالقول: «ألأنك ستشعر بأنك مجبر على العودة للعيش هناك؟».

- ذلك ما هو متوقع، فبكوني ابناً وحيداً لعائلتي يتوقع مني أن أفعل الكثير من الأشياء التي لا رغبة لدي بفعلها. لسوء الحظ والدتي لم تقدر على إنجاب المزيد من الأطفال.

قالت ببعض الخشونة: «لمَ تلوم والدتك؟ لعل الذنب يقع على والدك».

ارتعشت شفتا فيدال، ثم قال: «يمكنني التشكيك بقدرة والدي على الإنجاب، لكن والدتي تعرضت لمشاكل صحية جعلت إنجابها للمزيد من الأطفال أمراً خطراً على حياتها».

قامت ليوني بحركة تنم عن الاعتذار، فقالت: «آسفة على تسرعي في الاستنتاج. لابد أن الأمر كان صعباً على كليهما».

- خصوصاً عندما أنجب نسيبه برناردو أربعة أطفال.

كاد الظلام يحل تماماً الآن، فبدأت النجوم تومض في السماء التي بدأت تتحول إلى لون أسود مخملي. راقبته ليوني عبر الطاولة فيما راحت نبضات قلبها تتسارع. بدا وجه فيدال كأنه منحوت من البرونز تحت وقع الإضاءة الخفيفة المنبعثة من الأنوار المعلقة على الجدار. جل ما تعرفه عنه حتى الآن هو الشعور الذي يثيره فيها. تكلمت بسرعة لتصرف ذهنها، فسألته: «أيحتمل أن تكون ردات فعلهم غير مرحبة أيضاً؟ أعني أنسباؤك؟».

- ربما!

شيء ما في تعابير وجهه حذّرها بألا تلح في متابعة الموضوع. تابع فيدال: «أظن أن الشاي المعطر سيكون مناسباً لإنهاء العشاء».

أحست أن غريزتها تدفعها إلى التحدي، لكنها تراجعت عن التفوه بالكلمات. مهما كان سوف تواجه ما يفترض بها أن تواجهه عندما يحين الوقت لذلك، أما الآن فلديها أمور أخرى تشغل ذهنها.

ذهب فيدال لإحضار الشاي، وما لبث أن عاد حاملاً الصينية وعليها الأبريق مع الكوبين. راقبته ليوني وهو يسكب السائل الذهبي، فتذكرت آخر مرة شربا فيها الشاي المعطر سوياً منذ بضعة أسابيع فقط. لا يمكنها أن تتخيل حصول هذا الكم الكبير من الأمور خلال هذه الفترة القصيرة!

تكلمت ليوني من دون إرادة واعية فقالت: «ما الذي تفعله لو وجدت أنني لست تلك الفتاة العذراء التي ظننتها؟».

رمقها فيدال بنظرة خالية من القلق، وقال: «كما أخبرتك مسبقاً لو كانت

لديك علاقة جدية مع أي رجل لعلمت بذلك».

– هل اعتبرت أن من المسلم به ألا اندمج في علاقات غرامية جدية؟

وافقها قائلاً: «نعم. ليس من طبعك أن تقيمي علاقات غرامية عابرة».

ذكّرته ليوني قائلة: «لكنك كدت تجبرني على ذلك».

انتفضت شفتاه، وقال: «أنا لست فخوراً بتصرفي ذاك اليوم. سمحت لرغبتي في الانتقام بأن تسيطر على كل اعتباراتي الأخرى. لحسن الحظ أنني استعدت رشدي في الوقت المناسب حتى أمنع نفسي عن ارتكاب أمر أندم عليه لبقية عمري».

تعلقت نظرات ليوني بنظراته، وقالت: «والآن، ألست نادماً على ما فعلته؟».

– هل كنت ستقبلين بي بأي طريقة أخرى؟

ابتسم باقتضاب عندما فشلت في الرد، وتابع قائلاً: «سواء كان ما قمت به صحيحاً أم لا، هذه فرصة ما كنت سأسمح لنفسي بتفويتها».

ثم التمعت شرارة في عينيه وهو يراقبها قائلاً: «أنت ملكي الآن!».

اعترضت ليوني قائلة: «أنت لا تملكني!».

– أهي صرخة تنادي بحقوق المرأة؟

جاءت نبرة فيدال ممازحة، فرضخت ليوني مدركة أنه يحاول إغاظتها. أخذت رشفة من الشاي لتتقي حلقها. لابد لها أن تقر بأنها لن تواجه صعوبة كبرى في التأقلم معه. استخدم فيدال مأزق والدها بشكل عديم الرحمة لكي يحصل على مبتغاه. لكن الأمر حصل الآن، وآن الأوان لكي تستفيد من وضعها الحالي بأفضل صورة ممكنة.

لو أنها تجده منفراً من الناحية الجسدية لجرت الأمور بشكل أسوأ بكثير. وضع فيدال كوبه على الطاولة، وتناول كوبها برفق. بدت عيناه مشرقتين مضيئتين حين قال لها بلطف: «أجد نفسي غير قادر على الانتظار لفترة أطول. تعالي يا عزيزتي!».

سمحت له ليوني بأن يجذبها لتقف على قدميها، فيما راح قلبها يدق بقوة. لم

ينبس أي منهما ببنت شفة فيما قادها فيدال إلى الأعلى عبر الطوابق الثلاثة. بدا المكان بأسره هادئاً، أما غرفة النوم فأضيئت بأنوار خافتة، فيما أبعد غطاء الساتان إلى طرف السرير، وأزيحت الأغطية الحريرية إلى الوراء عن الجانبين. أما رداء النوم الأبيض ذو القماش المخرم فكان ملقى بعناية على السرير. افترضت ليوني أن إيلينا فعلت ذلك.

لم يهدر فيدال أي وقت على الطقوس المعتادة. بل أدار ليوني نحوه وعانقها بشغف. استجابت له ليوني بشكل غريزي، فانزلقت ذراعاها حول عنقه فيما اقتربت منه باحثة عن الدفء والصلابة اللتين تذكرهما جيداً. لم يتمكن أي رجل من قبل من التأثير عليها بهذا الشكل كما يفعل فيدال. تعلقت به عندما حملها عبر الغرفة نحو السرير. ووضعها برفق على الأغطية الكتانية النظيفة. ثم أخذ يتأمل بعينين تتقدان بالشوق جسدها النحيل.

غمغم قائلاً: «يا إلهي، كم أنت جميلة!».

راقبته ليوني فيما راحت الدماء تضج في أذنيها. بدت بشرته كما لو أنها مدهونة بالزيت تحت نور الغرفة، كما ظهرت بنيته العضلية القوية. دبت الحياة في كل ذرة من كيانها لدى إحساسها بجسد فيدال وهو ينسل ليتمدد إلى جانبها. أما عطره فأرسل تموجات من الأحاسيس القوية عبر جسدها. بدت لمساته كجناحي الفراشة على بشرتها. علقت الأنفاس في حلقها، ووقع كيانها بأكمله أسير الشغف بسبب ذلك الشعور الغامر.

نظر إلى وجهها اللطيف الذي يؤطره الشعر الأحمر المنتشر فوق الوسادة البيضاء. أما الوهج الذي ظهر في عينيه السوداوين فأسرها تماماً. حين عانقها تجاوبت ليوني بشغف، فمرّرت يدها من خلال شعره الكثيف وهي تسمع نبضات قلبها كدوي الرعد في أذنيها. بدا فيدال بالغ الرقة وهو يقودها إلى عالم الزوجية الساحر...

كان فيدال أول من وجد صوته ليتكلم، إذ غمغم قائلاً: «علمت منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها أن العلاقة بيننا ستكون رائعة. أنت وأنا خلقنا لبعضنا البعض».

في تلك اللحظة بالذات لم تستطع ليوني إيجاد أي اعتراض على ذاك التصريح، فهي لم تشعر بمثل هذا الرضى التام المطلق أبداً طيلة حياتها. إنه أمر يستحق الانتظار! تلك كانت آخر فكرة مرّت في ذهنها فيما انجرفت مستسلمة للنوم.

عندما استيقظت ليوني كان السرير إلى جانبها فارغاً، أما النوافذ فمفتوحة أمام صباح مشبع بأشعة الشمس وبالعبير المنبعث من الأزهار المنتشرة فوق التلال.

فكرت أن ما حصل بينهما يتخطى كل ما حلمت به أو تصورته يوماً. أقرت أن ذلك نتيجة الخبرة والتجربة اللتين يتمتع بهما فيدال. في الواقع، إن الزواج يتضمن أموراً تتخطى العلاقة الجسدية فقط، لكنها إحدى الخطوات في درب الزواج. وعدها فيدال بألا تكون هنالك أخريات غيرها في حياته. إذا ما التزم بكلامه هذا، فقد يحظيان بفرصة حتى يشكلا ارتباطاً أعمق. نظرت ليوني إلى الساعة المجاورة للسرير، فرأت أنها تجاوزت التاسعة. لم تكن لديها أي فكرة متى نهض فيدال. تحرك شيء ما في داخلها حين فكرت أنها كانت لترحب بفكرة أن يوقظها بعناق لطيف. وجدت ثياب النوم الخاصة بها على الأرض، فهي لم تحظَ بأية فرصة لارتدائها. نهضت لتستعيدها وقد أحست بالخجل إلى حدٍ ما.

أخذت ليوني حماماً سريعاً، وارتدت سروالاً قطنياً مع قميص قطنية، ثم وضعت رجليها داخل صندال. رأت من النافذة بعض البستانيين يعتنون بأحواض الزهور، واستطاعت أن تسمعهم يثرثرون لتمضية الوقت. استبعدت أن تجد بين موظفي المنزل من يتكلم اللغة الإنكليزية، وذلك يجعل تعلمها للغة البرتغالية في أسرع وقت ممكن أمراً ضرورياً.

أدركت ليوني أنها نسيت تماماً أمر الاتصال بوالدها هاتفياً لدى وصولها إلى هنا كما وعدته. سوف يكون في مكتبه أثناء هذا الوقت، أو بالأحرى يجدر به أن يكون هناك. وجدت هاتفاً في غرفة النوم، وآخر في غرفة الجلوس. اختارت ليوني الأخير، فجلست على أحد المقاعد، وطلبت الرقم مباشرة.

جرى التواصل من دون أي تعقيدات، وتم تحويلها على الفور إلى خط مكتب والدها.

- انتظرت اتصالك طيلة المساء.

قدمت ليوني اعتذارها قائلة: «آسفة! شغلني هذا الموضوع بأكمله، السفر وما شابه. كيف تجري الأمور على أي حال؟».

أقر والدها معترفاً: «لا بأس! مع أنني لست واثقاً من أن سايمون سيلتزم الصمت».

توقف قليلاً عن الكلام كما لو أنه ينتظرها لتقول شيئاً آخر، ثم أضاف يسألها: «هل أنت... على ما يرام؟».

طمأنته ليوني قائلة: «أنا بخير. أنا أجلس هنا في أروع منزل في أكثر المواقع جمالاً، وما زلت لا أصدق أنه منزلي».

- أنا بالكاد أصدق الأمر أيضاً. حصل كل شيء بسرعة فائقة.

توقف والدها عن الكلام مجدداً، وغدت نبرته أكثر لطافة حين تابع: «تبدين سعيدة».

- أنا كذلك... أنا فعلاً كذلك أبي.

الآن بالذات أمكنها أن تقول ذلك بكل صدق.

- هل فيدال معك الآن؟

- لا، تركني أعوض ما فاتني من نوم. بدا يوم أمس نهاراً طويلاً جداً، السفر وما إلى ذلك.

أطلق ستيوارت ضحكة مقتضبة ثم قال: «أنا واثق من ذلك. ما الذي تنوين فعله اليوم؟».

- لست واثقة، فلدي الكثير من الاستكشاف لأقوم به. المنطقة بأكملها موقع يستحق أن يكون تراثاً عالمياً. لابد أن تأتي لزيارته يوماً.

- ربما في وقت ما.

تردد ستيوارت قبل أن يضيف بفظاظة: «سوف تخبرينني إن بدأت الأمور تسوء. أليس كذلك؟».

أبقت ليوني على نبرة صوتها خفيفة، وقالت: «ما الذي يمكن أن يسوء؟ سوف أتصل بك هاتفياً خلال بضعة أيام. اعتنِ بنفسك أبي».

أعادت ليوني السماعة إلى مكانها قبل أن يتمكن والدها من قول أي شيء

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

آخر، إذ من المحتمل أن تكون لديه فكرة غامضة بأن الأمور ليست كما يفترض بها أن تكون تماماً، لكنه سيتقبل الأمر ما دامت تطمئنه عنها باستمرار. سمعت صوتاً قادماً من غرفة النوم، فأدارت رأسها نحو الباب الموصل إليها والذي تركته مفتوحاً. توقعت أن يظهر فيدال، فجهزت على شفتيها تحية لملاقاته، لكن الكلمات تلاشت عندما ظهرت إيلينا. كانت مدبرة المنزل تحمل صينية. قالت شيئاً ما باللغة البرتغالية. لم تفهم ليوني سوى كلمة السيد، لكن الصينية حملت مكونات فطور أوربي. إذا كانت تلك الكلمة تعني السيد، فإيلينا على الأرجح تحاول القول إنه أرسلها لتحمل لها الفطور. أليس من الأفضل لو أنه أحضره بنفسه؟.

قالت ليوني: «أوبريغادو».

إنها إحدى الكلمات القليلة التي تعرفها باللغة البرتغالية. تابعت: «شكراً، إيلينا. أنا ممتنة جداً!».

وضعت إيلينا الصينية على طاولة منخفضة، ثم سكبت لها كوباً من القهوة الزكية الرائحة وغادرت. لم تلمها ليوني على شعورها الذي يقل عن السرور بسبب هذا الموقف. فلا بد أنها أصيبت بالصدمة لأن مخدومها تزوج بهذه السرعة. لكن صدمة إيلينا لا تكاد تدنو من الصدمة التي سيشعر بها حواها عندما يعلمان بأمر الزواج. اقتحمت هذه الفكرة ذهن ليوني، فتخلصت منها على الفور. فلتدع أحداث الأسبوع القادم للأسبوع القادم. ما يهم اليوم هو ما يحصل الآن وهنا.

بدت القهوة ممتازة، أما الكعكات المحشوة بالمربى فبدت أكثر من لذيذة. عندما انهت فطورها كانت الساعة قرابة العاشرة والنصف، وحتى الآن لم يظهر أي أثر لفيدال. أخذت ليوني الصينية معها عندما نزلت إلى الطابق السفلي.

تركت الصينية على الطاولة في البهو في الطابق السفلي. وقفت وهي تشعر بالتردد. هل تخاطر في الدخول إلى مقر الموظفين؟ على الأرجح أن إيلينا تقيم في المكان بينما يحضر الآخرون يومياً. حتى الآن رأت ليوني البستانيين بالاضافة إلى الشاب الذي قدم لهما الشاي مساء أمس، وكان فيدال قد ناداه باسم باولو. لم تكن لديها أدنى فكرة عن مكان وجود فيدال نفسه. فبعد أسلوبه

الرقيق في التعامل معها ليلة أمس توقعت . . . حسناً! هي ليست واثقة مما توقعته، لكنها بالتأكيد لم تتوقع أن يتركها بمفردها. والآن، حتى لو التقت أحد أولئك الموظفين لديه لا يمكنها أن تسأله عن مكانه لأن حاجز اللغة يجعل ذلك أمراً مستحيلاً.

كانت ليوني ما تزال واقفة في مكانها وهي تشعر بالتردد عندما صعد باولو من الطابق السفلي، فحياها قائلاً: «صباح الخير، سينيورا».

ثم تابع بلغة إنكليزية عرجاء: أترغبين بشيء ما؟»

غمرها إحساس بالارتياح، فسألته: «أين هو السينيور دوس سانتوس؟».

أجابها الشاب: «ذهب إلى المدينة».

حدقت ليوني به بدهشة، وقالت: «المدينة! أتقصد لشبونة؟».

أكد لها قائلاً: «المدينة، نعم. إلى. . .».

بحث عن الكلمة التي يحتاجها، وتابع وهو يشعر بالانتصار: «. . . الشركة. لديه مفاوضات».

أحست أنها مخذولة تماماً. يبدو أن انطباعاتها الأولى صحيحة، فيدال لا يكن لها أي مشاعر تتخطى الرغبة الجسدية. أما اليوم فعاد إلى عمله كالمعتاد. فجأة بدا لها المنزل كئيباً. توجهت إلى شرفة سفلية بعيدة عن الرجال الذين يعملون في الطابق العلوي. كانت شمس الصباح حامية، فرحبت بالظلال التي وفرتها لها شجرة متدلية الأغصان. جلست على مقعد حجري، وراحت تتأمل المنظر الطبيعي الساحر بعينين تفتقدان إلى التألق.

حسناً! ما الذي توقعته فعلاً؟ سألت ليوني نفسها بأسى. قد يبدو أن فيدال يتمتع بجانب أرق وألطف من طبيعته المعتادة، لكن ذلك أمر ظاهري فقط. وها قد برهن لها ذلك هذا الصباح. فكرت أن أمامها خيارين: يمكنها أن تتقبل الموقف كما هو فتستمتع بناحية واحدة على الأقل، أو يمكنها أن تصدّه وتنفره وذلك باعتماد أسلوب الجمود معه. الخيار الثاني قد يكون الأصعب نظراً إلى الاحساس الذي جعلها تشعر به، لكنه السلاح الوحيد الذي تمتلكه.

عاد ذهن ليوني إلى التركيز الحاد لدى سماعها صوت محرك سيارة. بعدما استدارت السيارة حول مدخل المنزل كشف سقفها المفتوح أن السائق هو امرأة

في مثل سنها تقريباً. وما لبثت أن توقفت في الباحة الأمامية. حدقت المرأة ذات الشعر الأسود والمظهر الجذاب نحو ليوني وقد بدا عليها الارتباك بوضوح.

- ما الذي تفعلينه هنا؟

أجابت ليوني: «أنا آسفة، لكنني لا أتكلم البرتغالية».

- أأنت إنكليزية؟

بدت الكلمات واضحة بما يكفي بالرغم من لهجة المرأة الثقيلة، أما الارتباك فبدا أكثر وضوحاً عندما تابعت قائلة: «ما الذي تفعلينه هنا؟».

لم تقدر ليوني على إعطائها سوى جواب واحد، فقالت: «أنا زوجة المالك. أنا أقيم هنا».

بدت المرأة مصعوقة، فقالت: «زوجة...؟! أظنك تمزحين معي!».

استطاعت ليوني أن تتكلم بصوت هادئ قائلة: «هذه ليست مزحة. من أنت على أي حال؟».

أومضت عينا المرأة الغامقتين، وقالت: «أنا سانتشا بارتيوكالديرا! أين هو فيدال؟».

- لقد خرج.

- متى سيعود؟

بدا كلامها أشبه بالأمر. أحست ليوني أن أعصابها تنتفض، فقالت: «ليست لدي فكرة. ربما يمكنني أن أسلمه رسالة منك».

- أنا لا أترك أي رسائل!

بدا كلامها شريراً، ومالبثت أن صفقت باب السيارة وانطلقت مسرعة وهي تستدير بالسيارة في حلقة تاركة الحصى تتطاير تحت إطاراتها. إنها امرأة ذات طبيعة سريعة الاشتعال. فكرت ليوني بذلك وهي تراقب السيارة تسير مسرعة نزولاً من مدخل المنزل. إنها حتماً ليست امرأة تتقبل الرفض بسهولة. إن كانت على علاقة تتخطى الصداقة مع فيدال، فذلك يبرز شعورها بأنه أساء إليها.

كانت ليوني ما تزال جالسة في المكان نفسه عندما عاد فيدال بعد حوالى العشرين دقيقة، فأوقف سيارته المرسيدس أمامها.

حياها مبتسماً: «صباح الخير. هل استرحتِ تماماً؟».

عزمت ألا تستسلم للمشاعر التي بدأت تغلي في داخلها، فأبقت على نبرة صوتها سطحية: «نعم».

انتظرت حتى ابتعد عن السيارة قبل أن تضيف: «جاءك زائر قبل برهة قصيرة».

استند فيدال إلى مقدمة السيارة، وثنى ذراعه بشكل عابر، وهو يتفحصها رافعاً حاجبيه، ثم قال: «أحقاً؟ هل ترك اسمه؟».

- سانتا شيئاً ما...

بحثت ليوني عن إشارة ما تدل على الانزعاج أو التشويش في ملامحه النحيلة، لكن ملامح فيدال بقيت مرتاحة.

- بدت منزعجة قليلاً لرؤيتي هنا.

اتقدت عيناه السوداوان بالاستمتاع، وقال: «قليلاً فقط؟».

- أتعني أن هنالك سبباً يدفعها إلى المزيد؟

- إنها مسألة رأي. شأنها شأن العديد من النساء، سانتشا تنتظر الكثير من علاقة قصيرة.

- أتعني أن نومك مع امرأة ما لا يمنحها أي نوع من المؤهلات؟

ردّ فيدال برقة:

- إن أحد الأمور التي أجدها صعبة الفهم لدى الإنكليز هي إشارتهم إلى العلاقة الحميمة بعبارة. «النوم». ولأرد على سؤالك، أنا أعتبر أن العلاقة بيننا كانت مرضية لكلينا.

- وهل تعتبر أن علاقتنا أيضاً مرضية؟

انجذب حاجباه سوياً وهو يراقبها، ثم قال: «حسناً! ما هو الشيء الذي تجدينه مفقوداً في علاقتنا؟».

- الأحاسيس. ما حدث بيننا ليلة أمس هو مجرد علاقة لاشيء أكثر. لن

أدعي أنني كرهت ذلك حينها، لكن ذلك لا يغير حقيقة افتقارنا لأية مشاعر تجاه بعضنا البعض.

سألها فيدال بنعومة: «أتقولين هذا لأنني تركتك بمفردك هذا الصباح؟».

كذبت ليوني قائلة: «لا، على الإطلاق. شعرت بالامتنان لهذه الفرصة التي سمحت لي أن أرى الأمور بوضوح».

لم يغير فيدال وقفته، لكن ظهر أثر خفيف للاستمتاع في عينيه الآن، فقال: «وإلى أي استنتاجات توصلتِ؟».

ثبتت ليوني أعصابها وجرأتها، فكبحت أي ميل للتراجع إلى الوراء. قالت:

- ربما أنا عالقة في هذا الزواج، إلا أنني لست مضطرة إلى لعب دور الزوجة السهلة الانقياد.

تكلم فيدال بعد لحظة بدت طويلة قائلاً:

- دعيني أتأكد من أنني فهمت ما تقصدينه بشكل صحيح. أتقولين إنك ما عدتِ تنوين الانغماس في هذه العلاقة الحسية التي تكلمتِ عنها؟.

رفعت ليوني ذقنها، وقالت: «هذا صحيح».

أطلق فيدال ضحكة ساخرة، وقال:

- نظراً إلى تجاوبك معي ليلة أمس، فأنت غير قادرة على اتخاذ تلك الخطوة، ليس أكثر مما أنا قادر على ذلك!.

ابتعد عن السيارة ليقف باستقامة، وقال: «سأدعك لتفكري بالأمر».

قاد السيارة نحو المراتب الواقعة بعد المنعطف ناحية التل. لم تكن تنوي التمادي إلى هذا الحد، لكن بدا لها كأنه تم سحب الكلمات من فمها. بالطبع، إن رفضها تماماً للنوم معه هو أمر غير ممكن. إنها تشك أن ينحدر فيدال إلى حد استعمال القوة معها، فضلاً عن ذلك فمستقبل والدها ما زال بيده. الشيء الوحيد الذي يمكنها أن تفعله هو وضع كل جهودها في السيطرة على غرائزها الفطرية. ففيدال لن يستمتع بعلاقتهما الحميمة إذا ما ظلت هي لامبالية وغير متأثرة به على الإطلاق.

٤ - معركة خاسرة

قُدم الغداء على الشرفة نفسها حيث تناولا العشاء مساء أمس. فكرت ليوني في أن تفوته، لكنها رأت أنها ستكون مبادرة عديمة الجدوى. توقعت أن تجد فيدال أقل مودة معها بعد الكلام الذي قالته له، لكنه بدا متغافلاً عن أي توتر بينهما، حيث أعلن قائلاً: «هنالك تعديل في المخطط. أنا مضطر للذهاب إلى زوريخ، ويمكننا أن نذهب من هناك إلى الدورو».

- ما الذي يفترض بي أن أفعله في زوريخ بينما تقوم أنت بمناقشة الأعمال؟

هزّ فيدال كتفيه بخفة، وقال: «ما يفعله غالبية الزوّار. إنها مدينة تاريخية. سأعرفك إلى هيلين بوشيه زوجة أحد مدراء المصارف لدي، وسوف يسرها أن ترافقك للتجول في أرجاء المدينة. سنغادر في الصباح، لذا يمكنك أن تسدّي النقص في خزانة ملابسك هناك. سوف تجدين أن زوريخ مركز ممتاز للأزياء والتسوق».

الملابس هي آخر ما تفكر به ليوني الآن. يبدو أن فيدال لم يأخذ ما قالته على محمل الجد. حسناً! سوف يرى أنها مصممة على موقفها، سألها فيدال: «إذاً، ما الذي تنوين فعله ببقية النهار؟ أنا تحت تصرفك بالكامل».

لو أن مشاعرها تجاهه ما زالت كما كانت عليه لما وجدت ليوني أي صعوبة في اختيار طريقة لتمضية الوقت، أما الآن بالذات فجلّ ما تود فعله هو أن توضب حقائبها وتتوجه إلى منزلها، إلّا أنها غير قادرة على ذلك.

أمضيا فترة ما بعد الظهر يستكشفان محيط فيلا سينترا. بدا المكان ساحراً بنباتات البوغانفيللا النضرة وأزهار الغارديتيا والمريمية، وبآثار القرون الخمسة من التاريخ بين جدرانها..

خلال هذه الفترة من السنة، لم تكن الشوارع الشبيهة بالمتاهة خالية. استأجر فيدال عربة تجرها الخيول حتى يتجولا على المنحدرات الغرانيتية حيث تستقر بقية أجزاء المدينة. بدت ليوني مذهولة بتنوع الفن المعماري وبالمناظر الخلابة الرائعة وبأجواء المكان الساحرة.

- بالطبع سمعت به. كنت أنوي زيارة هذا المكان يوماً ما.

اتزنت ليوني عندما تذكرت فجأة سبب وجودها هنا، فيما تنبهت لعيني فيدال السوداوين المنصبتين على وجهها. علق: «سوف تعتادين عليه كما ستعتادين على نمط حياة مختلف. الكويتا ستكون مقرنا الأساسي، لكنني أتوقع منك مرافقتي عندما أسافر».

غادرا العربة ليشاهدا منظراً طبيعياً أخاذاً في الأسفل من نقطة تشرف على المكان. وجهت ليوني إلى فيدال نظرة جانبية سريعة، وقالت: «ألن تجد ذلك معوقاً لك نوعاً ما؟».

اشتدت العضلات حول فم فيدال مع أن نبرة صوته بقيت ثابتة حين قال: «إذا كنت تقصدين ما أظنك تقصدينه، فأنا أخبرتك مسبقاً أنه لن تكون هنالك أخريات. لربما بدأ زواجنا بداية سيئة لكن...».

وضعت ليوني كل ذرة ازدراء استطاعت أن تستحضرها في نبرة صوتها، وقالت: «أتسمّي الابتزاز بداية سيئة؟ أنا أسميه إجراماً».

- مهما يكن، نحن الآن متزوجان.

راقب فيدال وجهها الذي يعلوه الاحمرار للحظة بصمت، ثم قال: «هل ستتغير مشاعرك إن قلت لك إنني أحبك؟».

ردت ليوني بجواب مفحم وسريع: «أنت لا تؤمن بالحب. أخبرتني ذلك بنفسك منذ سنتين».

- ما عنيته يومها هو أنني لا أؤمن باستمرارية ذلك النوع من الحب المبني على الانجذاب الجسدي وحده. لا يمكنني أن أتذكر الكلمات التي استخدمتها بالتحديد عندما طلبت منك الزواج في المرة الأولى، لكنني ظننت أنني أوضحت لك أن مشاعري تجاهك تفوق ذلك كثيراً.

ردت ليوني بكلمات مفحمة وسريعة: «أنت لم تطلب مني الزواج بل

أخبرتني أنني سأتزوجك».

- أقر أنني كنت متعجرفاً، فردّك علي حينها لم يترك لدي أي شكوك بهذا الخصوص. مع ذلك لا أظن أنني كنت أستحق تلك الدرجة من النقد الساخر الذي وجهته لي.

دافعت عن نفسها قائلة: «كنت قد قرأت تلك المقالة عن المرأة التي ادّعت أنك تخليت عن ابنك. أعلم أن الأمر لم يكن صحيحاً لكنني...».

أنهى فيدال الكلام عنها: «لكنك ظننتني من ذاك النوع من الرجال القادرين على ارتكاب أمر مماثل حينها. هل ما تزالين تظنين ذلك؟».

هزّت ليوني رأسها، وقالت: «لا».

- لمَ لا؟ أنت لا تعرفينني الآن أكثر مما عرفتني منذ سنتين.

- أنا فقط... أعلم.

ارتبكت ليوني، فقامت بحركة مفاجئة وقالت: «هل يمكننا أن نعود الآن؟ أنا بحاجة إلى توضيب بعض الأغراض من أجل الغد».

لم يبدِ فيدال أي اعتراض، وكان قد أبقى العربة بانتظارهما. راجعت ليوني في ذهنها كل الكلام الذي قاله لها فيدال خلال الدقائق الماضية فيما كانت جالسة إلى جانبه في العربة وهما عائدان. يمكنها أن تصدق أنه لن يقيم علاقات غرامية مع أخريات لأن علاقتهما ما زالت حديثة العهد، لكنها تشك أن تدوم فكرة مرافقتها له خلال رحلات عمله لمدى طويل. كما أنها تستبعد أيضاً أن يدوم الزواج نفسه لوقت طويل.

أقرت أنه سواء طال عمر هذا الزواج أو قصر فإن التصرُّف ببرودة لن يغير شيئاً. من الأفضل أن تتقبل واقعها الحالي كما هو.

على العكس من الليلة السابقة، فيدال لم يظهر الليلة أي ميل للجوء المبكر إلى غرفة النوم. أمضيا الأمسية يتبادلان الأحاديث. بدت الأمسية ممتعة بما فيه الكفاية، لكنها افتقرت إلى أي تحد. بعد أن تناولا العشاء وأنهياه بتناول الحلوى غدت ليوني متململة ولم تعد تشعر بالاسترخاء. فكرت ساخرة أنها حتى لو لم تقرر مسبقاً التراجع عن خطتها الانتقامية فسوف تجد الالتزام بها أمراً يتخطى طاقتها. فكرت بذلك وهي تراقب فيدال الممدد بطوله الفارغ على

WWW.REWITY.COM

الكرسي المخصص للاسترخاء إلى جانبها. رطبت شفتيها لدى تذكرها لحظاتهما الحميمة ليلة أمس.

سألته: «في أي وقت سنغادر في الصباح؟».

- مباشرة بعد الفطور، فلدي موعد عند الساعة الثالثة. سوف تذهبين إلى الفندق بمفردك بينما أتوجه أنا إلى مكان الاجتماع. السويسريون يعتبرون الدقة في المواعيد أمراً مهماً.

قالت ليوني: «هل سيعرفون أنني زوجتك؟».

بدا فيدال مستمتعاً وهو يقول: «بالطبع! هل ظننت أنني أنوي إبقاء زواجنا سرياً؟».

ردت ليوني بسرعة قائلة: «باعتبار أنك لم تخبر عائلتك بعد، أفترض أنك لم تفعل بعد. أليس كذلك؟».

هز فيدال رأسه، وقال: «إعلامهم بالأمر في وقت مبكر يعني تسليحهم ضدي مسبقاً».

- حسناً! بما أننا سنتطلق باكراً يوم غد، أنا سأذهب إلى النوم.

مد فيدال يده لتناول كوب الشراب فيما نهضت على قدميها. قال: «أنا سوف أنهي مشروبي أولاً».

الفرق الواضح بين موقفه الآن وبين حماسته وشوقه ليل أمس بدا أشبه بالصفعة على وجهها. تركته ليوني جالساً في مكانه، وشقّت طريقها نحو الجناح الخاص بهما.

مضت حوالى العشرون دقيقة أو أكثر قبل أن يظهر فيدال في الغرفة. استلقت ليوني في السرير متقلقلة متظاهرة بالنوم، بينما خلع فيدال ملابسه. مرت فترة أخرى من الوقت استغرقت عشر دقائق فيما أخذ حماماً. أمسكت أنفاسها عندما انسل أخيراً إلى جانبها. راح جسدها يخزها بانتظار لمساته، لكن فيدال لم يقم بأية محاولة للمسها.

بعد فترة من الوقت قال: «أنت لست نائمة، لذا كفي عن الادعاء. إذا كنت ترغبين بي فعليك أن تظهري لي ذلك، إذ لا نية لي بملاحقتك وإقناعك».

خاضت ليوني معركة مع غرورها، لكنها خسرت لأنها لم تجد القدرة في

نفسها على الاستسلام تماماً. أقرت بخزي أنها تريد منه فعلاً أن يلاحقها. إنها تريد أن تطمئن إلى أنه مازال يشعر بالشغف نفسه تجاهها.

سرعان ما برهن فيدال بوضوح عن عدم انزعاجه حين غفا خلال دقائق قليلة. عرفت ذلك من رتابة أنفاسه. لكن مضت ساعة أخرى قبل أن تتمكن ليوني من النوم، وجاء نومها متقطعاً.

* * *

تأخرت رحلة الطائرة إلى زوريخ، فلم تصل حتى الساعة الثانية والنصف. وضعها فيدال داخل سيارة أجرة كي تقلها مباشرة إلى الفندق، بينما استقل هو سيارة أخرى نحو حي المصارف. قال لها إنه سوف ينضم إليها عند الساعة الخامسة تقريباً.

ما إن عرفت ليوني عن نفسها في الفندق حتى تمت معاملتها كما لو أنها أحد أفراد العائلة المالكة. الجناح الذي قادوها إليه بدا فخماً مترفاً بكل تفاصيله. فكرت ساخرة أن العيش بهذا الأسلوب صعب حقاً، فيما تأملت الحمام الرخامي الفخم.

لم يظهر في موقف فيدال تجاهها هذا الصباح أي تلميح مشاكس، بل إنه في الواقع بدا مثالاً للطف والمجاملة. أفرغت ليوني حقيبة ملابسها، ثم رفعت شعرها وثبتته بملقط للشعر، وغطست مستمتعة بحوض الاستحمام الضخم. أحست بالنعاس بسبب دفء المياه ولأنها لم تنم جيداً ليلة أمس. سمحت لنفسها بأن تغفو مسندة رأسها إلى الوسادة المقاومة للماء المثبتة فوق حافة المغطس، وسرّها أن ترتاح من مشاكلها لبعض الوقت.

استيقظت ليوني لتجد الماء يقطر ببطء فوق كتفيها. عندما فتحت عينيها وجدت فيدال جالساً على حافة حوض الاستحمام العريضة.

- تركت المياه تبرد كثيراً.

نظرت إليه ليوني وهي تقاوم رغبتها الفطرية بأن تتكور على نفسها بخجل. قالت: «قلت لي إنك لن تعود قبل الساعة الخامسة».

ردّ فيدال: «الساعة هي الآن الخامسة والربع تماماً».

تابع وهو يناولها إحدى المناشف السميكة: «أقترح أن تخرجي من الماء قبل أن تصابي بالرشح».

ردت ليوني من دون أن تقوم بأية حركة: «يمكنني أن أتدبر أمري جيداً بمفردي، شكراً لك. فقط دع المنشفة على الرف الصغير».

سألها فيدال: «وأي شيء آخر قد يجول في ذهني؟ عنيت ما قلته لك ليل أمس. يجب أن يصدر الأمر منك أنت. نحن مدعوان إلى العشاء مع آل بوشيه، أي أن الأمور ليست رسمية جداً».

راقبته ليوني يخرج من غرفة الحمام. فكرت بأسى أنه ربما كان على حق، فهي تصرفت كما لو أنها تلميذة مدرسة يافعة وسخيفة. الأمر نفسه يمكن أن يقال عن تهديدها له بأن تتصرف معه ببرود، فذلك لم يجعلها تكسب شيئاً. وبناء على ما قاله لها الآن بالذات، يبدو أنها مضطرة إلى تعلم التواضع إن لم ترغب بتمضية المزيد من الليالي المؤرقة.

كان فيدال يتابع النشرة الإخبارية على شاشة التلفزيون عندما دخلت إلى غرفة الجلوس مرتدية فستاناً أنيقاً باللون البرتقالي. راقبها بتقدير رفع معنوياتها وثقتها بنفسها، فقال: «ممتاز!».

سألته ليوني: «متى يتوقعون منا أن نحضر؟».

- حوالى الساعة الثامنة. علينا أنا وبيير أن نناقش بعض المسائل، لكنني واثق أنك وهيلين ستجدان الكثير من الأمور المشتركة.

وجدت ليوني نفسها مجبرة على القول: «فقط إذا كانت تتكلم اللغة الإنكليزية. فلغتي الفرنسية محدودة جداً».

طمأنها فيدال: «هيلين إنكليزية. تعرفت إلى بيير منذ أربع سنوات عندما جاءت إلى زوريخ لتمضية إجازتها. لديهما ابن في السنتين من عمره، وهما ينتظران طفلاً آخر بعد سبعة أشهر».

بدت نبرة فيدال مرتاحة فيما تابع: «إنها العائلة المثالية».

فكرت ليوني وقد أحست بغصة حسد أن بدايتها مثالية أيضاً.

نهض فيدال على قدميه قائلاً: «سأذهب لأستحم أنا أيضاً، بما أنك

خرجت من الحمام».

يقع منزل آل بوشيه في الريف خارج حدود المدينة في ناحية تكسوها الغابات وتزينها القصور. المنزل المبني من الحجر والذي تحيط به مساحة من الأرض التابعة له يمثل فعلاً ما تتوقعه ليوني كمقر لأحد مدراء المصارف السويسرية. رحب بهما آل بوشيه عند الباب. بيير رجل جذاب مليء بالحيوية في بداية الأربعينيات من عمره، أما زوجته فتصغره بحوالى العشرة أعوام. هيلين امرأة شقراء جميلة، وتتمتع بطبع سهل منفتح على الآخرين ما جعل ليوني تشعر بالارتياح. أعلنت المرأة بصراحة: «كنت أتلهف للتعرف إليك، فقد بدأت أظن أن المرأة القادرة على ربط صديقنا فيدال غير موجودة!».

قال فيدال بخفة: «أنا نفسي كدت أيأس من إيجاد المرأة التي أتحمل الارتباط بها، لهذا حرصت على الزواج بليوني قبل أن تغير رأيها».

- كما لو أنه سيتغير بأي شكل!

تكلمت ليوني محاولة أن تبدو نبرة صوتها موازية في الخفة، مع ذلك يبدو أنها لم تنجح تماماً باعتبار النظرة التي وجهها لها فيدال.

علّق بيير بلغة إنكليزية ثقيلة: «حيواتنا جميعاً هي بين يدي الأقدار».

ثم رفع إحدى يدي ليوني إلى شفتيه قائلاً: «فيدال محظوظ لأنه التقى بقدر جميل إلى هذا الحد!».

رأت الاعجاب غير الخفي في عيني الرجل عندما رفعهما نحو عينيها. لا يجدر بها أخذ مجاملاته على محمل الجد. أملت ليوني أن تتعرف إلى ابنهما الصغير، لكنه كان في السرير حين وصلا. تناولوا جميعاً عشاء شهياً على شرفة تطل على بحيرة صغيرة. بدت هيلين مضيفة ممتازة بكل ما للكلمة من معنى، وأحست ليوني أنها قد تتأقلم مع حفلة عشاء لعشرين شخصاً بالسهولة نفسها.

قالت ليوني ذلك لهيلين بعد العشاء عندما ذهب الرجلان إلى اجتماع يتعلق بالعمل في ناحية أخرى من المنزل. فتركاهما بمفردهما لتستمتعا سوياً. ضحكت هيلين من هذا التعليق وقالت رافعة كتفيها: «لا مشكلة البتة، فأنا بكل بساطة أتصل بشركة تعد الطعام للحفلات. أنا أفضل تمضية أي وقت فراغ يتوفر لدي مع أندريه».

سألت ليوني وقد افترضت أن ذلك هو اسم ابنها: «هل يعلم بأمر الطفل المنتظر؟».

- آه، بالطبع! أخبرناه ما إن تأكدنا من الأمر لكي نمنحه الوقت الكافي ليعتاد على الفكرة.

ربتت المرأة على بطنها الذي بدأ يستدير قائلة: «إنه يريد أخاً، لكن بيير وأنا نرغب بفتاة هذه المرة. هل ترغبين أنت بالأطفال؟».

راوغت ليوني قائلة: «لم أصل بعد إلى التفكير بالأمر».

- أفترض أن الوقت مبكر بعض الشيء، بالرغم من أنني أتصور أن فيدال سوف يخضع للضغط من قبل عائلته، باعتبار أنه الابن الوحيد. هل أستنتج أنك لم تتعرفي إليهم بعد؟

حافظت ليوني على نبرة صوتها عادية حين قالت: «لا. سوف نقصد الدورو لاحقاً».

ضحكت هيلين مجدداً، وقالت: «العمل يأتي أولاً. ثقي بذاك الطبع في الرجل!».

علقت ليوني وهي ترسم ابتسامة على شفتيها قائلة: «لطالما اعتقدت أن الرجال الفرنسيين يولون الرومنسية أولى اهتماماتهم قبل أي شيء آخر».

- إنهم يجيدون التملق. بيير لا يقوى أبداً على مقاومة امرأة جميلة. لو أنك لست متزوجة من أحد أهم زبائنه لتلقيت بعضاً من هذا التملق أنت نفسك.

سألتها ليوني بعد لحظة: «وأنت... ألا تمانعين؟».

بدا كلام هيلين واقعياً جداً إذ قالت: «هذا ما هو عليه. معظم الرجال هم كذلك. على العكس منا نحن النساء - أو معظمنا على الأقل - هم قادرون على إرضاء شهيتهم من دون روابط عاطفية».

لم تضف ليوني أي تعليق، فخاتمة الموضوع بدت قريبة جداً من واقعها، وهذا أمر يبعث الراحة في نفسها. مع ذلك، لا مجال أبداً لأن تحمل نفسها على تقبل الأمر على النحو الذي تتقبله هيلين.

سألت ليوني لتبعد الحديث عن أي موضوع حساس: «هل تعرفت أنتِ إلى عائلة دوس سانتوس؟».

- قلة هم الناس الذين فعلوا، فهم قلما ينتقلون بعيداً عن إمبراطوريتهم الصغيرة. لا أستغرب خروج فيدال وانطلاقه، فهو لا يبدو من الصنف الذي يتلذذ بالتقييد والانغلاق.

توقفت هيلين قليلاً، ثم تابعت: «هل يعلمون بأمر الزواج؟».

فكرت ليوني قليلاً في ابتكار كذبة ما، لكنها تخلت عن الفكرة عندما أدركت أن فيدال على الأرجح أخبر بيير مسبقاً بذلك، لذا هزت رأسها نفياً وقالت: «ليس بعد».

بدت هيلين مرتبكة، فقالت: «آه! ستكون تلك صدمة حقيقية بالنسبة إليهم إذاً».

قالت وهي تعتمد نبرة إيجابية: «سوف يتخطون الأمر. ليس أمامهم أي خيار آخر».

أومأت هيلين بحكمة: «أتعنين أن من المحتمل ألّا يوافقوا؟ عائلة بيير كان شعورها مماثلاً إلى حد كبير حيال زواجه بامرأة من جنسية مختلفة، لكنهم تراجعوا عن موقفهم بعد فترة قصيرة. أنت وفيدال ملائمان ومثاليان ليعضكما».

أضافت بنبرة أكثر حيوية: «فيدال أخبر بيير أنك ترغبين بالتسوق. كلاهما مشغولان يوم غد، لكنني متفرغة طيلة النهار. يمكنني أن أصطحبك من الفندق عند الساعة العاشرة».

- ماذا عن أندريه؟

- لديه مربية.

تساءلت ليوني بسرعة، ما الذي تفعله والدته إذاً؟ ثم قالت: «ذلك لطيف جداً من قبلك».

أخيراً استسلمت إلى الأمر المحتوم وهي تعرف بالتأكيد أن التردد من قِبلها سوف يبدو غريباً. طمأنتها هيلين قائلة: «لا مشكلة أبداً. فالتسوق هو النشاط المفضل لدي!».

في طريق عودتهما إلى الفندق سألت ليوني: «كم من الوقت تنوي البقاء في

WWW.REWITY.COM
BAYAHEEN

زوريخ؟».

أجابها فيدال: «يوماً آخر بعد وليلتين».

- كم سنقيم في الدورو؟

- بقدر ما يتطلب الأمر حتى يتقبلوا أن زواجنا نهائي.

- بينما أبدو أنا كالدمية في الوسط!

ضحك فيدال، وقال: «أشك أنك قد تسمحين بأن يتم سحقك».

أجابت ليوني: «يمكنك أن تعتمد على هذا بأقل قدر ممكن».

استرقت ليوني نظرة نحوه، فيما أحست بتأثيره الفوري على أحاسيسها. أقرت مستسلمة أن معركتها مع نفسها هي معركة ميؤوس منها، أما الأذى الناتج عنها فيطالها أكثر مما يطاله.

كاد الوقت يناهز منتصف الليل عندما وصلا إلى الفندق. عرض عليها فيدال أن تستخدم الحمام أولاً، لم يبد أي تعليق عندما خرجت مرتدية الرداء المخصص للنوم وفوقه الثوب الفضفاض الملائم له.

خلعت ليوني الثوب الأخير حتى تدخل إلى السرير، فاستلقت من دون حراك على ظهرها وهي تحدق بالسقف المزين بالرسومات. فكرت أن فيدال أيقظ حواسها وأحيا فيها سلسلة كاملة من المشاعر والأحاسيس، وهي تتوق لأن تستشعر بها مجدداً...

عندما خرج فيدال من الحمام نحو غرفة النوم كان يرتدي الجزء السفلي من لباس نومه الحريري. كالليلة السابقة تماماً، وجدت ليوني نفسها تحبس أنفاسها عندما انسل بين الأغطية إلى جانبها، ورغبت أن يقوم هو بالخطوة الأولى...

لم يقم فيدال بأي مبادرة، ما زاد من درجة إحباطها إلى حد لا يحتمل مع مرور الدقائق. أخيراً استسلمت ليوني وقد جفّ حلقها، فبدا صوتها رزيناً في أذنيها حين قالت: «لست بحاجة إلى إقناعي».

أما جواب فيدال فجاء: «الفعل يتكلم بصوت أعلى من الكلمات وحدها. أظهري لي أنك ترغبين بي».

ابتلعت ليوني ريقها بصعوبة حتى تمنع نفسها من الرد بكلمات لاذعة. بدلاً

من ذلك تبعت غريزتها الفطرية. استدارت نحوه من دون أن تمنح نفسها المزيد من الوقت للتفكير، فضغطت بشفتيها على بشرة كتفيه الرقيقة الناعمة. ليلة زفافهما سرّها أن تأخذ كل ما منحه لها فيدال، لكن العلاقة الزوجية تقوم على التناغم والتبادل من كلا الطرفين. وهي بدأت تقدر ذلك للتو.

مرّر فيدال يده من خلال شعرها الكثيف، وراح يداعب عنقها ما أرسل ارتعاشات على امتداد عمودها الفقري. بعدئذٍ أدارها بحركة خاطفة سريعة فاجأتها تماماً، وراقب وجهها عندما أصبحا متواجهين تماماً. النظرة التي ظهرت في عينيه طردت أي شكوك ساورتها بشأن افتقاره للتوق إليها. وفي اللحظات التالية اندفع كلاهما إلى عالم من الشغف والأحاسيس المشتعلة...

بعد أن ثبت العالم مجدداً، قال لها فيدال برقة: «أنت امرأة مليئة بالمفاجآت. كدت تسلبيني السيطرة على نفسي تماماً».

أجابته ليوني برقة مماثلة: «أشك أن تسمح بحصول ذلك».

- هنالك مرة أولى لأي شيء.

تغيرت نبرة صوته حين قال: «كان تصرفاً فظاً من قبلي أن أضعك في موقف مماثل».

ردت ليوني بعد لحظة: «بل كان سخفاً من قبلي أن أتخذ موقفاً مماثلاً».

- لكنه مفهوم. ربما نظراً للظروف... كان يجدر بي أن أنتظر حتى تستيقظي على الأقل قبل أن أغادر.

لو أن زواجهما كان عادياً ومبنياً على الحب، لربما فعل فيدال ذلك. أقرت ليوني: «جعلني ذلك أشعر أنني غير ملائمة أبداً في مكاني. كنت كذلك بالطبع، وما زلت».

التوت زوايتا فمه، وقال: «إنك مخطئة. أنت تمنحينني أكبر سعادة يمكن أن يحظى بها أي رجل».

تساءلت ليوني، كم هو عدد النساء اللواتي أسمعهن هذا الكلام؟ وكم عدد النساء اللواتي سيسمعهن الكلام نفسه في المستقبل؟ لكن ذلك لم يُحدث أي فرق في الأحاسيس التي عبرت جسدها عندما ضمها فيدال إليه مجدداً.

٥ - رجل من دون قلب

وصلت هيلين في الساعة المحددة لتأخذ ليوني برفقتها. كان فيدال قد أعطاها بطاقة اعتماد مصرفي بلاتينية تحمل اسمها مرفقاً باسم عائلة فيدال بعد أن اكتسبته بحكم زواجها منه. قالت لها هيلين إن هذه هي كلمة السر «افتح يا سمسم» لأي مكان وأي شيء.

استقلت المرأتان سيارة أجرة أخذتهما إلى شارع الأسواق الرئيسي، بينما تركت هيلين سيارتها في المرآب السفلي للفندق. قصدتا محالاً تجارية تضم أشهر الماركات العالمية. استسلمت ليوني إلى إغواء المتعة التي أتيحت لها إذ وجدت نفسها أمام أفضل الأسماء المعروفة في عالم تصميم الأزياء، بالإضافة إلى وجود كل شيء ملفت للنظر.

في وقت لاحق أخذت المرأتان استراحة كي تتناولا غداء متأخراً لدى مطعم هوت كوزين الذي يطل على منظر شامل للبحيرة. بدت الأجواء رائعة تماماً، أما الطعام فعلى مستوى رفيع جداً. شعرت ليوني ببعض الندم وتمنت لو أنهما اختارتا مكاناً أقل تكلفاً. علقت قائلة: «كان يجدر بي أن أرتدي إحدى بذلاتي الجديدة، فهذه البذلة ليست ملائمة تماماً لهذا المكان».

طمأنتها هيلين: «البذلة جيدة. على أي حال إنها ليست ما يراه الناس عندما ينظرون إليك».

رفعت هيلين أحد حاجبيها لدى رؤيتها تعابير وجه ليوني، وتابعت: «إنها مجاملة لا انتقاد».

ضحكت ليوني وقالت: «سأتقبله منك. أهذا أحد الأماكن المفضلة لديك؟».

أطلقت هيلين تنهيدة وقالت: «لكان كذلك لو أن بيير يكف عن مراجعة بطاقات الائتمان المصرفية الخاصة بي. إنها إحدى سيئات الزواج من رجل مصرفي! مساء أمس لم أسألك، لكن كيف التقيتما أنت وفيدال؟».

أبقت ليوني على نبرة صوتها عادية حين قالت: «والدي يعمل في إحدى شركاته. مررت به يوماً وكان فيدال هناك».

- لابد أن القدر هو ما جمعكما. فيدال لم...

قطعت هيلين كلامها عندما توقفت امرأة عند طاولتهما، وحيتها باللغة الفرنسية، أجابتها هيلين بالطلاقة نفسها التي حسدتها ليوني عليها. كانت المرأة ترتدي ملابس ذات تصاميم شهيرة، فبدت أنيقة من رأسها حتى أخمص قدميها، أما شعرها فمرفوع في تسريحة فرنسية لطيفة.

أدارت هيلين انتباهها عبر الطاولة نحو ليوني مجدداً فيما ظهر بريق غريب في عينيها. قالت باللغة الإنكليزية: «هذه سيمون دوبوا».

ثم أضافت لتكمل تعريفهما إلى بعضهما: «هذه ليوني باريلادوس سانتوس».

تغيرت تعابير وجه المرأة الفرنسية، فكررت: «دوس سانتوس؟».

ردت هيلين بنبرة هادئة، فيما ظل البريق واضحاً في عينيها: «إنها زوجة فيدال! هي رائعة. أليست كذلك؟ أنت بالطبع لا تتوقعين شيئاً يقل عن هذا الحد، بما أن فيدال معروف بذوقه الرفيع».

ذبلت ابتسامة ليوني التلقائية تحت وطأة النظرات الجليدية التي وجهتها إليها المرأة الأخرى. ومن دون أي كلمة أخرى مشت المرأة مرفوعة الرأس مبتعدة عنهما لتنضم إلى المجموعة التي تركتها قبل قليل. أطلقت هيلين حينها ضحكة رضى وهي تقول: «كيف يسقط العظماء!».

سألت ليوني وهي تتوقع الجواب مسبقاً: «لماذا لقيت هذه المعاملة الباردة؟».

- لأنها على الأرجح مستعدة أن تهب عينيها وأسنانها لتكون مكانك!

- أتعنين... متزوجة من فيدال؟

- يمكنك أن تراهني على ذلك!

قومت هيلين كتفيها وقد بدت منزعجة قليلاً، ثم قالت: «لعل من الأفضل أن ننسى أمرها».

رفعت ليوني كتفيها وحاولت جهدها أن تبدو واقعية حيال الأمر، فقالت: «لن أنهار بسبب علاقات فيدال الغرامية السابقة. من هي بالضبط على أي حال؟».

- آل دوبوا أصحاب أملاك ضخمة، أما سيمون فهي مديرة تنفيذية في إحدى الشركات... على الورق على أي حال.

- هل تعرفينها منذ مدة طويلة؟

أقرت هيلين قائلة: «عرفتها من خلال فيدال. كانا يتناولان العشاء في المطعم نفسه حيث كنا بيير وأنا نتعشى منذ بضعة أشهر. أصرّ فيدال علينا أن ننضم جميعاً إلى الطاولة نفسها، وبدا ذلك مزعجاً جداً لسيمون. من الطريقة التي سألت بها عنه الآن، يبدو أنها لم تره من ذاك الحين».

غامرت ليوني قائلة: «هل أستنتج أنك لا تهتمين لأمرها كثيراً؟».

- ولا بمقدار ذرة! فهي أحدى أولئك النساء اللواتي يثرن غضب كل امرأة أخرى بمجرد وجودهن.

فهمت ليوني تماماً ما تعنيه هيلين فهي نفسها التقت بواحدة من هؤلاء النساء. سيمون ليست أولى صديقات فيدال السابقات اللواتي التقت بهن، ومن المحتمل ألا تكون الأخيرة.

تجنبت ليوني النظر نحو تلك المرأة عندما غادرتا المطعم، لكنها شعرت بنظراتها كالخنجر في ظهرها.

عادتا إلى الفندق عند الساعة الرابعة، لكن هيلين رفضت دعوة ليوني للصعود إلى جناحها. قالت لها قبل أن تصعد إلى سيارتها: «آمل ألا يطول بك الأمر قبل أن تعودي إلى هذه الناحية مجدداً».

أملت ليوني ذلك أيضاً، فهما تتفقان على بعض الأمور، كما أنها وجدت لنفسها صديقة. وصلت ليوني إلى جناحهما فوجدت أن معظم الأغراض التي

اشترتها سبقتها إلى هناك. وصل فيدال وهي ما تزال توضب الأغراض. نظر إلى الأكياس بابتسامة جافة، وقال: «أرى أنك حظيت بنهار جيد».

أقرت ليوني قائلة: «لم أدرك تماماً مقدار الأشياء التي اشتريتها حتى عدت إلى هنا».

ضحك قائلاً: «لا يفاجئني ذلك مادمت برفقة هيلين. سوف أطلب من الفندق أن يرسل شخصاً ما ليوضب حقيبتك ريثما نتناول العشاء».

اعترضت ليوني قائلة: «يمكنني أن أفعل ذلك بنفسي. فلدي متسع من المكان في حقيبتي».

هز كتفيه: «كما تفضلين. بانتظارنا رحلة إلى بورتو في منتصف النهار».

ذكّرها فيدال بما سوف تواجهه يوم غد ما جعلها تشعر باكتئاب مفاجئ، فقالت: «ما أفضله فعلاً هو ألا أسقط على عائلتك كالرصاصة! إن منحناهما بضع ساعات من التحذير سوف يعطيهم ذلك على الأقل بعض الوقت حتى يفهموا الأمر كله».

ردّ فيدال: «أفضل الصدمة الحادة المختصرة. سوف تتأقلمين».

تراجعت ليوني عن محاولة الاقناع مدركة عناده وتصلبه. مع ذلك لم تدنُ أكثر من فهم السبب. قالت: «هل يتكلمون اللغة الإنكليزية؟».

- بالطبع. مع ذلك قد تجدين لغتهم رسمية أكثر من لغتي.

أمسكها فيدال من ذراعها وأدارها نحوه، فيما نظر نزولاً إلى عينيها وقال: «أنت زوجتي. لاشيء، ولا أحد يمكنه أن يعدّل ذلك!».

فكرت ليوني أنها حتماً لن تفعل ذلك، لاسيما أن مستقبل والدها سيصبح في خطر. هي لا تأمل بدوام هذا الزواج لمدى طويل، لكن لابد لها أن تقر أنها ليست يائسة لأن تستعيد حريتها، ليس بعد الآن. فمع حصولها على رجل كفيدال وعلى نمط حياة لم تتخيله حتى في أكثر أحلامها جموحاً، كيف لها أن ترغب بالخروج من زواج كهذا؟

* * *

بدا منظر الوادي مذهلاً، وأخذ يظهر مأهولاً أكثر فأكثر في مناطق متفرقة

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

كلما تقدما إلى داخله بالسيارة. هناك تنحدر التلال على شكل مصاطب زرعت بكروم العنب، تتخللها بساتين الزيتون. أما الجبال فتبدو ضبابية في الخلف وملاصقة للسماء. سألته ليوني: «متى سنصل؟».

أبقى فيدال اهتمامه على الطريق الضيق الكثير المنعطفات، وقال: «خمس عشرة دقيقة».

ما زالت أمامها خمس عشرة دقيقة حتى تستجمع قواها.

طالبته قائلة:

- فقط... قل لي ما الذي يفترض بي أن أقوله لهم؟.

أجابها: «لست بحاجة إلى قول أي شيء. جمالك يتكلم عن نفسه».

لم تشعر ليوني أنها في مزاج يسمح لها بسماع المغازلة، فعلقت: «هذا كلام فارغ».

التوى فم فيدال وهو يقول: «إنها عبارة غير أنيقة قادمة من شفتيك الحلوتين!».

- توقف عن هذا! إنها ليست مسألة مزاح! أنا الغريبة هنا. لماذا يجدر بهم أن يتقبلوني؟

حمل صوتها ارتعاشة واضحة، أما نبرة فيدال فبدت الآن سطحية وخالية من المزاح حين قال: «لا خيار أمامهم. قد يستغرق أمر إقناعهم بعض الوقت، إلّا أن الزواج شيء لا عودة عنه».

مضت لحظة أو اثنتان قبل أن تحمل ليوني نفسها على القول: «أتنوي حقاً أن يكون دائماً؟».

ألقى فيدال عليها نظرة سريعة فيما ظهر تفاجؤه واضحاً، وقال: «هل ظننت أن نيتي غير ذلك؟».

رفعت كتفيها، وقالت: «اعتقدت أنك ببساطة تستغل حالة والدي».

- أظننت أنني أستغلك لأرضي نزواتي؟ لو أن ذلك هدفي الوحيد لما عرضت عليك الزواج.

ردت ليوني من غير اقتناع: «وربما أسأت الحكم عليك في تلك الناحية.

لكن على أي حال، لا شيء يمكنه أن يغير حقيقة أنك ابتزيتني لكي أتزوج منك».

جاء جواب فيدال من دون أن يبدو عليه التأثر: «استخدمت وسيلة الاقناع الوحيدة المتوفرة لدي، لكنني لا أبرر ذلك».

- وهل أنت فعلاً مستعد لأن تتهم والدي بالاختلاس لو أنني هجرتك؟

سادت فترة من الصمت قبل أن يجيب، وعندما تكلم كان الهدوء قد عاد إلى صوته، فقال: «إن كانت تلك الطريقة الوحيدة لأمنعك من ذلك، فالجواب هو نعم».

لم تقل ليوني المزيد، بل أمسكت لسانها فيما استدار فيدال بالسيارة باتجاه بوابتين حديديتين ضخمتين، ثم توجه صعوداً نحو طريق مغطى بالحصى يلتف حول أرض تملؤها الأشجار. شهقت ما إن وقعت عيناها على المبنى الذي ظهر أمامها عندما استدار بالسيارة حول منعطف في الطريق. حيث ظهر تحت أشعة شمس ما بعد الظهر قصر يربض في أعلى منحدر يطل على منظر طبيعي أخاذ. يقوم برجان دائريان عند طرفي القسم الأوسط من المبنى، أما الطابقان العلوي والسفلي فتزينهما نوافذ طويلة تعلوها قناطر مقوسة ذات إطارات بدت كالذهب. بدا المبنى بأكمله مهيباً جليلاً.

قالت ليوني مستغربة: «إنها قلعة!».

صحح لها فيدال قائلاً: «بل هو قصر. إنه «بالاسيو دي ميتشيا». تم بناؤه في القرن الثامن عشر من قبل أحد أسلافي، وسمّاه تيمناً بزوجته وتكريماً لها».

أقرت ليوني: «علمت أن عائلة دوس سانتوس ثرية بالطبع. لكن... قصر!».

- إنه قصر صغير. هناك قصور أكثر ضخامة.

أدار فيدال سيارة المرسيدس المستأجرة بسرعة حول المنعطف الأخير، ثم أوقفها في الباحة الأمامية الفسيحة. رأت ليوني نافورة في وسط الباحة. فتحت بابها مترددة بعض الشيء للخروج، وهي تحس بالتصلب بسبب الرحلة الطويلة بالسيارة. أحست أن قلبها انخلع من مكانه عندما ظهر رجل كبير السن يرتدي

بذلة رسمية سوداء. وقف الرجل في أعلى درج مهيب من الغرانيت يمتد أمام المبنى. تغيرت تعابيره المتسائلة إلى متعة واضحة عندما ابتعد فيدال عن السيارة.

هتف الرجل قائلاً: «سينيور! حمداً لله على وصولك بالسلامة!».

أجابه فيدال باللغة نفسها، فيما عبرت ابتسامته ونبرته عن ألفة وود مع الرجل. استنتجت ليوني أن اسمه هو أرثور، وبحسب ما بدا لها، هو موظف استبقته العائلة لديها منذ فترة طويلة.

وجهت له ليوني ابتسامة وهي تمر أمامه بينما غمغمت باللغة البرتغالية: «نهارك سعيد».

لم يقم فيدال بأية محاولة للتعريف عنها. فهو لن يجعل من ذلك الخادم أول من يتلقى الخبر كما فكرت ليوني بمنطق.

الباب الذي تعلوه قنطرة حجرية يؤدي إلى بهو واسع يمتد حتى نهاية المبنى، أما في الجهة الأخرى للبهو فهناك بابان زجاجيان يوفران لمحة للسماء. من السقف ذي القناطر تدلّت ثريات ذهبية كبيرة أضفت روعة على منظر البيانو الضخم والقطع الجميلة الأخرى المنتشرة في أرجاء المكان.

كانت ليوني ترتدي بذلة بيضاء شبيهة بطراز البزات البحرية من ماركة شانيل، لكنها مع ذلك أحست أنها غير ملائمة لهذا المكان. لفت ذراعيها حول جسمها بينما دفعها فيدال إلى الأمام ففتح باباً إلى الجهة اليسرى.

الغرفة في الداخل لم تترك انطباعاً أولياً لدى ليوني، إلا أنها ركزت انتباهها على الزوجين الجالسين فيها. أحدهما رجل يشبه فيدال إلى حد كبير، بحيث لا يمكن أن يكون أي شخص آخر غير والده. هذا الرجل هو أول من تغلب على تفاجؤه الأولي لظهورهما، فتكلم بنبرة ملؤها التوبيخ. وضع فيدال إحدى يديه خلف كتفي ليوني، ثم قال بنبرة صوت سطحية: «لم أرَ من جدوى لذلك. أود أن تقابلا زوجتي، ليوني. إنها لا تتكلم اللغة البرتغالية... حتى الآن».

كانت ليوني قد سمعت سابقاً بعبارة «الصمت الذي يصم الآذان». لكنها لم تكن قد فهمتها حتى الآن.

- مرحباً!

المرأة التي يفترض أن تكون والدة فيدال بدت جميلة بشعرها الأسود الذي لم تظهر فيه أي آثار رمادية. تغلبت حماتها على الصدمة التي جعلتها لا تقوى على الكلام آنياً، فيما لم تدع تعابير وجهها مجالاً للشك بشأن مشاعرها. تكلمت المرأة باللغة البرتغالية، لكن ليوني لم تكن بحاجة إلى ترجمة حتى تفهم جوهر الكلام الذي تقوله. هذا الرفض القوي جعل ليوني تتحمس، فقالت: «أنا أنوي تعلم اللغة البرتغالية بالطبع، لكن في الوقت الراهن أقدر كثيراً لو أن بمقدور الجميع التحدث باللغة الإنكليزية. أدرك أن الأمر جاء بمثابة صدمة لكليكما!».

سأل السينيور دوس سانتوس قبل أن تتمكن زوجته من التكلم مجدداً: «متى حصل الزفاف؟».

أجاب فيدال: «منذ أربعة أيام، في إنكلترا. إنه زواج مدني، لكنه ملزم».

بدأت عينا والدة فيدال تقدحان شرراً، فأطلقت وابلاً من الكلام متجاهلة تماماً طلب ليوني، ومتجاهلة إياها بالكامل. تطلب الأمر تدخل زوجها حتى يسكتها، وقد بدا من حركاته أنه رجل اعتاد على إعطاء الأوامر. فقال: «ما حصل قد حصل».

اقترب من ليوني، فتناول يدها ورفعها نحو شفتيه قائلاً: «إنك جميلة جداً!».

لاحظت ليوني أن عيني والد فيدال هما تماماً كعينيه، لا يمكن خرقهما، بينما تبقى مشاعره الحقيقية مخبأة. غمغمت شكرها على المجاملة، وأحست بالارتياح عندما أفلت يدها ليستدير نحو زوجته. أمرها بالهدوء مجدداً عندما حاولت أن تتكلم ثانية، فقال لها: «لا تقولي المزيد!».

لكن حكماً على الوميض الظاهر في عيني حماتها بدا لها أن المعركة لم تنته بعد.

قالت ليوني مندفعة: «أنا صدقاً أشعر بالأسف لأنكما لستما مسرورين بزواجنا، سوف أبذل قصارى جهدي حتى أستحق هذا اللقب».

أعلن فيدال حينها بقوة: «أنت تستحقينه أساساً!».

ردّت ليوني: «والداك لا يعرفان أي شيء عني. لماذا تتوقع منهما أن يثقا بالأمر هكذا؟».

تدخل السينيور دوس سانتوس قائلاً: «يبدو أن ليس أمامنا أي خيار، لكن حتماً هنالك بعض الأمور التي يجب مناقشتها. تعالي، اجلسي!».

أجبرت ليوني نفسها على التحرك، فاختارت إحدى الأرائك، أما فيدال فجلس إلى جانبها، على مقربة كافية. أبقت ليوني اهتمامها مركزاً على والده الذي ظل واقفاً محاولاً تجاهل عدائية زوجته المطلقة.

- ما الذي تود معرفته، سينيور؟

- ربما... اسم عائلتك، كبداية.

- إنه باكستر. والدي محاسب ووالدتي متوفاة. أنا الابنة الوحيدة لهما. أبلغ السادسة والعشرين من العمر، ولدي إجازة في علم الاجتماع. عملت في مجال العلاقات العامة خلال السنوات الخمس الأخيرة. هذا تقريباً كل شيء.

بحسب التعابير المرتسمة على وجه السينيورا دوس سانتوس، لم يبدُ أنها تلطّفت ولا بأي شكل بعد سماعها موجزاً مختصراً عنها. أما الرجل الذي وجهت كلامها إليه فدرس ملامحها للحظة مطولة بصمت، فيما أمسكت هي بنظراته من دون إجفال ولا إحجام. سألها: «أتحبين ابني؟».

لم يكن أمامها سوى جواب واحد لتعطيه. شعرت بوجهها يحترق وهي تقول: «بالطبع!».

بعدئذٍ سأل فيدال الجالس إلى جانبها: «وأنت؟».

احتجت زوجته بوحشية، وبدت هذه المرة غير مستعدة للتنازل، فأطلقت كلامها الحاد باتجاه ابنها قائلة: «أنت تسبب لنا العار! يجب حلّ هذا الزواج!».

تكلم فيدال بهدوء لكن من دون أي التباس قائلاً: «هذا لن يحصل».

استنشقت المرأة نفساً بخشونة، وقالت: «ألا يعني لك الشرف أي شيء؟».

رد فيدال قائلاً: «كان ذلك وعداً منك أنت لا مني. أنا لا أرى أي عار في

ذلك، فالأساليب القديمة ولّت منذ زمن».

ذهلت ليوني وأصابتها الحيرة، فقالت مستفسرة: «لست أفهم».

رمقتها السينيورا دوس سانتوس بنظراتها السليطة، وقالت: «اصمتي أنت، فلا مكان لك هنا!».

لم يرفع فيدال صوته، لكنه بدا شديد التصلب حين قال: «مكان زوجتي هو حيث أكون أنا».

- أرجوكم! هلّا أخبرني أحدكم ما الذي يجري؟

تخطت ليوني قدرتها على التصرف بلباقة، فأخذت عيناها تومضان ناراً خضراء فيما نظرت نحو الرجل الذي تزوجته قائلة: «فيدال!».

والدته هي التي أجابتها بنبرة جليدية قائلة: «ابني ملزم بالزواج من نسيبته، كاترينا. هو...».

تدخل فيدال ليقول بنبرة: «إنه تدبير لم يكن لي دور في صنعه، وقرار لم تكن لدي أي نية بإتمامه كما حاولت أن أخبرك مراراً. لابد أن تبحث كاترينا في مكان آخر عن زوج لها».

طالبته السينيورا: «أين يفترض بها أن تجد واحداً بعد أن أهدرت أفضل سنوات عمرها بانتظارك؟».

لم يتنازل فيدال ولو مقدار إنش واحد، بل قال: «لكنها لم تحظ بأي تشجيع من قبلي. لن تجد نقصاً في طالبي يدها للزواج. اسم دوس سانتوس وحده يكفي ليجذبهم».

راحت والدته تتكلم باللغة البرتغالية مجدداً لتعبر عن مشاعرها بشكل أفضل، أما فيدال فأصغى إليها من دون مبالاة.

ضبطت ليوني أعصابها، فقاومت رغبتها بأن تنهض وتخرج من المكان. أحست أنه تم استغلالها بكل ما في الكلمة من معنى.

وضع السينيور دوس سانتوس نهاية للقذف والتوبيخ، فقال: «أظن أن من الأفضل أن تتركانا أنتما الاثنان حالياً».

ثم أضاف قائلاً لابنه: «جناحك جاهز، كما هو عليه دوماً».

رفع الرجل نظراته نحو ليوني، أما ملامحه فبدت غامضة تماماً وهويقول لها: «ستجدينه ملائماً لشخصين».

أمالت ليوني رأسها بتصلب ونهضت لمرافقة فيدال، بينما سيطرت تماماً على لسانها وهما يتحركان نحو الباب. لم تطلق العنان لنفسها إلا عندما أصبحا في البهو، وبعد أن أغلق الباب مجدداً. قالت بنبرة ساخطة: «لست فقط مبتزاً، بل مخادعاً أيضاً تنكث بوعودك»!

أجابها فيدال بصوت هادئ: «ما من خداع هنا، فأنا لم أعطِ وعداً. تم هذا التدبير عندما كنت في الثامنة من عمري، ولم أعبر عن موافقتي عليه في أي وقت منذ ذلك الحين».

- من الواضح أنك لم تبذل جهداً كافياً!

هز فيدال كتفيه بإيجاز وقال: «عندما تفشل الكلمات يبقى الفعل هو الأسلوب الوحيد المتبقي. لو أنك تزوجتني عندما طلبت منك ذلك في المرة الأولى، لحلت المشكلة منذ زمن طويل».

ردت ليوني بإصرار: «كان بإمكانك أن تحل المشكلة قبل ذلك بفترة طويلة، فقد عرفت ما يكفي من النساء عبر السنوات!».

- لم أعرف أي واحدة يمكنني التفكير بالزواج منها إلى أن التقيت بك.

- آه، بالطبع! إن عروس آل دوس سانتوس يجب أن تكون عذراء!

قام فيدال بحركة مفاجئة وقال متابعاً: «هذا ليس المكان المناسب لمناقشة الأمور. سوف نذهب إلى جناحي».

رافقته ليوني صعوداً بصمت على الدرج، لكنها شعرت بالسخط في أعماقها، لذا لم تلحظ المحيط حولهما فيما عبرا رواقاً طويلاً. احتل جناح الغرف المخصصة لفيدال الطابق الوسطي لأحد البرجين. قادها فيدال نحو صالون فسيح تضيئه النوافذ من جهات ثلاث.

- إنه منزلي عندما أكون هنا، والآن أصبح منزلك أيضاً.

ردت ليوني بكلمات لاذعة: «منزلي يقع حيث هو قلبي، لذا فمنزلي بعيد جداً من هنا!».

تقدم فيدال منها، ثم أخذ وجهها بين يديه ونظر مطولاً إلى أعماق عينيها، سألها بنعومة: «هل أنت واثقة من ذلك؟».

لم تعد ليوني واثقة من أي شيء وهو قريب منها إلى هذا الحد، إذ دبت الحياة في أعصابها لمجرد الاحساس بلمسته. تطلب الأمر منها مجهوداً حقيقياً حتى تتغلب على رغبتها في أن تغرق بين ذراعيه وتتقبل الأمور على حالها. أخرجت صوتها قائلة: «هنالك فرق شاسع بين الحب والرغبة. بالكاد يمكنني أن أدّعي أنني أشعر بأي شيء تجاهك، ما بيننا هو مجرد انسجام جسدي. لا يمكنني أبداً أن أحب رجلاً فعل ما فعلته أنت... بي أنا وبكاترينا تلك».

بدت عيناه غامضتين مجدداً حين أفلتها وقال بفظاظة: «أنا أعترف بالذنب بالنسبة للاتهام الأول، لكنني بريء من الاتهام الآخر. هل تريدينني أن أرتبط بامرأة لا أشعر بأي شيء تجاهها، فقط كي ألتزم بعادات عفى عليها الزمن؟».

أحست أنها تتمزق بين نارين. أقرت بعد قليل: «لا. هل حاولت أن تتكلم مع نسيبك حول ذلك؟».

هز فيدال رأسه بنفاد صبر، وقال: «السؤال لم يعد مطروحاً الآن. إنها حرّة لتتزوج أي شخص تختاره، وسوف تقوم بذاك الاختيار بالرغم من مخاوف والدتي».

وقفت ليوني مترددة، فيما استدار فيدال مبتعداً نحو خزانة منحوتة موضوعة إلى جانب الحائط.

قالت بيأس: «هل هنالك من هدف حقاً في البقاء هنا؟ لقد حققت ما جئت من أجله».

جاء رد فيدال المختصر: «سوف نبقى حتى يتقبلا فكرة زواجنا».

غرقت ليوني في أقرب مقعد ونظرت حولها. هي لم تنعم النظر في الغرفة إلّا الآن. على العكس من الطابق السفلي، بدا الديكور هنا خفيفاً مرحاً، أما المفروشات فهي مزيج ممتع بين القديم والجديد، بينما حُصرت الأعمال الفنية بأقل قدر ممكن. وضعت أريكتان جلديتان ضخمتان على جانبي الموقد الحجري الضخم بزاويتين مستقيمتين.

سألته: «متى يتوقعون منا أن نظهر مجدداً؟».

- سوف يحل موعد الغداء في وقت قريب. حتى ذلك الحين آمل أن يكون والدي قد تصالح مع نفسه.

افترضت ليوني قائلة: «ربما هنالك فرصة أكبر بأن تتقبل والدتك الأمر لو أنني جئت من خلفية ذات شأن بارز. فابنة محاسب عادي لن تصل إلى المستوى المطلوب».

- نظرتها ستظل على حالها بغض النظر عن خلفيتك الاجتماعية، فهي ما زالت تعيش في الماضي.

نظرت ليوني إليه مباشرة، وقالت: «لكنك تهتم لأمرها، أليس كذلك؟».

- بالطبع أنا أهتم لأمرها. لكن ذلك لا يعني أن أعيش الحياة التي تختارها هي لي.

استفسرت ليوني بعد لحظة: «كم تبلغ كاترينا من العمر؟».

- إنها تكبرك بعام واحد. حصل هذا التدبير عند ولادتها.

- بما أنك لم تتحدث معها أبداً بهذا الخصوص، فكيف تعرف أنها لا تشعر كما تشعر أنت تماماً تجاه الأمر.

- إذا كان هذا صحيحاً، فهي تبرع في إخفاء شعورها.

- بينما أنت أوضحت لها مشاعرك تماماً.

ردّ فيدال: «أظن أن غيابي وحده يتكلم نيابة عني. لو أنها تتمتع بذرة كرامة في داخلها لرفضت أن تنتظر طيلة هذه المدة».

- لعلها تعتقد أنك تستحق عناء الانتظار.

استجلبت هذه السخرية ابتسامة خفيفة على شفتي فيدال، فقال: «إذاً سوف يخيب ظنها. لاشك أنك ستلتقيها قريباً. سوف يحضر أفراد العائلة حالما تصلهم الأخبار».

شعرت ليوني بالرعب من التفكير بذلك، فوقفت على قدميها وقالت: «سوف أذهب لإفراغ حقائبي!».

لم يقم فيدال بأي حركة ليلحق بها.

كانت غرفة النوم ملاصقة للصالون وبمثل ضخامته. نظرت ليوني إلى السرير الهائل الضخم بازدراء. إنها تفضل أن تنام على كرسي عوضاً عن مشاركة فيدال السرير مجدداً بعد ما حصل. هي تكرهه بسبب ما فعله بها وبنسيبته. إن مواجهة هذه الأخيرة وحدها أمر سوف يستنفد منها كامل قوتها، هذا من دون أن تقول شيئاً عن بقية أفراد العائلة. المتعة التي حظيت بها ليوني من شراء الملابس في زوريخ طارت الآن دفعة واحدة. تجاهلت تلك الملابس في اختيارها لما سترتديه هذا المساء، لذا لبست رداء أسود عادياً يختصر مزاجها. هي قادرة على إسقاط فيدال أكثر في هذا المستنقع بإخبارهم جميعاً حقيقة زواجهما، لكن ذلك قد يعني في الوقت نفسه أن تقر بذنوب والدها. كانت حياتها في الديار مستقرة وغير معقدة، أما هنا فهي تشعر باضطراب وفوضى عاطفية. في الواقع تبخر أملها الضئيل بأن تصل إلى علاقة أقرب مع الرجل الذي تزوجته، فهو من دون قلب!

وقفت ليوني عند النافذة وراحت تنظر نحو الأراضي الواسعة ذات المناظر الطبيعية الجميلة. عندما دخل فيدال أخيراً إلى الغرفة لم يتردد بأن يذهب مباشرة نحوها ليديرها نحو ذراعيه. افتقر عناقه لها إلى أي عنصر رقة أو ليونة، فيما أعلن لها بنبرة صوت منخفضة عندما رفع رأسه: «لن أقبل أن تنقص زوجتي من قدري! سوف تظهرين لي بعض الاحترام».

ردت ليوني بنبرة ثابتة: «يجب أن تكتسب الاحترام، فأنت تعامل الناس بشكل لا يحتمل!».

قال: «ومن ضمنهم والدك؟».

عضت ليوني على شفتها، لكنها رفضت أن تتراجع، فقالت: «لم يتضمن تصرفك معه أي تعاطف. استخدمته فقط لتحقيق مآربك. ليس فقط كي تنقذ عزة نفسك في ما يخصني أنا، لكن أيضاً حتى توجه ضربة قاسية لعائلتك. لِمَ عليك أن تمرغ أنوفهم في ذلك؟ إذا...».

توقفت عن الكلام حين التوت شفتا فيدال بابتسامة مرحة. لم تجد أي شيء مضحك في هذا الموقف، فقالت له بكلمات لاذعة: «إياك أن تجرؤ على

WWW.REWITY.COM
BAYAHEEN

الضحك من ذلك!».

- إنها ردة فعل لا إرادية، فأنتِ تستخدمين الكلام بشرح وافر.

استعاد فيدال رصانته، وقال: «سوف يتقبلونك أو... إننا سننقطع عن التواصل معهم تماماً. الأمر بهذه البساطة».

أمسكت ليوني لسانها فيما استدار مبتعداً عنها مدركة عدم جدوى الكلام. مهما كان الموقف صعباً، عليها أن تتعامل معه.

٦ - وردة ذات أشواك

بالرغم من مساحة صالة الاستقبال الواسعة، إلا أنها بدت لليوني مكتظة بالناس، لذا ترددت في الدخول، فدفعها فيدال إلى الأمام بيده التي وضعها على ظهرها. وضعت ليوني ابتسامة على وجهها، وأجبرت نفسها على أن تبدو متماسكة. بالرغم مما قاله لها فيدال مسبقاً حول قدوم العائلة بكثافة لمقابلتهما، لكنها لم تتوقع أن تواجههم جميعاً هذه الليلة. قام فيدال بالتعريف عن الحضور بطلاقة تحسده عليها، فيما بدا متغافلاً عن الأجواء. ثلاثة من الحضور الشبان كانوا رجالاً، اثنان منهما أتيا برفقة زوجتيهما. بدا لها من الغرابة بمكان أن كاترينا هي الوحيدة التي حيّتها بدرجة معينة من الدفء، أما والداها وأشقاؤها فلم يقوموا بأي محاولة لإخفاء مشاعرهم الحقيقية. لم يبدُ العشاء وجبة ممتعة على الإطلاق. دارت معظم الأحاديث باللغة البرتغالية بغض النظر عن طلب فيدال التكلم باللغة الإنكليزية. تلاقت عيناها مع عيني كاترينا عبر الطاولة ففوجئت بتلقيها ابتسامة غير واثقة من قبلها. ردت ليوني الابتسامة لا إرادياً، فيما شعرت بالرضى لعدم وجود النقد أو اللوم من قبلها. فكرت أن هنالك احتمال كبير بأن كاترينا لم تكن متشوقة للزواج من فيدال كما لم يكنْ هو متشوقاً للزواج منها.

الأشقاء الثلاثة الذين تتراوح أعمارهم ما بين منتصف العشرينات وبداية الثلاثينات ورثوا الشبه بآل دوس سانتوس لكن بدرجات متفاوتة. الأكبر سناً ويدعى روك هو الأكثر شبهاً بفيدال، مع أنه يفتقر إلى الجاذبية التي يتمتع بها الأخير. لم يظهر على فيدال أي ارتباك من أي نوع وهو جالس إلى جانبها، وأحست ليوني برغبة في ركله على كاحله لكي تحصل على ردة فعل منه.

في نهاية العشاء أعلن السينيور دوس سانتوس قائلاً: «ما دام هذا الزواج قد حصل، فلا بد أن تتم مباركته. سوف نقوم بالترتيبات اللازمة».

رفع يده بطريقة مستبدة عندما حاول فيدال أن يتكلم، وتابع: «أنت لن تحرمني من هذا أيضاً».

بدا ذلك تصريحاً لا طلباً. حبست ليوني أنفاسها فيما انتظرت ردّ فيدال الذي قال بنبرة صوت عادية: «أنا لا أبدي أي اعتراض، شرط أن تتم التحضيرات من دون تأخير كبير».

رد الوالد المتحكم: «سوف تستغرق الترتيبات ما تحتاجه من الوقت. لابد لأعمالك أن تنتظر».

ثم أدار انتباهه نحو ليوني، وقال: «ألديك أفراد عائلة مقربون سوى والدك؟».

هزّت رأسها ببطء قائلة: «لا».

- إذاً يجب أن يسافر والدك إلى هنا.

إذا كانت مباركة الكنيسة تساهم في إصلاح الصدع الذي تسبب به فيدال، فهي نفسها لا تعترض على ذلك، بالرغم من عدم ارتياحها لفكرة تعريض والدها لكل تلك العدائية.

أحست ليوني ببعض الارتياح عندما غادر الأنسباء بعد العشاء مباشرة. اختار فيدال أن يغادرا مثلهم، فقلدت ليوني ما سمعته من قبل قائلة: «تصبحون على خير».

ردّ السينيور دوس سانتوس بشكل لبق متحضر، أما زوجته فلم ترد أبداً. لم يدلِ فيدال بأي تعليق وهما في طريقهما إلى أعلى البرج. حاولت ليوني أن تنظم أفكارها وهي تسير إلى جانبه على طول الرواق العريض. فكرت أن كاترينا هي من تستحق التعاطف بعد أن تُركت فجأة بعد سنوات عدّة من الانتظار. صحيح أنها لم تبدُ أنها تتعذب بعمق شديد، لكن من يعرف ما الذي يدور حقاً في ذهنها؟

قالت ليوني بصوت هادئ: «أفترض أنك ما كنت لتجد صعوبة في السير

وفقاً للاتفاق لو أن شكل كاترينا يتناسب مع مقاييسك!».

جاء رد فيدال الثابت: «شكلها لا تأثير له».

- أنا لا أصدق ذلك، فشكلي حتماً كان له تأثير.

أقر فيدال: «حسناً! أنا أقدر الجمال لدى المرأة، لكن ذلك لا يعني أنني أعتبره العامل الوحيد الهام. كاترينا ذات طبيعة ألطف من أي امرأة عرفتها على الإطلاق، لكنها لا تبرع بإجراء الأحاديث، وليست لديها معرفة بالعالم. أبعد مكان زارته يوماً هو بورتو. حتى لو لم تكن لدي حياة خاصة بي بعيداً من هنا، فهي لن تكون كافية بالنسبة إلي».

- هل يمكن لأي امرأة أن تكون كافية بالنسبة إليك؟

انكمشت نبرة صوته، وقال: «الوقت فقط يمكنه أن يقول ذلك. كفى أسئلة وأجوبة ناقدة!».

سحقت ليوني ردة فعلها الفطرية، فهي لم ترغب في إثارة مشكلة بسبب ذلك.

وصلا إلى المكان الذي يقصدانه، ففتح فيدال الباب وقادها نحو البهو. توجه مباشرة نحو غرفة النوم، فلم يترك أمامها أي خيار سوى اللحاق به. كانت ليوني قد أقسمت قبل قليل إنها سوف تنام على كرسي عوضاً عن مشاركته السرير مجدداً، لكن من المزاج الذي بدا فيدال فيه، فهي تشك بأنه قد يتقبل خطوة مماثلة من قبلها.

سألته ليوني وهو يخلع سترة بذلته الرسمية: «أمن الضروري أن يأتي والدي لحضور هذه المراسم التي يصر عليها والدك؟».

جاء رد فيدال من دون أي التباس: «بما أنه ممثلك الوحيد، نعم. ما هو اعتراضك على ذلك؟».

ردت ليوني رافعة ذقنها: «لا اعتراض، على شرط ألا توجه له أي إهانات أو اتهامات!».

أظهر فيدال نظرة ساخرة، وقال: «أؤكد لك أنه ستتم معاملته بشكل جيد. إن ضيافة آل دوس سانتوس لن تكون منقوصة أبداً».

سألت ليوني: «كم من الوقت تظن أننا سنظل هنا؟».

- لن نبقى أكثر مما هو ضروري فعلاً.

خلع فيدال قميصه بعد أن فك أزرارها، فرماها بلا مبالاة فوق كرسي. أحست ليوني بتشنج في أعصابها. ربما يأتي وقت يستطيع فيه فيدال أن يخلع ملابسه أمامها من دون أن يحرك أحاسيسها، لكن ذلك الوقت حتماً لم يحن بعد.

- هل ستبقين واقفة مكانك طيلة الليل؟

ردت ليوني بابتسامة ملتوية: «أعلم أن الأمر سخيف... أنا أشعر بالخجل منك في حين...».

أنهى فيدال الكلام عنها قائلاً: «في حين أنك استلقيت بين ذراعي وأننا أصبحنا زوجين فعلياً. حسناً! سوف تتخطين هذا الشعور، وفي غضون ذلك...».

شعرت بالامتنان لأنه لم يسخر من حيائها الذي يعتبره الكثيرون موضة قديمة الطراز. بهتت متاعب الساعات القليلة الماضية، فلم تعد هامة أمام الموجة الغامرة من الأحاسيس التي اجتاحتها. عندما تحركت يدا فيدال برفق لتجذباها نحوه.

أخفض رأسه ليضمها إليه في عناق مليء بالعاطفة. ازداد عناقه عمقاً، وأصبح متطلباً ما استجلب من ليوني ردة فعل مرحبة.

عندما عادت ليوني إلى أرض الواقع كانا يستلقيان على الفراش، أما فيدال فاستند على مرفقه إلى جانبها أيضاً. قال لها برقة: «أنت امرأة لا تقاوم، وعلاقتنا غاية في الروعة والانسجام!».

غمغمت ليوني: «أنت نفسك تصعب مقاومتك؟».

عانقها فيدال من جديد برقة بالغة، واتسعت ابتسامته عندما ارتعشت ليوني بشكل لا إرادي. سألها: «هل سامحتني؟».

فكرت بضعف أن بإمكانها مسامحته على كل شيء تقريباً. ردت قائلة: «أجرؤ أن أقول إنني سأنجو من هذه الصدمة».

ترددت في إفساد هذه اللحظة الرائعة، لكنها لم تقوَ على منع نفسها، فقالت متلعثمة: «أفترض... أن كاترينا سوف تفعل ذلك أيضاً».

قال فيدال بنبرة واقعية: «لم يبدُ عليها الانزعاج هذه الليلة. لعلني كنت أخدع نفسي طيلة تلك السنوات باعتقادي أنها تريد هذا الزواج أيضاً».

أغاظته ليوني وهي تضحك قائلة: «هل يؤذي ذلك غرورك؟».

- أظنه سوف ينجو من هذه الصدمة.

عانقها فيدال عناقاً خفيفاً آخر ثم دفع بنفسه ليستقيم ويقف على قدميه. راقبته ليوني وهو متوجه نحو الحمام مبدية إعجابها بحركة عضلات ظهره، مشاعرها نحوه تتخطى مجرد الانجذاب الجسدي إلى حد أكثر عمقاً. أقرت ليوني لنفسها بذلك. أما الأمر الذي تشك به فهو مدى عمق مشاعر فيدال تجاهها.

استيقظت ليوني مجفلة. شعرت بالضياع للحظة أو اثنتين، وما لبثت أن أدركت بإحساس من الصدمة أن ضوء النهار قد حلّ. لابد أنها غفت مباشرة ليلة أمس. تماماً كذاك الصباح الأول لزواجهما، استيقظت ليوني وحيدة. من المحتمل أن يكون فيدال هو من أيقظها لدى إغلاقه باب غرفة النوم. إنها السابعة صباحاً. إلى أين يذهب فيدال في مثل هذا الوقت المبكر؟ الوقت ما يزال مبكراً جداً حتى يبدأ باتصالاته الهاتفية ويقوم بالترتيبات اللازمة ليتولى موظفوه أمور العمل عنه. لكن، ربما لم يرَ أي جدوى من الانتظار أكثر.

نزلت ليوني من السرير فارتدت المئزر الحريري الخفيف، ثم توجهت إلى الحمام. كشفت لها المرآة الطويلة المثبتة على أحد الجدران عينين ملطختين بالكحل الأسود الذي لم تكن قد أزالته. مسحته ليوني مستخدمة الكريم المخصص لذلك على أمل ألا يكون فيدال قد لاحظ هيئتها صباحاً. ارتدت المئزر مجدداً بعد أن استحمت، ثم عادت إلى غرفة النوم لترتدي ثيابها. اختارت تنورة بيضاء مع قميص خضراء بسيطة وكانت تمشط شعرها عندما دخل فيدال إلى الغرفة.

كان يرتدي سروالاً من الجينز مع كنزة مخصصة للرياضة، بينما ظهرت الشعرات السوداء فوق ذقنه غير الحليق منذ ليل أمس، إلا أن نبضات قلبها

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

راحت تطرق بقوة بغض النظر عن ذلك.

تكلمت ليوني محاولة أن تبدو نبرتها عابرة، فقالت: «يبدو أنك استيقظت باكراً».

ردّ فيدال بنبرة مماثلة: «كان علي الاهتمام ببعض الأمور. أنت تبدين نضرة كندى الصباح!».

ضحكت ليوني وهي تتوقع منه أن يأتي نحوها فيلحق المجاملة بعناق صغير، لكنه توجه نحو الحمام عوضاً عن ذلك. شعرت بالاحباط فقومت كتفيها بحدة. هنالك أمور أهم لتفكر بها.

ساورها الكثير من الشك بألّا يأخذ والدها الدعوة حتى يحضر مباركة زواجهما في الكنيسة بعين الاعتبار. لابد أنه سيشعر بالانزعاج من هؤلاء الأشخاص إن حضر، تماماً كما تشعر هي نفسها.

كانت الساعة ما تزال السابعة والنصف، فلم تكن ليوني واثقة أين يجدر بها أن تتوجه، لذا جلست بالقرب من نافذة مفتوحة بانتظار فيدال. بدا الصباح رائعاً والشمس تخطت للتو صف أشجار الصنوبر، وبعثت الحرارة في القصر الحجري العتيق. أما الجبال فتوسطت المسافة بين القصر والسماء الزرقاء الصافية. المكان بأسره ما زال يسلب أنفاسها.

خرج فيدال من الحمام بعد أن استحم وحلق ذقنه. لكنه هذه المرة توجه نحوها مباشرة فربض على ذراع كرسيها، ثم فصل شعرها عن بعضه وداعب عنقها. أدفأت هذه المبادرة قلب ليوني، فاتكأت إلى الوراء قطرياً مستندة إليه.

- ما الذي سيحدث اليوم؟

ردّ فيدال: «اليوم يمكننا القيام بأي شيء نرغب به. سيقام مهرجان في القرية المجاورة. يمكننا أن نمضي ساعة أو اثنتين هناك إذا أحببتِ».

- أود ذلك.

كانت ليوني مستعدة لمجاراة أي شيء يقترحه فيدال. أضافت بنبرة وقورة مجدداً: «علي أولاً أن أتصل بوالدي هاتفياً».

نصحها فيدال قائلاً: «من الأفضل أن ننتظر حتى نعلم متى ستقام مراسم

الزفاف. قد يتطلب الأمر بضعة أيام ليتم تنظيمه. هل أنت مستعدة للنزول؟».

في الواقع هي ليست مستعدة فعلاً، لكن لا بد من مواجهة الأمر في وقت ما. لعل حماتها لانت قليلاً خلال الليل، فكرت ليوني بذلك من دون أمل كبير.

تناولا الفطور على الشرفة. رفضت ليوني عرض فيدال بأن يطلب طعاماً لأجلها. سرّها أن تتناول الفاكهة الطازجة واللفافات الساخنة وخبز البايغل مع المربى، التي تم وضعها مسبقاً على الطاولة. استطاعت ليوني أن تسترخي لعدم وجود أي شخص آخر معهما في تلك اللحظة، فاستمتعت بالهدوء والسكينة اللذين يسودان المكان. بدا فيدال مسترخياً بدوره، حيث جلس واضعاً إحدى رجليه فوق الأخرى.

جلست ليوني باستقامة أكثر في كرسيها عندما خرج السينيور دوس سانتوس من أحد البابين اللذين يقودان نحو البهو الكبير. كان يرتدي ملابس عادية هي عبارة عن سروال مع قميص مفتوحة عند العنق، لكنه بالرغم من ذلك بدا مهيباً. ألقت ليوني التحية قبل أن يتمكن الرجل من الكلام: «صباح الخير».

قالت ذلك باللغة البرتغالية، وتابعت بالإنكليزية: «هذا كل ما أستطيع تدبره في الوقت الحالي، لكنني سأتعلم».

ردّ الرجل: «أقدر لك مجهودك. هل نمتِ جيداً؟».

التقت عيناها بعيني فيدال، فواجهت ليوني صعوبة في الحفاظ على رصانتها الظاهرية. قالت: «نعم. شكراً لك».

بعدئذٍ ذهب والد فيدال ليختار الطعام والشراب لنفسه، فتساءلت ليوني إن كانت العلاقة بينها وبين والدة فيدال قد تصبح جيدة في وقت ما. يجدر بهما أولاً أن يقبلاها كفرد شرعي من آل دوس سانتوس.

جلس السينيور دوس سانتوس على كرسي بعد أن اختار لفافة واحدة فقط مع القهوة، وما لبث أن قال: «سيقام الاحتفال بعد يومين، وسيحضره فقط أفراد العائلة وأولئك المقربين جداً منا».

وجدت ليوني نفسها مجبرة على الاعتراض، فقالت: «ذلك لا يترك الكثير من الوقت أمام والدي حتى ينظم أموره. أنا لم أتصل به حتى الآن».

طمأنها فيدال بهدوء: «سأرتب له رحلة يوم الغد، وسأرسل أحدهم ليلاقيه في بورتو».

- حتى لو كانت هناك رحلة، فقد لا تتوفر مقاعد شاغرة.

وقف فيدال على قدميه قائلاً: «في تلك الحالة سوف أستأجر طائرة. سأهتم بالأمر الآن».

تحكمت ليوني بصعوبة برغبتها في اللحاق به كي لا تبقى بمفردها مع والده. لم يقل هذا الأخير أي تعليق فوري، بل ترك الأمر لها حتى تكسر جدار الصمت بينهما.

- أنا حقاً آسفة على ما حصل. لو أنني عرفت...

سأل السينيور دوس سانتوس فيما ترددت ليوني: «لو أنك عرفت بخصوص هذا الالتزام مع امرأة أخرى أكنت سترفضين عرض ابني بالزواج منك؟».

عضت ليوني شفتها، ولم تستطع إلا أن تعطيه جواباً صادقاً، فقالت بعد فترة: «لا يمكنني أن أدعي ذلك، فأنا لا أعتبر تدبيراً كهذا تم الاتفاق عليه عندما كان فيدال مجرد صبي شيئاً ملزماً بأي شكل».

طالبها قائلاً: «لماذا إذاً توحين بالعكس؟ ما من داع لأن تعتذري على مسألة لم تعرفي أي شيء بخصوصها. الذنب هو ذنب فيدال وحده لأن كاترينا باتت مهجورة الآن».

غامرت ليوني بالقول: «لم تبدُ لي منزعجة ليلة أمس. لعلها لم تكن تحبذ الفكرة كثيراً هي أيضاً».

قال الرجل: «لا جدوى من التمعن في المسألة. أنت أصبحتِ فرداً من العائلة الآن، ولعلك سوف تقنعين فيدال أن يزورنا أكثر في المستقبل».

فكرت ليوني أن هنالك فرصاً أكبر لحصول ذلك الآن بما أن الضغط زال عنه. فكرت أن تسأله إن كانت حماتها أيضاً ترغب بزيارات أخرى من قبل

ابنها، لكنها قررت أن ليس من حقها أن تسأل عن ذلك.

عاد فيدال بعد وقت قصير، فأعلن أنه أمّن مقعداً شاغراً على طائرة تقلع من مطار هيثرو عند الساعة التاسعة والأربعين دقيقة من صباح اليوم التالي. أظهرت ليوني بعض التردد قبل أن تنهض ثم تذهب لتتصل بوالدها كي تبلغه بالخبر. إنهم يتقدمون توقيت غرينتش بساعة واحدة ما يعني أن والدها لم يغادر إلى مكتبه بعد.

تم الاتصال من دون أي صعوبة، إلا أن ترحيب والدها حمل لمحة تأنيب فمن الواضح أنه كان ينتظر اتصالاً منها قبل الآن. قالت ليوني: «أنا في منزل عائلة فيدال الذي يقع في الدورو. يرغب والده أن تتم مباركة زواجنا في الكنيسة بعد غد، ويجب أن تكون موجوداً أيضاً».

هتف والدها: «لا يمكنني أن أترك كل شيء بهذه البساطة!».

ردت ليوني: «بل يمكنك، مادام رب عملك يطلب منك ذلك. حجز فيدال لك مقعداً على طائرة تتوجه إلى بورتو من مطار هيثرو غداً صباحاً عند التاسعة والأربعين دقيقة. سوف يلاقيك أحدهم في المطار ويحضرك إلى هنا. حضّر نفسك لبعض المفاجآت، فوالداه يقيمان في قصر».

سأل ستيوارت مشككاً: «هل أنتِ واثقة؟».

طمأنته ليوني قائلة: «لم أكن أبداً واثقة أكثر. علي أن أحذرك أيضاً بأن الموافقة على زواجنا ليست تامة، خصوصاً من قبل والدة فيدال. سوف أخبرك بكامل التفاصيل عندما أراك».

قال: «يبدو الأمر مثيراً فعلاً. سوف أحضر. فقط لا تدعيهم يهبطون من معنوياتك».

- لا نية لدي بذلك.

بعد أن استدارت رأت والدة فيدال واقفة عند أسفل الدرج على بعد بضع أقدام منها. تساءلت أي جزء من حديثها مع والدها سمعت؟ اتهمتها المرأة الأكبر سناً قائلة: «أنت أغويتِ ابني لكي يتزوجك!».

تمالكت ليوني نفسها بحزم، فانتقت كلماتها بعناية وقالت: «أتعتقدين فعلاً

أن فيدال هو من الرجال الذين ينجرون خلف امرأة؟».

جاء رد الوالدة بنقد لاذع قائلة: «الرجال يصابون بالعمى بسهولة لدى رؤيتهم فتاة جميلة. لكن كاترينا لديها أكثر من ذلك حتى تهبه له. سوف يتوصل إلى استنتاج ذلك بنفسه».

حاولت ليوني جهدها كي تحافظ على نبرة صوت هادئة، فقالت: «لا أظن ذلك. في الواقع، أنا أضمن لك بأنه لن يفعل. هو يعتبر كاترينا شخصاً لطيفاً، لكنها بكل بساطة غير مناسبة له».

- بينما أنت، ابنة... مجرد محاسب، مناسبة؟

- ابنة رئيس المحاسبة في إحدى الشركات الخاصة بابنك.

تكلمت والدة فيدال بنبرة أكثر ازدراءاً قائلة: «والدك هو مجرد موظف لدى ابني؟».

أعلنت قائلة بفخر: «والدي رجل طيب! وسواء أعجبك الأمر أم لا، أنا زوجة فيدال لا كاترينا!».

استدارت والدة فيدال فجأة ووجهها مشدود، ففتحت أقرب باب واختفت في الغرفة وراءه، ثم أغلقت الباب خلفها بصفعة قوية. فكرت ليوني بأسى أن هذا ليس بالتحديد الحديث الودّي الذي أملت به. سألها فيدال من مدخل باب الشرفة: «هل قمت بالاتصال؟».

أجفلت ليوني، لكنها طمأنته قائلة: «نعم. تم الأمر».

قال بدهاء بينما تحركت ليوني نحوه: «تبدين غير مستقرة. هل أنت واثقة أن ليس هنالك أي مشكلة؟».

أقرت ليوني وهي واثقة من أنه سوف يسمع بالخبر من والدته في أي حال: «أخشى أنني صادفت والدتك للتو، وربما تصرفت بقليل... من عدم اللياقة».

انتفضت زاويتا شفتي فيدال، وسألها: «إلى أين ذهبت؟».

أشارت ليوني إلى الغرفة: «إلى هناك. أظن أن من الأفضل أن تدعها بمفردها الآن».

- تصرف حكيم جداً. سوف تغير رأيها بالموضوع عندما يحين الوقت المناسب.

ردّت ليوني على ادعاء فيدال: «لا يمكنك أن تجعل الجميع يطيعونك. إنها امرأة عنيدة جداً ومتصلبة في رأيها. قد تقرر أن تتبرأ منك».

- والدي لن يسمح بذلك.

أجابت ليوني برد مضاد: «أتعني أن الرجل يمتلك الحق تلقائياً بأن يتخذ القرار عنهما معاً؟ يفترض بالزواج أن يكون مشاركة لا تسلطاً وسيطرة!».

- إذا كان الوالدان على رأيين متعاكسين يجب أن يقود أحدهما دفة القرار. هل كنت ترغبين بالمزيد من القهوة؟

هزت ليوني رأسها نفياً مدركة عدم جدوى المزيد من المناقشة، فوجهات نظر فيدال الخاصة راسخة جداً ولا يمكن أن تقوضها بكلماتها المجردة. قالت: «يجدر بي أن أذهب لأخبر والدك أن الأمر تم ترتيبه».

- سوف يعتبر الأمر منتهياً مسبقاً.

اللمعان المرح في عيني فيدال جعل ليوني ترسم ابتسامة مترددة على شفتيها. قالت: «أفترض أنني جلبت ذلك لنفسي».

وافقها فيدال قائلاً: «من المستحيل أن أقاوم رغبتي بإغاظتك عندما تهاجمينني بهذا الشكل كما فعلتِ الآن. لكن... الوردة التي تفتقر إلى الأشواك يسهل قطفها».

WWW.REWITY.COM KAYAHEEN

٧- بين نارين

وصل ستيوارت باكستر عند الساعة الثالثة. بدا مندهشاً بالمكان في بادئ الأمر تماماً كما حصل مع ليوني. رحب به والد فيدال بلباقة، لكن والدته أظهرت بعض التحفظ.

قالت ليوني متهكمة عندما وصلا إلى غرفة النوم التي خصصت لوالدها: «حظيت باستقبال أفضل من الذي حظيت أنا به من قبلها.

علّق ستيوارت قائلاً: «لا يفاجئني الأمر إذا تم إسقاط الخبر المفاجئ عليهما كما فعلتما معي. أنا نفسي ما زلت أحاول تجاوز تأثير الصدمة».

أقرت ليوني قائلة: «هنالك ما هو أكثر من ذلك. كان يفترض بفيدال أن يتزوج من نسيبته، فقد تم تدبير ذلك عندما كان صبياً».

راقبها ستيوارت وهو مستغرق في التفكير، فقال: «ألهذا قرر فيدال أن يواجههم بالأمر الواقع؟».

تمهل قليلاً وقد سجل الحذر في عيني ليوني، ثم تابع: «هل هنالك ما لم تطلعيني عليه بعد؟».

واربت ليوني قائلة: «ماذا تقصد؟».

- مثلاً أنك أدركت بأنك ارتكبت خطأ؟

أنكرت ليوني قائلة: «أنا لم أرتكب أي خطأ».

- إذاً أنت فعلاً تحبينه؟

- بالطبع!

أكدّت له ليوني من دون تردد وقد استشعرت بعدم الثقة من جهة والدها، فتابعت: «هو يمثل كل ما أريده في الرجل».

- وهل أنت واثقة من مشاعره حيالك؟

فقالت مجدداً: «بالطبع! فهو انتظرني مدة سنتين. أليس كذلك؟ أي إثبات أفضل من هذا؟».

ابتسم ستيوارت بوهن، ثم هزّ رأسه قائلاً: «أنا أوافقك الرأي. من حسن حظي أنه يشعر كذلك تجاهك، وإلّا لكنت سأتعفن في السجن. أستنتج أن والديه لا يعرفان القصة بكاملها؟».

قالت: «بالطبع لا. لا أحد غيرنا يعلم».

عانقته، ثم تابعت: «أنا مسرورة جداً لوجودك هنا، أبي!».

أشار والدها قائلاً: «لم أمنح خياراً بذلك. أظن أن فترة طويلة ستمر قبل أن نصبح أنا وزوجك على مودة عائلية».

لم تكن الأمسية مشحونة الأجواء كما توقعت ليوني. بذل والدها جهده حتى يلطف الأجواء، فبدا ساحراً عندما أطلق العنان لنفسه. أما السينيورا دوس سانتوس فلانت بما فيه الكفاية حتى تتفضل عليه بابتسامة خافتة، عندما اعتذر ستيوارت لعدم تمكنه من التكلم بلغتهم منتقصاً من قدر نفسه بمرح، خصّت السينيورا دوس سانتوس الموضوع قائلة إن انتشار اللغة الإنكليزية بكثافة بين الشعوب يفسر سبب عدم تحمس الإنكليز أنفسهم لتعلم لغات أخرى.

بعد العشاء علمت ليوني من والدها أن فيدال حجز له رحلة العودة إلى الديار يوم الثلاثاء، وهذا جعل الدماء تغلي في عروقها. بالنسبة إليه والدها هو مجرد موظف، ما إن دخلا إلى خصوصية غرفة نومهما حتى قالت له: «يفاجئني أنك لم تحجز لوالدي رحلة للعودة مساء الغد. من الواضح أنك بالكاد تنتظر حتى تتخلص منه!».

أجابها فيدال بنبرة عادية: «والدك لديه عمل وأنا كذلك. نحن سنغادر يوم الثلاثاء أيضاً».

ردت ليوني بكلمات لاذعة: «هل العمل هو جلّ ما تفكر به؟».

- نعم، إن اهتمامي بالعمل أمر أساسي بالنسبة إلي. عليك أن تتقبلي هذا

الأمر.

* * *

بدت الكنيسة الصغيرة المزينة عابقة بعبير الأزهار. وقفت ليوني إلى جانب فيدال فتفوهت بالردود التي لقنها إياها مسبقاً عندما طُلب منها ذلك، لم تتم سوى دعوة عدد قليل من الأصدقاء المقربين وأفراد العائلة حتى يحضروا الزفاف، تماماً كما قال السينيور دوس سانتوس. عاد المشاركون في الحفل إلى القصر من أجل مأدبة الغداء، ثم اندفعوا نحو الشرفة لاحقاً وقد اكتفوا من الطعام والشراب.

رأت ليوني كاترينا تنسل إلى الداخل فتبعتها باندفاع. وصلت إليها عندما تمهلت المرأة الأخرى في منتصف الطريق عبر البهو ومرّرت أناملها بخفة على مفاتيح البيانو. سألتها ليوني: «هل تجيدين العزف؟».

أجابت كاترينا بحياء: «قليلاً، وأنت هل تجيدين العزف؟».

- قليلاً.

توقفت ليوني عن الكلام غير واثقة تماماً كيف يجدر بها أن تقول ما تريد قوله. أخيراً قرّرت أن الأسلوب الوحيد هو أن تتكلم مباشرة. فقالت: «لابد أن الأمر ليس سهلاً عليكِ، بما أنك انتظرتِ طيلة هذه المدة».

ابتسامة كاترينا بدت بمثابة تطمين بحد ذاتها، ثم أقرّت: «إنه أمر مريح بالنسبة إلي، بل هو ارتياح كبير. أنا أكنّ لفيدال أكبر قدر من الاحترام، لكن لا رغبة لدي بأن أصبح زوجته».

سألتها ليوني: «لماذا إذاً لم توضحي ذلك؟».

جاء ردّها البسيط: «موقعي لا يسمح لي بأن أفعل ذلك. لم يكن أمامي إلّا أن أثق بتصميم فيدال على الرفض. أنا مسرورة لأنه اختار بنفسه ما يريده، فأنت ملائمة له إلى حد كبير».

في تلك اللحظة ناداها شقيقها روك من مدخل باب الشرفة: «كاترينا! أمي تبحث عنك!».

اختفى التوهج من وجه كاترينا تاركاً مكانه خواءً غامضاً مظلماً، فقالت

تترجم الكلام لليوني: «والدتي تريدني أن أذهب إليها. أتمنى لك ولفيدال السعادة سوياً».

بقي روك واقفاً بالقرب من الباب فيما تقدمت شقيقته عبر البهو نحوه، أما ليوني فجلست خلف البيانو وعزفت بضع نوتات غير واثقة وهي تفكر في ما قيل للتو. تبلغ كاترينا السابعة والعشرين من عمرها الآن، وقد تحررت للتو من أي التزامات تجاه فيدال، فلا بد أنها تشعر الآن أنها حرّة لتعيش حياتها كما تختار. لكن ذلك ليس أمراً مؤكداً.

كان والد ليوني قد وصف نمط عيش آل دوس سانتوس بأنه شبه إقطاعي، وهو محق في ذلك.

- أنت بارعة في العزف، مع ذلك فأنا غير قادر على معرفة اسم هذه المقطوعة الموسيقية.

علّق روك بهذا الكلام مسبباً الصدمة ليوني، إذ إنها لم تلاحظ أنه يقترب منها.

أجابت: «إنه ليس شيئاً محدداً».

نظرت إليه وهو يتقدم نحوها، وصُدمت مجدداً لأن الشبه الكبير الذي يتشارك به مع فيدال فشِل في ترك أي انطباع مهما يكن على أحاسيسها. تابعت قائلة: «لم ألاحظ أنك هنا».

- ظننت أنه آن الأوان لكي أتعرف إلى نسيبتي الجديدة.

ظهر الاعجاب بكل وضوح على وجه روك وهو يدقق النظر في وجه ليوني المصدوم فيما رفعت رأسها إلى الأعلى لتنظر إليه. تابع يقول: «يمكنني أن أفهم لماذا اختارك فيدال وفضّلك على شقيقتي. كنت لأفعل الأمر نفسه لو كنت مكانه، فشعرك يتحدى الشمس بمجده وتألقه!».

قالت برصانة: «شكراً لك. إنك لطيف جداً».

أجابها: «ليس من الصعب أبداً أن أكون لطيفاً مع امرأة جميلة».

تذكرت أن فيدال قال شيئاً مشابهاً لهذا الكلام خلال أول لقاء لهما.

قالت: «يجدر بي أن أعود. فيدال سوف يتساءل أين ذهبت».

بدا روك مجروح الاحساس، فمن الواضح أنه ليس معتاداً أن تظهر أي امرأة عدم رغبتها برفقته. قال: «تعلمت عزف البيانو أنا أيضاً، وسوف يشرفني أن أعزف لك قبل أن تذهبي».

فكرت ليوني أنها لو رفضت فذلك سوف يبدو فظاظة واضحة، لذا ردت قائلة على مضض: «يشرفني أن أسمعك تعزف لي».

انزلقت عن الكرسي، وتنحت جانباً فيما أخذ روك مكانها وبدأ يعزف لها. لم تفارق عيناه وجهها، بينما تراقصت أنامله فوق مفاتيح البيانو. كان لابد لها أن تقر أنه عازف جيد. صفّقت بحماسة حين قال: «أتجدينه أمراً مفاجئاً أن أمتلك ذوقاً كلاسيكياً في الموسيقى؟».

أنكرت ليوني: «أبداً. إنه شيء آخر تتشارك به مع فيدال».

استفسر روك قائلاً: «شيء آخر؟».

- لابد أنك تدرك كم أنتما متشابهان في الملامح.

ثم أضافت: «إذا كان هنالك ما يفاجئني فهو أنك ما تزال غيرمتزوج».

جاء ردّه الرقيق بسرعة: «أخواي جورجي وأنجلو يسهل إرضاؤهما أكثر مني. فالمرأة التي سأختارها لابد أن تكون استثنائية من كل النواحي. فيدال محظوظ لأنك زوجته».

رفع روك إحدى يديه فغطى يدها التي كانت مستقرة بالقرب من لوحة المفاتيح. داعبها بأنامله متابعاً: «آمل أن يبرهن أنه يستحقك».

سحبت يدها من دون عجلة، ثم قالت: «أنا واثقة من ذلك. والآن أنا فعلاً مضطرة إلى العودة».

كان بابا الشرفة منفرجين، فوجّه لها فيدال نظرة متصلبة عندما خرجت إلى ضوء الشمس، بينما كان يتحدث إلى أنجلو وأحد الرجال القريبين منه. استنتجت ليوني أنه شعر بالانزعاج لأنها تركت الحفلة، بالرغم من أنها لم تغب إلا حوالى الخمس عشرة دقيقة.

كان والد ليوني يتحدث مع والد فيدال، بدا حديثهما وديّاً حسبما استنتجت، أما كاترينا فجلست مع بقية النساء في الحفلة عند الطرف البعيد من

الشرفة. فكرت ليوني بأن تذهب لتنضم إليهنّ، إلا أنها لم تدرك أن روك خرج من المنزل خلفها إلى أن استقرت يده على كتفها.

- أترغبين بالمزيد من العصير؟

ردّت ليوني وهي تتمنى لو يغرب عن وجهها: «شكراً لك. شربت بما فيه الكفاية».

ضحك روك وقال: «أسلوبك في التعبير عن نفسك ممتع جداً».

تمنعت عن النطق بالجواب اللاذع الذي طرأ على بالها، فقالت عوضاً عن ذلك: «عذراً، آن الأوان لأن أقدم احترامي للسيدات».

وجدت ليوني نفسها مركز اهتمام الجميع إذ انصبت عليها نظرات الجميع وهي تسير على الشرفة.

جلست على كرسي وهي توزع الابتسامات إلى كل من حولها، فعلّقت حماتها قائلة: «كاترينا أخبرتنا أنك تبرعين بعزف البيانو. لابد أن تعزفي لنا عندما نزور أنسباءنا».

اعترضت ليوني، متسائلة كيف تمكنت من إعطاء كاترينا ذاك الانطباع: «أنا فعلاً لست بارعة إلى هذه الدرجة. على أي حال أعتقد أن فيدال قرر أن نغادر يوم غد».

بدت حماتها وكأنها تلقت إهانة، فقالت: «لا يمكنه أن يفعل ذلك! ألا نعني له نحن شيئاً؟ أيعقل أنه غير قادر على أن يوفر لنا بضعة أيام أخرى من وقته؟».

هدأتها ليوني، فيما تمنت لو أنها أبقت فمها مقفلاً، إذ قالت: «أنا واثقة أنك تعنين الكثير له، لكنه ضغط العمل».

- لابد أن لديه أشخاصاً يمكنهم أن يتعاطوا مع مسائل العمل أثناء غيابه.

- نعم، لكن...

- حتماً ما من سبب يدعوه للعودة سريعاً. سوف تخبرينه بذلك.

فكرت ليوني بعبارة «سوف تخبرينه بذلك» فيما كبحت في داخلها رغبتها في الرد بفظاظة. إن علاقتها بحماتها شديدة الحساسية فلا يمكنها أن تجازف بإبعادها عنها أكثر بعد. سوف توصل له الرسالة، ويعود الأمر لفيدال نفسه

كي يقرر. بالإضافة إلى والدة كاترينا، كانت هناك ثلاث نسوة أخريات، وكلهنّ متزوجات، لكن أياً منهن لم تعبر عن المودة والدفء أثناء إلقاء التحية على ليوني. من المحتمل أنهن يأخذن إشاراتهن من مضيفتهن السيدة دوس سانتوس.

أجبرت ليوني نفسها على عدم إظهار أي انزعاج، فحثّت السيدات قائلة: «أرجوكن تابعن حديثكن. قد أتمكن من فهم بضع كلمات».

وبخّتها السينيورا دوس سانتوس قائلة: «لا بد أن تتعلمي اللغة إذا رغبت أن يفهمك الآخرون. على فيدال أن يحضر لك مدرساً. عندما تزورينا في المرة المقبلة، أتوقع منك أن تتكلمي بطلاقة».

- سوف أبذل قصارى جهدي.

وعدتها ليوني بذلك وهي تفكر أنها ربما لن تضطر إلى ذلك، فهي واثقة أن المرأة الأخرى سوف تكون أول من يهلل عندما ينحلّ زواجهما. وذلك سوف يحصل عندما يفقد فيدال اهتمامه بها. قالت ليوني لحماتها وقد أرهقها عناء المحافظة على رباطة جأشها: «أرجو أن تعذرني، أنا مضطرة للذهاب إلى الحمام».

أحنت السينيورا دوس سانتوس رأسها بتصلب، فاستنتجت ليوني من تعابير وجهها المزدرية أن أموراً حساسة كهذه لا يتم ذكرها علناً. لكنها لم تأبه لذلك، فالهروب هو الأولوية عندها.

شقت طريقها مجدداً إلى داخل المنزل، فتوقفت للحظة حتى تدرس خياراتها. ليس لديها أدنى فكرة عن مدى استمرار هذا الحفل، وافترضت أن من المحتمل أن يمتد إلى المساء.

أدارت رأسها بحدة ما إن فُتِحت أبواب الشرفة مجدداً وهي تتوقع جزئياً أن ترى روك يلاحقها إلى الداخل. راقبها فيدال بحاجبيه المرفوعين قائلاً: «هل تتوقعين شخصاً آخر؟».

- من سأتوقع غيرك؟ أنا فقط سئمت قليلاً من الأجواء العامة في الخارج.

- باستثناء روك؟

نبرة فيدال جعلت ليوني ترسم خطاً بين حاجبيها، فقالت: «ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟».

- أمضيت وقتاً معتبراً بمفردك معه منذ قليل. لست وحدي من لاحظ ذلك.

قالت: «كنت مع كاترينا، ثم جاء روك ليخبرها أن والدتهما تريدها. بعدئذٍ عزف لي مقطوعة على البيانو، هذا كل ما في الأمر. إنه في الواقع عازف ماهر على البيانو».

قال فيدال ملاحظاً: «كان يداعب يدك عندما رأيته، وأنت لم تقومي بأي مجهود حتى تمنعيه».

ردت ليوني بكلمات لاذعة: «أنا لا ألعب دور البطلة التي أهينت كرامتها بسبب مبادرة بسيطة. على أي حال، بما أنك اعتقدت أن هنالك شيئاً ما يدور بيننا، لِمَ لم تصرخ في وجهه حينها؟».

بعد أن تخلص فيدال من سترة البذلة الرسمية الغامقة الناعمة التي ارتأت والدته بأنها الحلّة الملائمة للاحتفال، ظهرت قميصه الحريرية ذات اللون القشدي المفتوحة عند العنق، فبدا مسترخياً من الخارج، لكن اللمعان في عينيه أنبأها بعكس ذلك.

- أنا لن أمنح روك الرضى بإظهار انفعالي. سوف تبقين بعيدة عنه!

إن وقت الوقوف على رأيها سوف يكون عندما تجد شيئاً يستحق الوقوف لأجله! هذا ما قالته لنفسها يوم أمس. والآن قررت أن ذاك الوقت هو هنا والآن بالذات. ردت بكلمات لاذعة: «لا تُملِ عليّ ما يجب أن أفعله، فأنا لست امرأة رقيقة حلوة صغيرة وخاضعة!».

ازداد اللمعان في عيني فيدال، وقال: «سوف تفعلين ما أقوله أنا!».

تحدته ليوني قائلة: «وإلّا ماذا؟ هل ستكشف والدي على حقيقته؟ افعل ذلك وسوف تخسر كلّ ما يجعلك تمسك بي!».

توقفت ليوني عن كلامها هناك، أما ما صدمها فهو تلاشي التعابير الغاضبة فجأة من عينيه السوادوين. تكلم فيدال بنبرة خالية من الأحاسيس: «لدينا

WWW.REWITY.COM
BAYAHEEN

ضيوف، ومن غير اللائق أن يهجرهم العريس والعروس سوياً».

فكرت ليوني بتمرد، ما دام الأمر كذلك ما كان يجدر به أن يتبعها، مع ذلك وجدت نفسها تشير إلى الأمام وتتبعه إلى الخارج بغض النظر عن كل شيء. بدأ الضيوف يغادرون تباعاً، أما الأنسباء فكانوا آخر من غادروا حوالى الساعة السادسة والنصف. فكرت ليوني أنهم ربما يأملون أن تتم دعوتهم إلى العشاء، ثم شعرت بالارتياح لأن ذلك لم يحصل. يكفيها التعامل مع فرع واحد من عائلة دوس سانتوس. أثناء ذلك، تجنبت تماماً أي وداع مباشر لروك.

علّقت ليوني قائلة لوالدها: «يبدو أن فيدال يكن الحقد تجاهه».

ردّ والدها: «أخبرني والد فيدال أنهما كانا متنافرين منذ صغرهما. اتفقنا أنا ووالده تماماً بعد ظهر اليوم. على العكس من زوجته، والد فيدال يتقبل الموقف. لايمكنه التصرف عكس ذلك إذا ما رغب برؤية أحفاده، بافتراض أنكما سوف تنجبان الأطفال... ألستما كذلك؟».

أطلقت ليوني ضحكة، ولم تفاجأ بخوائها. قالت: «لم يمض على زواجنا سوى أسبوع، أبي!».

- أنا أتكلم عن المستقبل، بالطبع. أنا أيضاً أتطلع بشوق لأن يصبح لدي أحفاد.

قالت ليوني: «أنت لم تبلغ الخمسين من العمر بعد. الوقت لم يفت حتى تتعرف على شخص ما».

وجه لها ستيوارت نظرة، فقال: «أتعنين أنك لا تمانعين لو فعلت ذلك؟».

هزّت ليوني رأسها وقالت: «أتعني بسبب أمي؟ ذاك سيكون موقفاً أنانياً جداً. أعلم كيف كنت تشعر حيالها، لكن مضت أربع سنوات. أعرف أنها لا تريدك أن تمضي بقية حياتك بمفردك».

توقفت ليوني عن الكلام، ثم نظرت إلى والدها بتشكيك مفاجئ، وقالت: «أنت لم تفعل... أم بلى؟ أعني هل التقيت بإحداهن؟».

ابتسم ستيوارت، وقال: «لم يمضِ على لقائنا سوى بضعة أيام».

قاومت ليوني غصة كرب لا يمكن نكرانها، وقالت: «من الواضح أنك

معجب بها. كيف التقيتما؟».

- ذهبت إلى المسرح ليلة رحلتِ، وشيرلي كانت تجلس على المقعد المجاور. إنها أرملة في بداية الأربعينيات من عمرها، ولديها ابن في العشرين من عمره. إنه في الجامعة الآن، لذا فهي تمضي وقتاً طويلاً بمفردها أيضاً. هي تملك منزلاً خاصاً بها في هولبورن.

علّقت بخفة: «لابد أنكما تبادلتما الكثير من الأحاديث. كيف تبدو؟».

ردّ والدها: «جميلة. ليست متألقة، لكن، فقط... جميلة. قوامها جميل نظراً إلى سنّها».

كان لابد لليوني أن تضحك، فقالت: «آمل أن تنجح معك هذه العلاقة».

ثم أضافت: «أنا حقاً آمل ذلك، فأنت تستحق السعادة».

ردّ والدها وهو يحني رأسه: «ما أستحقه هو المكان الذي كنت لأصير فيه لولاكِ. بغض النظر عن شعورك نحو فيدال، أنا أشك بأنك كنت لتتزوجيه بهذه السرعة لو كانت الظروف عادية».

أبقت ليوني على صوتها ثابتاً: «لو كانت الظروف عادية، لربما ما كنا سنلتقي مجدداً. على أي حال دفعت ما يستحق عليك، وآن الأوان لأن تسير قدماً. أنا أتطلع بشوق للتعرف إلى شيرلي».

- هل ستزورين لندن قريباً؟

وعدته ليوني بتهور: «قريباً جداً. إذا كان فيدال غير قادر على القدوم، سوف آتي بمفردي».

كان الأخير قد دنا من زاويتهما من الشرفة من دون أن يلحظه أي منهما، فقال معلناً: «لن تذهبي إلى أي مكان بمفردك».

بدا صوته مشدوداً كوجهه حين قال: «هل أخبرت والدتي أننا سوف نبقى لبضعة أيام إضافية؟».

أجابت ليوني وقد وقف شعرها تلقائياً: «في الواقع. هي من أخبرتني بذلك».

- لكنك لم ترِي أن هنالك من داع لأن تعترضي على ذلك؟

– لم أعتقد أن الأمر يعود إلي لأفعل. على أي حال، هل تلك تضحية كبيرة جداً؟

لم يكن لدى ليوني أي اهتمام إطلاقاً في تمضية أيام إضافية برفقة حماتها، لكنها شعرت بالانزعاج من موقف فيدال. قالت: «قد يبرهن ذلك عن بعض الاعتبار لهم بعد كل ما جعلناهم يمرون به».

تكلم فيدال بنبرة حريرية: «إذاً سوف نبقى. سأذهب لأستحم الآن».

صفّر ستيوارت فيما غادر صهره، وقال: «أظن أن سيدك وقائدك نكد بعض الشيء!».

ردت ليوني بكلمات لاذعة، ثم ندمت لحظة غادرت الكلمات شفتيها، فقالت: «لا تسمّه كذلك».

– فيدال لا يتقبل بلطافة أن يتم اتخاذ القرارات عنه كما يبدو.

قالت ليوني بحدة: «خصوصاً من قبل زوجته. فبنظره لا يحق للنساء أن يتخذن القرارات».

مرّت لحظة أو اثنتين قبل أن يجيب ستيوارت قائلاً: «أنا واثق أن ذلك غير صحيح».

القلق البادي في صوت والدها جعل ليوني تخجل من نفسها، فقالت: «لا، بالطبع. هذا غير صحيح. أنا أتصرف بغباء. إنها عائلته، ومن الطبيعي أن يتخذ هو القرار بنفسه».

– لكن أظن أن لديك وجهة نظر. لابد أن الأمر تطلّب بعض العناء لكي يجهزوا كل شيء خلال عدّة أيام فقط. بالنظر إلى الظروف. فالينتي...

استفسرت ليوني: «فالينتي؟!».

– حماك طلب مني أن أناديه باسمه. كنت أقول إنه وجد صدمة الزواج صعبة، لكنه أدرك أن التنكر لفيدال هو الخيار الوحيد بدل القبول. إذا كان والده قادراً على بذل هذا المجهود فحري بفيدال أن يبذل بدوره مجهوداً ما. حان الوقت لأستحم وأبدل ملابسي أنا أيضاً.

بدت ليوني مترددة، فهي لم تكن في مزاج يسمح لها بمواجهة فيدال مجدداً.

لكنها قالت: «أفترض أنني سأفعل ذلك أنا أيضاً».

استطاعت ليوني أن تسمع صوت مياه الحمام الجارية عندما دخلت إلى غرفتها. من المحتمل أن فيدال كان ينتظرها.

اختارت فستاناً من بين ملابسها في الخزانة بالإضافة إلى ملابس داخلية نظيفة.

خرج فيدال وهو يلف منشفة صغيرة الحجم حول وركيه، أما شعره الأسود فبدا مشعثاً وما يزال يلمع بسبب البلل. أشار إلى غرفة الحمام التي غادرها للتو، ثم قال بصوت هادئ: «كلها لك».

حدقت ليوني إليه بارتباك فيما توجه إلى ناحية الخزائن، فقالت له: «أهذا كلّ ما لديك لتقوله؟».

أجاب فيدال من دون أن يدير رأسه: «ماذا تريدينني أن أقول غير ذلك؟ لقد أثبتِ وجهة نظرك، بأنني كنت عديم الاعتبار واللياقة».

لم تجد ليوني أي جواب ترد به عليه من دون أن تتراجع هي أيضاً. لكنها لم تكن مستعدة لذلك.

٨ ـ غلطة واعتذار

غادر ستيوارت إلى المطار عند الساعة العاشرة، ووجدت ليوني أن الوداع الآن صعب بالنسبة إليها أكثر من المرة السابقة.

سألها والدها: «هل كل شيء على ما يرام؟ أعني بينك أنت وفيدال؟».

طمأنته ليوني قائلة: «كل شيء جيد. اطمئن!».

استدارت نحو فيدال ما إن اختفت السيارة التي أقلّت والدها على طول الطريق الكثير المنعطفات، ثم قالت: «الطف منك أن تأتي معي لتوديع والدي. أنا واثقة أنه يقدر لك ذلك».

– كان والدي ليستغرب الأمر لو أنني تركتك تودعينه بمفردك.

ردت ليوني: «بالطبع! سوف تكون صدمة حقيقية بالنسبة إليه لو أكتشف ما أنت قادر عليه فعلاً. حتى إنه قد يتبرأ منك».

درس فيدال ملامحها بسخرية، ثم قال: «ذلك محتمل. لكنك لست بريئة تماماً بسبب موافقتك على الشروط التي وضعتها».

اعترضت ليوني قائلة: «لم يكن أمامي أي خيار!».

– بل كان لديك الخيار. إنقاذ والدك من الملاحقة القانونية لم يكن السبب الوحيد الذي دفعك إلى اتخاذ هذا القرار. أنت أردت ما كنت تتوقين إليه منذ اللحظة الأولى التي التقينا فيها. بقيتِ عذراء طيلة هذه المدة لأنك لم تجدي إلا رجلاً واحداً أمكنه أن يجعل دماءك تفور حتى درجة الغليان، وأنت لا تقبلين بأقل من ذلك. لو أنك تزوجتني منذ سنتين، لكنا...

قاطعت ليوني كلامه بحدة: «لو أنني تزوجتك منذ سنتين، لكنا تطلقنا منذ زمن. فالانجذاب الجسدي يتلاشى إن لم يكن هنالك ما يدعمه».

التوت شفتا فيدال وظهرت عليه لمحة من الفظاظة إذ قال: «إذاً، يفترض بنا أن نستغل ما لدينا قدر المستطاع مادام موجوداً».

استدار ليعود إلى الداخل تاركاً ليوني واقفة هناك وهي تشعر بالاحباط إلى أقصى الحدود.

* * *

بدا مكان إقامة آل دوس سانتوس الآخرين مؤثراً، بالرغم من كونه أقرب إلى الفيلا منه إلى القصر. رحبت بهم العائلة بحرارة، فيما انضم إلى أفرادها صبيان صغيران هما ابنا أنجلو وبريانكا.

لم يكن فيدال وزوجته ووالداه هم الضيوف الوحيدون، فقد أحصت ليوني عشرين شخصاً جلسوا إلى طاولة الطعام. بدا فيدال شديد الوسامة إلى حد الدمار ببذلة التوكسيدو القشدية اللون التي يرتديها. أُجلس بين ضيفتين من غير أفراد العائلة، فيما جلس روك إلى يمين ليوني في الجهة المقابلة من الطاولة. وجّه هذا الأخير كلّ اهتمامه إلى ليوني أثناء العشاء، ولم يخفِ إعجابه بها. جارته ليوني قليلاً في لعبته، إلا أن موقف فيدال أزعجها بشكل عام.

بقي روك قريباً منها عندما عادوا ليستريحوا في غرفة الاستقبال بعد الطعام. كانت ليوني قد نسيت تماماً اقتراح حماتها بأن تسلّي الموجودين بعزفها على البيانو. أملت أن تتمكن من الرفض على أساس أنها لا تتمتع بالموهبة الكافية التي تخولها أن تعزف علناً، إلا أنها فشلت في ذلك.

عزفت ليوني مقطوعة لأندرو لويد ويبير، وهي مجموعة نوتات تمكنت من استعادتها في ذاكرتها، وسرّها أنها أبلت حسناً في عزفها. بعدئذٍ اقترحت أن يعزف روك من بعدها مبدية حماسها حيال قدراته الواسعة المتفوقة.

عزف روك مقطوعات غير كلاسيكية بمهارة وخبرة أطلقت شرارات حماس حقيقي لدى الموجودين. وصفّقت له ليوني كما فعل الآخرون.

هتفت عندما عاد إلى مقعده بجانبها: «إنك فعلاً بارع جداً!».

– أنا أبرع في كل ما أفعله.

جاء رد روك هذا مترافقاً مع لمعان ماكر في عينيه، ما جلب ابتسامة لا

إرادية إلى شفتي ليوني.

- أنا واثقة من ذلك.

راح الضيوف يتنزهون في الخارج، أما فيدال فبدا مستغرقاً في الحديث مع إحدى المرأتين اللتين جالسهما خلال العشاء. فكرت ليوني أنه يعرف تلك المرأة معرفة وثيقة. راقبته للحظة، وأصبحت مقتنعة أن معرفته بها ليست حديثة العهد. بعدئذٍ أدركت أن روك يكلمها، فاستدارت نحوه لتغمغم باعتذار: «آسفة، كنت على بعد أميال من هنا».

أومأ روك قائلاً: «يبدو واضحاً أن منزلك الحقيقي على بعد أميال من هنا. سألتك إذا كنت ترغبين بالخروج إلى الشرفة لاستنشاق الهواء».

استشعرت ليوني بنظرات حماتها تلاحقها، بالإضافة إلى العديد من النظرات الأخرى، فأوشكت أن ترفض، لكن بعد أن ألقت نظرة سريعة أخرى نحو فيدال، تغلبت رغبتها بإغاظته على الحشمة.

أجابت بلباقة: «فكرة جميلة».

تتبع تقدمها عبر الغرفة الواسعة أكثر من زوج واحد من العيون، لكنها وصلت إلى مرحلة تخطت فيها الاهتمام بما يظنه أصحاب تلك العيون، لاحظت أن الأشخاص الذين ذهبوا إلى الخارج شكّلوا مجموعة، إلّا أن روك لم يبدِ أي نية في الانضمام إليهم. وجّه خطوات ليوني نزولاً على بضع درجات حجرية نحو الحدائق الجميلة الواسعة. بدت السماء صافية خالية من الغيوم، أما القمر فبدا ضوءه خافتاً إلّا أنه كاف لكي يريا دربهما. استنشقت ليوني الهواء باستمتاع، ثم هتفت قائلة: «ذاك العبير يبدو كرائحة جذع شجرة!».

أجابها روك: «يجب أن تسألي البستانيين عن اسم تلك الشجرة، لكن عطرك المذهل يتفوق عليه بأشواط».

- إنه شانيل رقم ٥. لطالما كان المفضل لدي عندما أستطيع تحمل شرائه.

- هل كنت تعانين من صعوبات مالية قبل أن تتزوجي من فيدال؟

ندمت ليوني على ملاحظتها غير المدروسة، فأسرعت تقول موضحة: «ليس جدياً».

- إذاً أنت تحبينه.

- بالطبع!

كم من المرات أجابت عن ذاك السؤال بالأسلوب نفسه! أضافت بصدق: «أنا لا أهتم بأمواله».

- إنه رجل محظوظ جداً.

توقف روك للحظة، فغير نبرة صوته وتابع: «لابد أنك تعرفين السمعة التي اكتسبها نسبي. ألا تسبب لك القلق؟».

- ما لا تراه العين لا يؤرق القلب.

فكرت ليوني أنها تتفوه بالتفاهات، لكن ذلك أفضل من السماح للمشاعر التي في أعماقها بأن تطفو على السطح. قالت: «المرأة التي يتحدث معها في الداخل هي حبيبة سابقة. أليس كذلك؟».

بدا روك فجأة مغموراً بمشاعر الأسى، إذ قال: «إنها عشيقة سابقة، نعم. كنت لأتزوج تلك المرأة لولا تدخله بيننا!».

- لابد أن ذلك حصل منذ فترة طويلة بما أنه غادر دياره وهو في الثامنة عشرة من عمره.

- حصل ذلك منذ سنتين فقط عندما جاء خلال إحدى زياراته. لحظة علم أنني...

انقطع روك عن كلامه، ثم هزّ رأسه وقال: «أنا أكره أن يخدعك كما خدع الأخريات».

واستجمعت ليوني شتات ذاتها، فالرجل الواقف إلى جانبها لا يكن الحب لفيدال. من المخزي أن تسمح لنفسها أن تتأثر بأي شيء يقوله عنه. إن مجرد وجودها هنا في الخارج بمفردها مع هذا الرجل هو أمر مخزٍ. أعلنت قائلة: «أظن أن هذا الحديث تجاوز حده بما فيه الكفاية. أود أن أعود إلى المنزل الآن. الآن، أرجوك!».

كررت ليوني ذلك عندما تجاهل روك طلبها ولم يبطئ سير خطواته. تابعت تقول: «إلا أذا كنت تفضل أن أعود بمفردي؟».

حصلت ليوني هذه المرة على ردة الفعل المطلوبة، استدار روك عائداً إلى المنزل من دون أن يتفوه بكلمة.

أحست ليوني أن قلبها يغوص عندما وصلا قرب المنزل ورأت فيدال على درجات الشرفة. بدا كأنه على وشك أن ينطلق بحثاً عنهما. راقبهما وهما يقتربان من دون أن يبدي حراكاً.

قال لروك برقة: «إلى اللقاء».

ثم قال لليوني: «سوف نغادر».

رافقته ليوني من دون اعتراض وهي تدرك وجود ضيوف على الشرفة. أدخلها فيدال إلى المنزل عبر باب آخر، ثم أرشدها نحو بهو المدخل. كانا قد وصلا إلى هذا المكان بسيارة منفصلة عن والديه لأن فيدال يرفض أن يقلّه السائقون. من دون أن ينبس بكلمة، وضعها في المقعد المجاور للسائق، ثم مشى حول مقدمة السيارة إلى خلف عجلة القيادة.

غمغمت ليوني: «حقيبة يدي ودثاري ليسا معي».

- سوف يتم إحضارهما لك.

افترضت أن والديه سوف يفعلان ذلك. أقرت بأن تصرفها هذه الليلة لن يحسّن رأيهما بها كزوجة ملائمة لابنهما. لكن ما الفرق الذي سيحدثه ذلك؟

انفجرت قائلة عندما التزم فيدال الصمت: «مهما كان لديك لتقوله، قله ببساطة! حسناً! كل ما في الأمر أنني ذهبت في نزهة سيراً على الأقدام برفقة نسيبك!».

أجابها فيدال بقساوة: «أمضيتِ الأمسية بأسرها تقفزين مرحاً معه».

أنكرت ليوني قائلة: «أنا لم أكن أقفز مرحاً! لم تكن فكرتي أنا بأن أجلس بالقرب من روك خلال العشاء. أما أنت فلم تبدُ متزعجاً على الإطلاق برفقة المرأتين اللتين جلستا بقربك، بما أننا نتكلم عن ذلك. خصوصاً تلك المرأة!».

كانا قد غادرا بسيارتهما وأخذا يتوجها نزولاً على طول الدرب الضيقة التي يؤدي نحو الطريق الرئيسية. فقال: «أنطونيا هي صديقة قديمة».

- إنها صديقة حميمة جداً بحسب ما سمعته! أنت حتماً لم تهدر الكثير من الوقت في إيجاد العزاء بعد أن رفضتك منذ سنتين. جئت مباشرة إلى هنا... إلى ذراعيها، بغض النظر عمن سيتأذى!

كانت ليوني قد تخطت مرحلة الاهتمام بما قد يقوله فيدال. قالت متابعة: «تساءلت من قبل لماذا بقي روك من غير زواج حتى الآن، والآن بتُّ أعلم! أنت سلبته المرأة التي أحبها!».

ردّ فيدال على ادعاءات ليوني عليه من دون أن يرف له جفن: «الحب كلمة لا يعرف عنها روك أي شيء، إلا إن كنا نتحدث عن حب الذات. أنطونيا ليست متزوجة لأنها لم تجد رجلاً يمكنها أن تفكر بتمضية بقية عمرها معه».

- بما في ذلك أنت؟

- لا أعرف، فأنا لم أعتبرها أبداً كزوجة محتملة.

فقالت: «هي مجرد صديقة بالطبع، وأنت لم تدنُ منها أبداً منذ سنتين».

- على العكس، قضينا الكثير من الوقت سوياً خلال الأيام الثلاثة التي أمضيتها هنا.

- لكنك لم تنم معها، أليس كذلك؟

لوى فيدال فمه القوي وقال: «أخبرتك سابقاً أنني أجد هذا التعبير مضحكاً وسخيفاً. لا. أما عن إقامة علاقة حميمة فأجيبك نعم. كنا شخصين راشدين، ولم يكن أي منا مرتبطاً حينها. لو كان روك يعني أي شيء بالنسبة إليها لأخبرتني».

بذلت ليوني قصارى جهدها لتبقى متحكمة بنفسها، فقالت: «ألم يطرأ في بالك أبداً بأنك قد تكون الشخص الذي يمنعها من التوجه نحو شخص آخر؟».

أبقى فيدال عينيه ثابتتين على الطريق، وقال: «لا. أي أفكار أخرى زرع روك في ذهنك؟».

- لا شيء لا أعرفه مسبقاً. والدك أخبر والدي أنك وروك متنافرين مذ كنتما يافعين.

- صحيح.

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

– هل من سبب محدد لذلك أم هي فقط عدوانية صبيانية بسيطة؟

ابتسم فيدال ابتسامة باهتة خالية من المرح، وقال: «إن حقيقة كوني الشخص الذي سيرث كل شيء يشتهيه روك لنفسه قد يكون أحد الاحتمالات».

– لكنه بالكاد يعتبر معدماً أو فقيراً.

– والذي يتمتع بسيطرة كاملة على الملكيتين، ما يعني أنني سوف أرث هذا الحق عندما يحين الوقت. هذا من دون ذكر الملكيات التي تعود إلينا على امتداد هذه المنطقة.

أدار فيدال السيارة فخرج بها نحو طريق أوسع بدت خالية من السيارات في هذه الساعة المتأخرة. مرت عدة ثوان قبل أن يتحدث مجدداً بصوت ما زال يتحكم به: «أأنت منجذبة إليه؟».

تنهدت ليوني: «ولا بأي شكل. أنا ببساطة كنت أتبع خطاك. ليس فقط حتى أنتقم منك، بل لأنني سئمت من الأسلوب الذي تنظر به والدتك إلي. لو أنني هنا باختياري أنا...».

وفرّ لها فيدال التتمة إذ قال: «... وليس بسبب الإرغام. أي فرق سيحدثه هذا؟».

– لا فرق على ما أفترض. من المحتمل ألا أراه مجدداً كما أظن. الأمر ليس مهماً فعلاً.

وجه لها فيدال نظرة سريعة، وسألها: «لمَ ترينه غير محتمل؟».

– لأنك حققت هدفك، ولم يعد هناك أي احتمال بأن تتزوج من كاترينا.

– أتظنينه السبب الوحيد الذي دفعني للزواج بك؟

– أظنك استغليت مشكلة والدي حتى تصيب عصفورين بحجر واحد.

كانا يقتربان من البوابة الحديدية الخاصة ببالاسيو دي ميتشيا. انتظر فيدال حتى دخلا وأخذا يتوجهان صعوداً عبر الدرب المؤدي إلى القصر. بعدئذٍ قال: «مهما كان الدافع، فأنت لست خاسرة».

بل هي خاسرة! لكن من جهة أخرى، الحب نفسه شعور مجنون. هناك أمر

واحد مؤكد: بغض النظر عن طول أو قصر المدة التي تستمر رغبته بها خلالها، فهو لن يعرف أبداً ما تشعر به حياله.

من الواضح أن موظفي المنزل أخذوا استراحة لهذه الليلة، مع أن أنوار مطلع الدرج تُركت مضاءة، تماماً كما تُركت الأنوار في جناحهما الخاص. بالرغم من أن الوقت متأخر لم تعترض ليوني عندما اقترح فيدال أن يتناولا الشاي قبل أن يخلدا إلى النوم.

قالت وهي تتناول كوب الشاي من يده:

– نظراً إلى كونك تشعر حيال روك بما تشعر به، فقد تمالكت نفسك جيداً هناك.

– ما من داع لأن أوفر للجماهير متعة التفرج أو أمنح روك الرضى بتحقيق ما أراده.

– وما هو بالتحديد؟

– أن يغضبني بما فيه الكفاية حتى أفعل ما رفضت دوماً أن أفعله، أعني الشجار. بالنسبة إلى روك، هذا هو الأسلوب الوحيد لإثبات الرجولة.

هزّت ليوني رأسها، وقالت: «إن آخر شيء قد أتهمك به هو الجبن».

– كيف يمكنك أن تكوني واثقة إلى هذا الحد؟ قد أكون فأراً مرتعشاً في داخلي.

بدت ضحكة ليوني أول ضحكة حقيقية منذ بداية السهرة، وقالت: «وقد تطير الخنازير!».

وجه لها فيدال عبوساً ممازحاً، فقال: «أنا أقدر ثقتك، مع أنني لست واثقاً من صحة التشبيه».

قالت ليوني: «يجب أن تعتبره بمثابة إطراء».

نظرت إليه فرأت الأضواء الكهرمانية في عينيه مجدداً. غمرها الارتياح وفكرت: إن كان فيدال لا يحبها الآن كما تريده أن يحبها، فالأمر يعود إليها حتى تحقق ذلك. فلتنسَ البداية، ولتعمل على تحقيق النهاية السعيدة!

نهضت على قدميها قبل أن تغير رأيها، فأخذت الكوب الفارغ من يده من

دون مقاومة منه، فوضعته بالإضافة إلى كوبها على أقرب طاولة، وقالت بنعومة: «هيا نخلد إلى النوم».

* * *

مواجهة حمويها أثناء الفطور في الصباح التالي كانت بمثابة محاكمة. السينيور دوس سانتوس لم يقدم لها أي إدانة لفظية، أما زوجته فلم تحاول مطلقاً كبح لسانها، فانفجرت ثائرة: «ألا تتمتعين بأية ذرة من الشرف لتفعلي ما فعلته؟ ألم تعنِ لك العهود التي قطعتها لابني أي شيء؟».

أجابت ليوني: «ألا تظنين أنك تبالغين بالأمر قليلاً؟».

كاد جواب ليوني المفحم السريع يسبب للسينيورا سكتة دماغية، فقالت: «لا. أنا لا أظن ذلك! إن مكانك هو مع زوجك!».

أحست ليوني أنها ملزمة بأن تشير قائلة: «إذاً كان يجدر بهم أن يجلسوني إلى جانب زوجي. ذلك لا يعني أنني أعتبر نفسي مخطئة بأي شكل من الأشكال، فأنت من جعلتني أعزف البيانو سينيورا، وجلّ ما فعلته هو أنني طلبت من شخص أكثر كفاءة أن يستلم مكاني».

- بعد ذلك دعوته ليأخذك إلى الحدائق!

تدخل السينيور دوس سانتوس قائلاً: «توقفا! الأمر يعود إلى فيدال إذا كان يرغب بتوبيخ زوجته».

أجاب فيدال بهدوء: «سوي الأمر مسبقاً».

لاقت ليوني عينيه، وهي غير قادرة على منع شفتيها من الالتواء بطريقة مميزة تجاوباً مع الأمر المضحك هنا؛ وتجنها فيدال طيلة الليل، مرتين!! لم يحظيا بسوى حوالى الساعتين من النوم.

سأل فيدال والده قبل أن تُقدم والدته أي انتقادات أخرى: «إذاً ما هو المخطط لهذا اليوم بافتراض أنك ما زلت ترغب بأن نمدد إقامتنا هنا؟».

أجاب والده: «بالطبع، أرغب بأن تقوم معي بجولة على البساتين. عليك أن تتعرف إلى خافيير ألفاريز الذي حلّ مكان رودريغو السنة الماضية».

رفع الوالد يده عندما حاول فيدال أن يتكلم، فقال: «أنا مدرك تماماً عدم

اهتمامك بشؤون الملكية، لكن سيأتي يوم لن تعود فيه قادراً على التهرب من مسؤولياتك مهما كان ذلك اليوم بعيداً».

رسمت ليوني ابتسامة على وجهها عندما نظر فيدال نحوها، فقالت له مطمئنة: «سأكون بخير».

ثم أضافت بتواضع ساخر: «سوف أحسن التصرف».

- سوف يكون هذا نهاراً تاريخياً!

أطلقت والدته صوتاً يدل على الاشمئزاز، ثم أضافت شيئاً ما باللغة البرتغالية قبل أن تمشي مرفوعة الرأس نحو الداخل. أقرت ليوني لنفسها أن مصالحة حماتها هي الأسلوب الوحيد لتمضية الوقت.

قدّم لها فيدال اعتذاره قبل أن يغادر: «آسف بشأن هذا. من الأسهل أن تسيري مع التيار».

أحست ليوني أنها ملزمة بأن تقول: «والدك على حق، فمن غيرك سيحل مكانه؟ ما الذي يمنعك من أن تدير الامبراطوريتين معاً، على أي حال؟».

راقبها فيدال مشككاً للحظة، ثم قال: «قد أكون عجوزاً جداً عندما يحين الوقت، ولن أقدر على إدارة إمبراطورية واحدة».

أجابته ليوني بخفة: «في تلك الحالة ستوكل مدراء في كلا الامبرطوريتين وتستمتع بالتقاعد. ذلك أمر يصل إليه كل امرئ في النهاية».

تناول فيدال وجه ليوني بين يديه كما فعل عدة مرات من قبل، مبعداً شعرها إلى الوراء عن صدغيها لكي يتمعن في ملامحها المشرقة. وقال بنعومة: «العمر لن يصيبك بالذبول».

امتد النهار أمام ليوني كصحراء شاسعة بعد أن غادر فيدال. تمكنت من التحلي بالشجاعة حتى تذهب إلى والدته وهي عازمة على الوصول إلى نوع من التفاهم معها. وجدتها في غرفة استقبال صغيرة تكتب الرسائل. الترحيب الذي لاقته لم يبدُ مشجعاً، لكنها تكلمت بكل صدق استطاعت استجماعه بغض النظر عن ذلك، قائلة: «جئت لأعتذر عن تصرفي مساء أمس. أنت على حق. ما كان يجدر بي أن أغادر بهذا الشكل مع روك».

نظرت إليها حماتها بصمت للحظة مطولة، وبدت محتارة. سألتها: «لِمَ لم تقولي هذا منذ قليل؟».

قالت: «أردت الدفاع عن نفسي. علمت أنني مخطئة، لكنني لم أشأ الاقرار بذلك. لست معتادة أن أكون مسؤولة تجاه أحد سوى نفسي».

بدت نبرة حماتها قاسية وهي تقول: «أنت مسؤولة الآن أمام زوجك».

أظهرت ليوني في نبرتها وتعابيرها الندم والأسى، فقالت: «أعلم. أوضح لي ذلك مساء أمس. أنا فعلاً آسفة، سينيورا. ليس فقط بسبب ما حصل ليلة أمس، بل على كل شيء. أدرك أنني أبدو زوجة غير ملائمة لابنك مقارنة بكاترينا».

أعلنت المرأة الأخرى بقسوة: «لا شيء قد تقولينه يمكنه أن يدفعني إلى تغيير رأيي حيال ذلك. لكن -كما قال زوجي سابقاً- ما حصل حصل، وجل ما أطلبه هو أن تتكيفي مع عاداتنا عندما تكونين هنا».

- سوف أفعل.

أضافت: «أنا فعلاً أحب فيدال. أنا لم أتزوجه من أجل أي نوع من الربح المادي».

بدت حماتها مشككة، فقالت: «أتدعين أنك غير مهتمة بثروته أبداً؟».

- إذا كنت تعنين: هل أجدها أمراً مزعجاً؟ أقول لك بصدق: لا.

ألقت ليوني نظرة ذات معنى نحو الفستان الكتاني الجميل التصميم الذي ترتديه، وتابعت: «من الرائع أن يتمكن المرء من إنفاق المال من دون أن يضطر إلى التفكير بالثمن. سأكون كاذبة لو حاولت أن أدّعي عكس هذا، لكن المال ليس كل شيء على المدى البعيد!».

هزّت السينيورا دوس سانتوس رأسها، وقالت: «أحياناً تستخدمين كلمات تتخطى قدرتي على الفهم، لكنني أعتقد أنك تقولين لي إنك سوف تحبين ابني مهما كان وضعه المالي والاجتماعي؟».

- نعم.

كان التشكيك ما يزال موجوداً في عيني المرأة، لكنه أخذ نوعاً ما،

فقالت: «سوف نرى!».

غادرت ليوني الغرفة وهي تشعر أنها ربما حققت شوطاً نحو الفوز برضى السيدة. بعدئذٍ قررت أنه الوقت المناسب لتقوم ببعض الاستكشاف، فما زالت أمامها ثلاث ساعات حتى حلول موعد الغداء.

توجهت نحو المنطقة المغطاة بالأشجار المحيطة بجانبي الدرب الطويل المؤدي إلى المنزل، وقد سرّها أن تخرج من تحت وطأة الشمس.

بدا من الواضح أن الدرب الذي سلكته ليوني من خلال الأشجار ليس كثير الاستخدام. اتجهت إلى اليمين حيث افترق الدرب، فوجدت نفسها بعد بضع دقائق بالقرب من البوابات المفتوحة. كانت على وشك أن تبدأ بالتراجع في خطواتها، إلا أنها وقفت فجأة حين رأت شخصاً يتجه نحوها.

توقفت كاترينا فجأة بدورها فيما عبرت وجهها مجموعة من التعابير المختلفة، قبل أن تستقر على تعبير يدل على الارتياح.

- ظننتك لوهلة شخصاً آخر. أنت هو الشخص الذي جئت لأراه. أنت... وفيدال.

توقفت الفتاة وقد صبغ الاحمرار وجنتيها، ثم قالت متابعة: «هناك أمر أود أن أطلبه منكما سوياً. أمر هام جداً بالنسبة لي».

وضعت ليوني الفضول جانباً، فقالت: «أخشى أن فيدال غير موجود هنا الآن، لكن يجب أن يعود عند الغداء».

لم تكن ليوني واثقة من ذلك، لكن توقعت أن ذلك ما سيحصل.

فأضافت: لِمَ لم تقودي السيارة إلى الداخل؟ بافتراض أنك جئت بالسيارة؟»

هزّت كاترينا رأسها، وقالت: «ليست لدي رخصة لقيادة السيارات. جئت سيراً على القدمين».

- لكن المسافة تكاد تصل إلى العشرة أميال!

صرفت كاترينا بنبرتها عن الموضوع، وقالت: «هنالك دروب أقصر. إذا كان فيدال غير موجود، فسوف آتي في يوم آخر».

اقترحت ليوني قائلة: «يمكنك أن ترافقيني وتنتظريه».

رفضت كاترينا دعوتها بشدة: «لا! يجب ألّا يعرف أحد غيرك أنني جئت إلى هنا».

درست ليوني ملامحها ببعض الحيرة، ثم قالت: «كيف كنت تنوين مقابلتنا على أي حال؟».

أجابتها كاترينا: «هنالك مدخل جانبي للبرج يؤدي إلى جناح فيدال. أملت أن أجدكما هناك».

فكرت ليوني أن تلك محاولة قد لا تنجح في هذه الساعة، فقالت بحذر: «من المحتمل أننا لن نبقى سوى لفترة قصيرة. ربما يمكنك أن تطلعيني على ما ترغبين بطلبه منه. يمكنني أن أطلع فيدال على ذلك. قد تكون هذه فرصتك الوحيدة».

بدت كاترينا محتارة. أخيراً أحنت رأسها بموافقة لا تخلو من التردد. كانت ليوني قد مرّت بالقرب من مقعد حجري موضوع تحت الأشجار على أحد جانبي الدرب، على بعد بضعة ياردات. هناك سوف تكونان بعيدتين عن مرأى أي شخص يعبر درب المنزل.

قادتها نحو المقعد وهي غير واثقة إذا ما كانت تفعل الصواب، لكنها لم تشأ أن تقف مكتوفة اليدين. جلست كاترينا على المقعد إلى جانبها باحجام وحياء. أجبرت ليوني نفسها أن تنتظر كاترينا حتى تبدأ بالحديث. بعد فترة قالت هذه الأخيرة: «يجب أن أذهب إلى لشبونة. آمل أن أسافر برفقتكما أنت وفيدال عندما ترحلان».

امتصّت ليوني الصدمة بصعوبة، فهذا آخر شيء توقعت سماعه. سألتها: «لِمَ تجدين من الضروري أن تكوني متكتمة حيال ذلك؟».

جاء ردّ كاترينا البسيط: «لأنه لن يُسمح لي بالرحيل».

اعترضت ليوني قائلة: «أنت في السابعة والعشرين من عمرك! كيف يمكن لأي شخص أن يمنعك من أن تقومي بما تودين القيام به؟».

ابتسمت كاترينا ابتسامة واهنة، وقالت: «بما أنني فشلت في نيل الزوج الذي تم اختياره لي، فيجب علي أن أتزوج أي شخص يطلب يدي، وقد بدأ

البعض يتقربون للتو».

انفجرت ليوني قائلة وهي تبدو حانقة ساخطة: «نحن لسنا في العصور الوسطى. لا يمكن لأي كان أن يجبرك على أن تفعلي ذلك. أنت حرة لتتزوجي الرجل الذي تختارينه بنفسك».

ظهر مجدداً ذاك الوهج الذي غيّر ملامح وجه المرأة خلال لقائهما السابق، وبدت عيناها بركتين عميقتين ممتلئتين بالمشاعر، فقالت: «يجب أن أذهب إلى لشبونة كي أفعل ذلك».

- هل يقيم هناك.

- بالروح... نعم. إذ لا هيئة مادية له.

حدقت ليوني بكاترينا فيما أحست بالادراك يشرق عليها فجأة. قالت بنبرة جذبت ابتسامة أخرى خافتة إلى شفتي المرأة الأخرى: «أتعنين أنك تريدين أن تصبحي راهبة؟».

- أتجدين تلك رغبة جامحة؟

تمالكت ليوني نفسها بقوة، فهذه ليست حياتها هي التي تتكلمان عنها، وتدبرت أن تقول: «ليست جامحة بل فقط... غير متوقعة. منذ متى أحسست بهذه الرغبة؟».

- لطالما شعرت بها طوال حياتي.

- لكنك بالرغم من ذلك كنت ستتزوجين من فيدال؟

- تمّ ذلك الوعد عند ولادتي، فكان واجباً علي أن أتممه. لو كنت أملك المال الذي يتطلبه السفر إلى الدير لرحلت منذ زمن، لكن بما أنني لا أملكه، لا يمكنني أن ألجأ سوى إلى فيدال... وإليك.

أقرت ليوني أن فيدال يدين لها بهذا. إذا كان هذا ما تريده فعلاً، فهذا ما يجب أن تحصل عليه!

- سوف أتكلم مع فيدال ليقوم بالترتيبات الضرورية.

حثّتها كاترينا بقلق: «لابد أن يبقى هذا سراً بيننا. كيف سأعرف إذا كان موافقاً؟».

- سوف يتصل بك بشكل ما. اتركي الأمر لي.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

إنها وعود متهورة تقطعها لها، لكن ليوني تأثرت بقصة كاترينا كثيراً فما عادت تأبه.

راقبت المرأة ذات القوام النحيل وهي تبتعد عن ناظريها، ثم تحركت نحو المنزل. فيدال سوف يساعد نسيبته. لابد أن يساعدها!

٩ - أنا مذنبة!

لم يعد فيدال ووالده عند موعد الغداء. كانت الساعة تقارب السادسة عندما وصلا أخيراً. بدا فيدال في مزاج جيد، كما بدا منسجماً أكثر مع والده.

عندما دخلا إلى غرفتهما لاحقاً حتى يغيرا ملابسهما استعداداً للعشاء، قال لها: «توصلنا إلى اتفاق. سوف أقوم بتأدية واجبي عندما يحين الوقت لذلك شرط أن يتركوني أتابع حياتي كما أشاء. وكما قلت أنت، ما من داع لأن أتخلى عن اهتماماتي الخاصة حتى في ذلك الحين».

قالت ليوني موافقة: «ما من داع أبداً».

حسناً! إن كان عليها أن تساعد كاترينا يجب أن تبدأ بذلك. أضافت قائلة: «الرجال المميزون قادرون على الاهتمام بكل شيء!».

كوّر فيدال فمه: «بمن فيهم الزوجة القليلة الاحترام؟».

أعلنت ليوني بتواضع ساخر: «علي أن أدفن وجهي بسبب العار».

تراجعت إلى الوراء ضاحكة ما إن تقدم نحوها. تابعت: «كفى! سوف نتأخر عن موعد العشاء».

وعدها فيدال قائلاً:

- سأتعامل معك لاحقاً.

مرّت الأمسية بانسجام. أبقت ليوني لسانها تحت السيطرة وهي تحرص على عدم مواجهة حماتها.

عندما انسحبا لتمضية الليل سألها فيدال: «ما الذي حصل لمزاجك النزق الذي ظهر هذا الصباح؟».

ابتسمت ليوني، وهزت كتفيها قائلة: «قررت أن أتمرن على بعض التعقل

من باب التغيير. فكرت أن لوالدتك الحق في أن تعبر عن آرائها».

- أنت أيضاً لديك حقوق. لا تسمحي لها بالتغلب عليك، فوالدي معجب بشخصيتك.

اتسعت عينا ليوني الخضراوان، وقالت: «أهو معجب بي حقاً؟».

- قال لي ذلك اليوم. إنك أول امرأة إنكليزية تعامل معها على الإطلاق.

ثم أضاف وقد التمعت عيناه: «بالحديث عن ذلك، لدي حساب أنوي أن أصفّيه معك».

وسرعان ما قام بذلك بأسلوبه الفريد من نوعه.

فيما كانت ليوني مستلقية وهي تشعر بالرضى بين ذراعي فيدال، اضطرت إلى بذل مجهود حقيقي حتى تحمل ذهنها على التفكير بكاترينا. غمغمت: «جاءتنا زائرة هذا الصباح».

مرّغ فيدال وجهه في تجويف عنقها، وسألها: «من؟».

تخلت عن فكرة إعطائه تلميحات، وقالت على الفور: «إنها كاترينا. تريدنا أن نأخذها إلى لشبونة عندما نرحل».

فرفع رأسه إلى الأعلى فيما ظهر عدم التصديق على ملامح وجهه، وقال: «تريدنا أن... ماذا؟».

كرّرت ليوني قائلة: «أن نأخذها إلى لشبونة، حتى تنضم إلى دير ما».

بقي فيدال لحظة مطولة مسمراً في مكانه وهو ينظر نزولاً نحو ليوني مذهولاً، ثم سألها أخيراً: «أهذه مزحة ما؟».

ردّت ليوني: «لا، على الاطلاق! يبدو أن هذا ما أرادته دوماً. إن بقيت هنا، فسوف تُجبر على الزواج من رجل ما فقط لكي تحمي اسم العائلة. أنت لن تحكم عليها بأن تفعل هذا، أم بلى؟».

احتج قائلاً: «إنها فكرة لا يقبلها العقل!».

استفسرت ليوني: «أتعني الزواج أم الدير؟».

- الدير، طبعاً! فماورو غويرا زوج مناسب لها.

استقامت ليوني نفسها وقد بدا شعرها كغمامة مشتعلة، فقالت: «يا لها من

طريقة تفكير!».

- هذا رأيك أنت لا رأيها!

- أتقول إنه لا يحق لها أن تمتلك تفكيراً خاصاً بها؟

استدار فيدال نحو ليوني ورمقها بنظرة جدية، ثم قال: «المسألة تتعلق بما هو أفضل لها».

- هذا أمر لا يمكنك أنت أو أي شخص آخر أن يقرره عنها! أنت نفسك رفضت أن يتم دفعك نحو زواج مدبّر، لمَ لا يحق لكاترينا أن تتصرف على النحو نفسه؟ لقد أهدرت ما يكفي من السنوات في محاولتها لإرضاء الآخرين. آن الأوان لأن ترضي نفسها!

توقفت ليوني وهي تنظر إلى ملامحه المنحوتة على أمل أن ترى فيها بعض الليونة، لكن غاص قلبها عندما ظل لا مبالياً، فأضافت برقة: «أرجوك!».

نهض فيدال فجأة على قدميه، فتناول مئزره الذي كان مرمياً فوق كرسي قريب، وما لبث أن استدار نحوها مجدداً. سألها: «إذاً ما الذي تقترحين أن نفعله؟ بافتراض أنه لديك خطة ما».

اعترفت ليوني قائلة: «أنا لم أصل في الواقع إلى هذا الحد بتفكيري؟».

التوت زاوية فمه وهو يقول: «أخبرت والدي أننا سوف نغادر غداً».

ردت ليوني: «أنا واثقة من أنه سيشعر بالابتهاج لو أخرت رحيلك يوماً واحداً. أخبرت كاترينا أننا سوف نجد طريقة لإعلامها بما يجب أن تفعله. سوف نكون بمفردنا في السيارة. يمكننا أن نتفق على نقطة ما لنلتقي بها ونقلها من هناك».

- وكيف نتأكد أنهم سوف يقبلون بها؟

- لا أظن أنهم يرفضون قبول أي شخص، فذلك لن يكون تصرفاً لائقاً منهم.

تابعت: «عليك أن تقوم بما هو صائب. أنت تعرف ذلك!».

- يجب أن أفكر ببعض الأمور. من الأفضل أن تنالي أنت قسطاً من النوم.

راقبته ليوني وهو يخرج من الغرفة مدركة أنها بمدافعتها ومناصرتها لقضية

كاترينا لربما أخّرت قضيتها الخاصة، إذ إن نظرة فيدال إليها الآن لا تشبه مطلقاً نظرات العاشق إلى حبيبته . . .

* * *

كما هو متوقع، تقبل والد فيدال التغيير في المخطط بامتنان وسرور. قال لابنه أثناء الفطور: «يجب أن تفسح المجال لليوني حتى ترى المزيد من بيئتنا. ربما تقومان بزيارة إلى فيلا ريال أو قصر ماتيوس. القصر مفتوح أمام العموم، وهو يتمتع بحدائق مذهلة».

سألت ليوني بابتسامة تقدير وإعجاب: «أهي أفضل من الحدائق الموجودة هنا؟».

- إنها كذلك.

تلقت والدة فيدال الخبر من دون أي تعليق، وانتاب ليوني إحساس بأنها تفضل أن يسافرا وينتهي الأمر. مع أنها تقبلت أمر الزواج لأنها لم ترَ خياراً آخر أمامها، لكنها لن تتقبل تماماً وكلياً اختيار ابنها للعروس. كما أن ذلك لا يعني أنها مستعدة لتحملها لفترة طويلة جداً.

مرّت ساعة أو اثنتان قبل عودة فيدال إلى السرير مساء أمس. لم تكن ليوني نائمة ولابد أنه عَلِم بذلك، لكنه لم يقم بأية محاولة لأن يلمسها. بعدئذٍ نامت ليوني نوماً عميقاً، إلا أنها استيقظت عندما نهض فيدال عند الساعة السادسة والنصف، وعندما سألته عما سيفعله أجابها أنه يجب أن يجري بعض الاتصالات، أما هي فيجدر بها أن تعود إلى النوم.

بالطبع لم تفعل ليوني ذلك، بل استحمت وارتدت ملابسها بانتظار عودته إلى الغرفة.

إن كانا سيأخذان كاترينا برفقتهما يوم غد، فيجب أن يتم إيصال رسالة لها في وقت ما من هذا اليوم.

انطلقا عند الساعة العاشرة من أجل الرحلة المقترحة نحو فيلا ريال. لكن عندما انعطف فيدال بالسيارة بعيداً عن الشارع الرئيسي باتجاه الدرب الضيق الذي قطعاه منذ أمسيتين، أدركت ليوني إلى أين يتجهان. اتهمته قائلة: «سوف

تخبرهم بما تنوي كاترينا القيام به. أليس كذلك؟».

جاءها رده الحازم: «سأفعل ما كان يجدر بها أن تفعله بنفسها. كيف سيعرفون ما تريده حقاً إلا بهذا الأسلوب؟».

فقالت: «لا يمكنك أن تفعل هذا! ستظن كاترينا أنني خنتها!».

- لا تتصرفي بشكل مأساوي. إذا كانت فعلاً جدية في رغبتها بأن تصبح راهبة سوف أبذل جهدي لمساعدتها، لكن هذا المخطط الذي دبّرتماه أنتما الاثنتان مضحك!

فقالت: «إنها لا تتمتع بقوة الفرار مثلك. لو أنك رأيتها يوم أمس، لأدركت كم من المجهود تطلب منها الأمر حتى تطلب المساعدة أصلاً. لقد وضعت ثقتها بي!».

- وأنت بالطبع، لم تري أن هنالك من داع لأن تقنعيها بعكس ذلك. هل فكرت أن تأخذي بعين الاعتبار ما سوف يظنه الناس لو أنها اختفت بكل بساطة؟ من المعلوم أن النساء يتم اختطافهن أحياناً.

لم تشأ أن تقر بأن الفكرة لم تعبر ذهنها. قالت: «أظن أنها سوف تترك رسالة. على أي حال، هذا لن يحصل بعد الآن. أليس كذلك؟».

توقفت ليوني لفترة وجيزة، وقد اتخذ صوتها نبرة التماس وتوسل قائلة: «إلا إذا غيرت رأيك؟».

وجه لها فيدال نظرة سريعة، فيما التوت شفته عندما تلاقت عيناه بعينيها. قال: «أخشى أنه لا يمكنني أن أفعل ذلك».

أدركت أنها خسرت المعركة، فقالت: «أنت تعني أنك لن تفعل ذلك! أنت أفلتت من الالتزامات العائلية، لكنك لا ترغب بأن تفلت كاترينا. مهما يكن، فهي مجرد امرأة!».

لم يرد فيدال بأي شيء. أحست ليوني برغبة قوية بأن تضربه. مرت أوقات خلال هذه الأيام الثلاثة الماضية اعتقدت فيها أنه ليس متصلب القلب تماماً كما توحي صورته، لكنها كانت مخطئة. إنها مخطئة في أن تحبه أيضاً. إنه لا يستحق أن يُحَب.

قالت بوحشية: «أنا أكرهك!».

ظهر التهكم في ابتسامة فيدال، إذ قال: «لكن ليس طيلة الوقت».

كلامه هذا تضمن الكثير من الحقيقة، ما جعلها تشعر بعدم الارتياح. أقرت ليوني ذلك بأسى، فكاترينا ليست الوحيدة التي تفتقر إلى قوة الإرادة.

كان روك يعبر الباحة الخارجية للمنزل عندما قاد فيدال السيارة بهما إلى هناك. راقبهما روك بعدائية غير مخفية: «لمن ندين بهذا الشرف؟».

أجابه فيدال باللغة البرتغالية بكلمات جعلت حاجبي الرجل الآخر يعبسان فجأة. تردد روك للحظة قبل أن يستدير ليعود إلى داخل المنزل.

قال فيدال لليوني ما إن حاولت أن تفتح بابها: «ابقي أنت هنا. كاترينا ليست بحاجة إلى بطلة».

تراجعت إلى الوراء في كرسيها وهي تراقبه فيما لحق بروك عبر الباب الرئيسي ما تعلمه هو أن فيدال كذب عليها حين قال إنه سوف يفعل ما بوسعه لمساعدة نسيبته. من المحتمل أن يقول لها إن كاترينا غيرت رأيها، ولن يكون بوسعها أن تفعل شيئاً.

بعد بضع دقائق خرجت ليوني من السيارة فوجدت مقعداً بالقرب من حائط جانبي. جلست هناك وهي تفكر أن الحديث الذي يدور في الداخل استغرق وقتاً طويلاً. يمكنها أن تتحدى أوامر فيدال فتدخل إلى المنزل، لكن وجودها لن يغير أي شيء.

روك هو أول من ظهر في الخارج. سار بخطوات واسعة إلى حيث جلست، وبدا وجهه مغموراً بالغضب والسخط. قال لها متهماً: «أنتِ فعلت هذا! أنت زرعتِ هذه الفكرة في رأسها!».

أجابته ليوني: «إنها فكرتها. ما فعلته هو أنني أصغيت إليها».

- إذاً لقد هدرتِ وقتكِ، فلن تذهب كاترينا إلى أي دير!

نهضت ليوني على قدميها، وهي غاضبة جداً. قالت: «الأمر لا يعود إليك حتى تقول ما يمكنها وما لا يمكنها أن تفعله! أنت شقيقها ولست المؤتمن عليها! ما يجب أن تريده هو سعادتها!».

رد روك بكلام لاذع: «ما يجدر بها أن تريده هو ما تريده كل النساء. أي رجل يوفر لها كل ما تطلبه، وكل ما عليها أن تفعله هو أن تمنحه ابناً. هذا ما سوف تفعله!».

- ابتعد عنها!

كان فيدال على بعد خطوات فقط، ولم يلاحظ وجوده أي منهما.

استدار روك حول نفسه حتى يواجهه، فأجابه باللغة البرتغالية فيما ظهر الغضب العارم في كل من وجهه وصوته. ضاقت عينا فيدال إلى حد الاشتعال، أما جسده فبدا متحفزاً. توسلته ليوني قائلة: «لا تفعل! هو لم يلمسني».

الاستهزاء الذي بدا على وجه روك جاء بمثابة تحريض لكن فيدال تمالك نفسه، فقال: «قد تحصل على مبتغاك يوماً ما، لكن ليس الآن».

أطلق روك كلاماً مهيناً خلفه وهو يتحرك نحو السيارة، لكن فيدال لم يبدِ أي ردة فعل. انزلقت ليوني إلى داخل السيارة فجلست بسكون، فيما انطلقت السيارة نحو الطريق التي جاءا منها.

- أما زلتِ ترغبين بزيارة فيلا ريال؟

- لِمَ لا؟

انتظرت ليوني لحظة، لكن فيدال لم يقل شيئاً. طالبته قائلة: «هل ستخبرني أم لا؟».

- إذا كنت تقصدين كاترينا، فقد فسرت لهم الموقف، وتركتها لتقنعهم بمدى جديتها.

- هل ستسمح لهم بالسيطرة عليها؟

- إذا حصل هذا فهو يعني أن نداء الرهبنة ليس قوياً بما فيه الكفاية. أخبرتها أننا سوف نكون هنا عند الساعة التاسعة والنصف صباحاً، والأمر يعود إليها الآن.

استنتجت ليوني من نبرة فيدال إنه لن يقوم بأية خطى أخرى لصالح كاترينا. هي قادرة على رؤية وجهة نظره، أن تصبح راهبة هو التزام لمدى العمر، لذا

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

يجب أن يكون تصميمها قوياً بما فيه الكفاية لكي يدفعها إلى تجاوز العراقيل. إذا لم تظهر صباح الغد، فهذه هي نهاية الموضوع. قالت ليوني باستسلام: «أظنني جعلت المسألة بأسرها تخرج قليلاً عن حدها».

رفع فيدال كتفيه وقال: «تعاطفتِ مع كاترينا لأنك ترين حالتها مساوية لموقفك الخاص. إذا كان من الممكن إقناعي بتحرير إحداكما من القيود التي تربطها، فقد أفعل الأمر نفسه مع الأخرى».

أنكرت ليوني قائلة: «ذلك الأمر لم يطرأ لي أبداً. بأي حال...».

حثها فيدال عندما سمحت للكلمات أن تفلت منها، فقال: «بأي حال، ماذا؟».

كانت ليوني على وشك أن تقول إنها ما عادت تريد التحرر منه، لكن ذلك سيجعله يدرك تعلقها به. قالت: «لاشيء. هل يمكننا أن ننسى الأمر حالياً؟».

أحنى رأسه قائلاً: «بالتأكيد».

استشعرت ليوني بفارق خفي في أسلوب تصرفه معها. بدا قصر ماتيوس وحدائقه رائعة مذهلة كما أشار حماها. تناولا الغداء في أحد المطاعم العديدة الموجودة في البلدة، ثم أمضيا وقتاً ممتعاً وهما يتأملان المناظر الطبيعية الخلابة.

كان يجدر بها أن تتوقع أن يتم إعلام والدي فيدال بزيارتهما الصباحية، لكن ليوني لم تكن مستعدة للاستقبال الذي حصلا عليه عندما عادا إلى بالاسيو دي ميتشيا. هي وفيدال لن يلعبا أي دور إضافي في المسألة، فالعائلة سوف تتخذ قرارها الخاص بخصوص مستقبل كاترينا. أمرهما حماها بذلك بغضب وسخط. انفجرت ليوني وقد أحست هي نفسها بالسخط والحنق بسبب التأنيب، فقالت: «باستثناء أنه مستقبلها هي الذي سوف يقررونه! لماذا يجب...؟».

– سوف أتعامل أنا مع الأمر.

خاطب فيدال والده باللغة البرتغالية، فغدت ملامح الرجل الآخر أكثر اسوداداً، حاولت والدته أن تتدخل، فأسكتها زوجها بحركة غاضبة من يده. حملقت والدة فيدال بليوني كما لو أنها تريد أن تقول إن هذا كله بسببها. في

النهاية تراجع والده، فرفع يديه إلى الأعلى باستسلام، وغادر الغرفة. تبعته زوجته فيما بدت فاقدة للقدرة على الكلام.

قالت ليوني: «هل أستنتج أنك رفضت أن تفعل ما أمروك به؟».

هزّ فيدال كتفيه بقسوة، وقال: «أعطيت وعدي لكاترينا، وسوف أحافظ عليه».

شكّت ليوني أن ينفع هذا الوعد كاترينا إذا ما أمطروها بقصف كلامي من النوع المماثل. الوقت فقط سيجعلهم يعرفون.

بدت الأجواء أثناء العشاء مشدودة جداً. تحملتها ليوني ما استطاعت ذلك، لكنها أخيراً سمحت لنفسها بالتكلم. أعلنت بقوة: «أنا المسؤولة عن هذا كله، لذا ضعوا اللوم علي أنا لا على فيدال».

ردت حماتها بصوت بارد كالثلج: «أتظنين أننا لا ندرك ذلك؟ أنت مصدر مشاكل منذ وصولك إلى هنا!».

ردت ليوني: «إذا كان تحريك الحياة في هذا المجتمع القديم الطراز يسبب المشاكل، فليكن الله في عوني! زواجي بابنكما لا يجعلني ولا بأي شكل ذليلة خانعة. لو أنكما تعلمان...».

قطعت ليوني كلامها، وعضت شفتها. شجعها السينيور دوس سانتوس بنبرة رقيقة مفاجئة قائلاً: «لو أننا علمنا ماذا؟».

حثّها فيدال قائلاً: «أخبريهما!».

إلّا أن ليوني استبدلت ما أرادت قوله بكلام آخر قائلة: «لو تعلمان كم من الصعب أن يتأقلم المرء مع هذا كله. أنتم جميعاً ولدتم هنا، أما أنا فلم أعرف أي شيء مماثل. لا يمكنني أبداً أن أكونَ ذاك النوع من الزوجات اللواتي تظنان أنهن يلائمن فيدال».

قال السينيور دوس سانتوس: «أعرف أن ترحيبنا بكما لم يكن مثالياً أبداً. الصدمة لا تبرر تصرفنا ذاك. لعله يجب أن نبدأ من جديد على نحو جيد».

استفسر ابنه قائلاً: «تأخر الوقت قليلاً. سوف نغادر في الصباح الباكر».

صرّحت ليوني: «الوقت ليس أبداً متأخراً».

من المحتمل أن تكون هذه آخر زيارة لها إلى هنا، لكنهما على الأقل يقدران على الافتراق بشروط منطقية. وجهت ليوني نظرة نحو حماتها، وهي تشك أنها ستحقق الفائدة المرجوة، لكنها حاولت أن تبذل المجهود على الأقل، فقالت: «هل يمكننا؟ أعني... أن نحاول مجدداً؟».

بدت حماتها متصلبة، لكن عندما وجه لها زوجها نظرة ذات معنى أحنت رأسها موافقة.

لم يتمكن فيدال من إخفاء سخريته فقال: «يجدر بنا أن نصفق لانتهاء الأمور على نحو جيد».

انتهت الأمسية باكراً بتوافق ضمني. رافقت ليوني فيدال بصمت إلى جناحهما، فيما راح قلبها يزداد ثقلاً مع مرور كل دقيقة.

سألها فيدال في غرفة النوم: «لماذا لم تخبريهما بالحقيقة؟».

- لأنني سأخون والدي إن فعلت ذلك.

- لعله يستحق ذلك.

راقبت ليوني نظراته بتمعن وهي تتمنى لو أن بمقدورها أن تعرف ما يدور حقاً في رأسه، وقالت: «ليس من قبلي. وآمل ألا يُخان من قبلك أيضاً».

أطلق فيدال ضحكة قصيرة، وقال: «لِمَ عساي أخاطر بترتيب كهذا وهو يلائمني جيداً؟».

جذبها نحوه، فعانقها عناقاً شغوفاً جداً كما يفعل دوماً، أما ليوني فبادلته العناق فيما انتابتها أحاسيس متضاربة. من الواضح أنه ما زال يرغب بها لكن حتى متى؟

١٠ - سطوع الحقيقة

لم يأتِ أحد على ذكر كاترينا خلال الفطور مطلقاً. جاءت مغادرتهما رسمية جداً بالنسبة إلى ليوني، لكنها لم تتوقع على أي حال أن تظهر حماتها الكثير من الأحاسيس. بقي الأمر متروكاً لوالد فيدال حتى يعبر عن أمله بألّا يطول بهما الأمر حتى يعودا مجدداً. أجابه فيدال بالرد المناسب، لكن ذلك لم يتضمن وعداً بالعودة السريعة.

أطلقت ليوني أنفاسها المكبوتة بتنهيدة خافتة عندما سلك فيدال الدرب المؤدي إلى منزل كاترينا كما في اليوم السابق. رسم فيدال نظرة تهكمية على وجهه، وقال: «هل شككت بكلامي؟».

أقرت ليوني: «ظننتك... ربما أعدت النظر بالموضوع. أتظنها مستعدة للرحيل؟».

- هذا ما نحن على وشك أن نكتشفه.

الآن بعد أن نالت مبتغاها، لم تعد ليوني واثقة من النتيجة التي تتمنى الحصول عليها. إذا ما توجهت كاترينا فعلاً إلى الدير، ثم وجدت أن الحياة هناك لا تحقق أحلامها فعلاً، فسوف تتحمل ليوني نفسها بعض المسؤولية بسبب تشجيعها لهذا المشروع بأسره.

لم يكن هنالك أي شخص في باحة المنزل الخارجية عندما وصلا إلى هناك. في الواقع لم يكن هنالك أي أثر للحياة على الإطلاق. أدار فيدال السيارة، وأوقفها عند أسفل الدرج المؤدي إلى الباب الرئيسي المغلق.

سألته ليوني بعد لحظة: «ألن تدخل؟».

هزّ رأسه، وقال: «أخبرتها أنني سأكون هنا عند الساعة التاسعة

والنصف. أمامها ثلاث دقائق».

- لا يمكنك...

بدأت ليوني تعترض، إلا أن صوتها تلاشى عندما لاحظت تعابير وجهه الصارمة، فقالت: «أنت تعرف أنها لن تأتي. ألست كذلك؟ عرفت أنها ستأخذ قراراً مماثلاً!».

رد فيدال موافقاً: «لا، فهي تفتقد للجرأة حتى...».

توقف عن إكمال كلامه عندما انفتح الباب وخرجت منه المرأة التي كانا بانتظارها. وتمتم قائلاً: «يبدو أنني أخطأت التقدير».

نزلت كاترينا عن الدرج نحو السيارة، وهي لا تحمل شيئاً سوى حقيبة جلدية صغيرة. بدا وجهها رصيناً صافياً، ومشيتها غير مضطربة.

- سوف أذكركما في صلواتي دوماً... كلاكما!

قالت كاترينا ذلك عندما خرج فيدال حتى يفتح لها الباب الخلفي.

وجدت ليوني نفسها متأثرة، فسألتها: «ألن يأتي أحد لتوديعك قبل أن تغادري؟».

جاء ردها البسيط: «ودعنا بعضنا البعض ليلة أمس. تركت لهم رقم هاتف الدير وعنوانه إذا ما رغبوا بالتواصل معي».

- أتعنين أنك تواصلت مع الدير مسبقاً؟

- بالطبع، فهم بانتظاري حتى يرحبوا بي.

حطّت بهم الطائرة في لشبونة عند الساعة الرابعة. جلست كاترينا طيلة الرحلة في مقعدها المجاور للنافذة وهي مخدّرة الأحاسيس مذهولة بالرحلة. اقترح فيدال عليها أن تمضي الليل في سينترا، لكنها طلبت منهما أخذها مباشرة إلى الدير.

يقع الدير على الحدود الخارجية للمدينة. المبنى الجميل القديم الطراز يعود إلى القرن السابع عشر، وهو بحاجة ماسة إلى الإصلاح، لكن كاترينا لم تلحظ هذا، فبالنسبة إليها هذه هي ديارها، أي المكان الوحيد الذي ترغب في التواجد فيه.

رفضت كاترينا أن يرافقاها حتى البوابة قائلة إنها يجب أن تفعل ذلك بمفردها. عانقتها ليوني وتمنت لها الحظ الجيد. بعد تردد طفيف فعل فيدال الشيء نفسه وهو يغمغم شيئاً ما جعل نسيبته تبتسم.

راقباها من السيارة فيما رحبت بها راهبة ترتدي مئزراً أبيض اللون، فجذبتها إلى الداخل. ابتلعت ليوني بصعوبة الكتلة التي تسد حلقها، فيما انغلق الباب خلف كاترينا.

قالت ليوني: «إنها رهبنة للأخوات الكرمليات. ذلك يعني أنها لن ترى العالم الخارجي مجدداً!».

أجابها فيدال: «أشك أنها ستفتقده. إنه خيارها وحياتها. كوني سعيدة لأجلها».

أدار السيارة، وتابع: «حان الوقت لأن نعود نحن أيضاً إلى منزلنا».

وافقته ليوني تماماً، فقد بدا لها كأن دهراً مضى منذ أن غادرا سينترا. بدت متشوقة لترى الكورينثا مجدداً وتسترخي على شرفاتها ذات المناظر الطبيعية الرائعة، وتستلقي مع فيدال على سرير غرفة نومهما حيث أقاما علاقة حميمة للمرة الأولى. إنها ليلة لا تنسى!

حولت ليوني نظرها نحو فيدال الآن، وكما يحصل دوماً، أثار إعجابها بوسامته وملامح وجهه المصقولة جيداً، وعرض كتفيه القويتين.

قال لها برقة: «إذا تابعت النظر إلى هكذا، سوف ينتهي بي الأمر أن أصطدم بشيء ما. وفري إعجابك حبيبتي إلى وقت آخر».

تحب ليوني أن يناديها حبيبته باللغة البرتغالية. يبدو لها أن ذلك يعني أكثر بكثير. طمأنت نفسها إلى أن كل شيء سيسير على ما يرام.

رحبت إيلينا بعودتهما إلى المنزل بحرارة امتدت لتغمر ليوني أيضاً. تكلمت ليوني بلغتها العرجاء وهي تنبش الكلمات من ذاكرتها باللغة البرتغالية، إذ قالت: «من الجيد أن نعود إلى المنزل».

ثم أضافت قائلة لفيدال: «كيف كان ذلك؟».

أجابها فيدال: «اللهجة ما زالت بحاجة إلى تدريب، لكنها محاولة جيدة.

هل ترغبين بتناول الطعام مباشرة، أم تفضلين تغيير ملابسك أولاً؟».

- سأغير ملابسي، فأنا لست جائعة إلى هذا الحد بعد.

كان بمقدور ليوني أن تضيف أنها تتضور جوعاً إلى أمر آخر، إلا أنها لم تكن بحاجة إلى ذلك لأنها حصلت عليه بأي حال لحظة وصلا إلى غرفة النوم.

فكرت ليوني بألم، لا يمكنه أن يقول لها ذلك بوضوح أكبر، العلاقة الحسية هي كل ما بينهما، أما الحب فهو أمر مختلف تماماً.

وضعت ليوني المشكلة بأسرها جانباً خلال عطلة نهاية الأسبوع مدركة أنه سوف يعود للانغماس في أعماله بقوة بدءاً من صباح يوم الإثنين. وهذا ما حصل. أمضى فيدال قدراً كبيراً من الوقت وهو يتكلم عبر الهاتف، بالاضافة إلى بضع ساعات أمضاها في غرفة المكتب. فكرت ليوني أنه كان بعيداً عن كل الأعمال طيلة أسبوع كامل، لذا من المتوقع أن يحتاج إلى بعض الوقت كي يرى بالضبط ما الذي حصل أثناء غيابه.

نهار الأحد قادا السيارة إلى الشاطئ المطل على المحيط الأطلسي، فنزلا عبر الطريق الجبلي الشديد الانحدار ما جعلها تشك باحتمال وجود شاطئ في الأسفل، إلى أن ظهرت فسحة بين تلّتين هائلتين وبدا البحر بمياهه الزرقاء الغامقة. راح فيدال يسبح بقوة ومهارة، وبقيت ليوني ملازمة له. عادا إلى الشاطئ فاستلقيا تحت أشعة الشمس إلى أن جفّ جسداهما، ثم تناولا الغداء في مطعم صغير بسيط، وتكلما عن الكثير من الأمور باستثناء موضوع المستقبل. درّبت ليوني نفسها ألّا تفكر بالأمر حتى، بانتظار ما سيحدث.

بعد أن أمضيا ما يقارب الأسبوعين من الرفقة المستمرة، أمضت ليوني الأيام التالية بمفردها. كان فيدال يغادر كل صباح قبل الساعة التاسعة، ويعود عند السادسة كل مساء. جل ما كان يقوله هو أنه بحاجة إلى متابعة بعض الأمور التي فاتته وإلى مقابلة أشخاص هامين. أمضت ليوني جزءاً كبيراً من وقتها في استكشاف الأراضي والمنطقة المجاورة القريبة. أثناء ذلك استعانت بباولو حتى تزيد قاموس مفرداتها القليلة. بدأت أولاً تحفظ كل كلمة بمفردها، ثم أخذت تتعلم جملة أو اثنتين. صفق لها باولو بحماس عندما تمكنت من تركيب

عبارة كاملة من دون مساعدة.

- أنت تمضين الكثير من الوقت برفقته. إيلينا تخشى أن يسيء فهم اهتمامك به.

أعلن فيدال ذلك بعد فترة قصيرة من إصغائه لليوني وهي تمجّد بحسنات الشاب العديدة كمدّرس.

هزّأت ليوني من كلامه قائلة: «هذا هراء! فهو يعتبرني زوجة سيده، لا شيء أكثر».

- إنه ينظر إليك تماماً كما ينظر إليك أي رجل تخطى سن البلوغ.

سألت ليوني بعد لحظة: «أتطلب مني أن أبقى بعيدة عنه تماماً؟».

اتسع فم فيدال القوي قليلاً، وقال: «أنا ببساطة أطلب منك أن تتخذي جانب الحذر حتى لا تنفشي ريشه كثيراً. رتبت أمر تسليم سيارة لك يوم غد، أنت تحملين رخصة قيادة. أليس كذلك؟».

- نعم.

وجدت ليوني نفسها مجبرة على الاقرار بأن امتلاك وسيلة نقل خاصة بها هو نعمة، لكن بالرغم من ذلك شعرت ببعض الأسى لأنها ستكون بمفردها. أضافت قائلة لفيدال: «ذلك لطف بالغ منك».

وافقها فيدال ساخراً: «أليس كذلك؟».

وصلت السيارة عند الساعة العاشرة، وهي سيارة مرسيدس مفتوحة السقف، بدت نسخة أصغر قليلاً عن السيارة التي اختارها فيدال لنفسه. بالكاد استطاعت ليوني أن تنتظر لتقوم بقيادتها.

وصلها اتصال هاتفي فيما كانت تهمّ بتبديل الفستان الذي كانت ترتديه بسروال مع قميص مناسبين أكثر للقيادة. بدا ستيوارت قلقاً وهو يقول: «انتظرت مكالمة منك. اتصلت بقصر ميتشيافقالوا لي إنك غادرتِ يوم الجمعة الماضي».

ردت بنبرة صبورة: «آسفة، أبي. كان يجدر بي أن أتصل. أفترض أنهم أخبروك عن كاترينا؟».

WWW.REWITY.COM
KAYAHEEN

- ماذا بشأن كاترينا؟

- أوصلناها إلى دير في لشبونة. اتضح أنها رغبت دوماً بأن تصبح راهبة.

- لحسن الحظ إذاً أن فيدال رفض فكرة الزواج منها. أأستنتج أن العائلة لم تعجب بالفكرة؟

- ليس تماماً. أظن أن فيدال سيتلقى اللوم لبعض الوقت.

- لا أتصور أن ذلك سيزعجه كثيراً.

توقف ستيوارت، ثم غير نبرة صوته قائلاً: «كيف تجري الأمور؟».

قالت ليوني بصوت مشرق: «الأمور ممتازة! قدم لي فيدال للتو سيارة مرسيدس رياضية جديدة تماماً. سوف أخرج بها لقيادة تجريبية».

- بمفردك؟

- فيدال في العمل.

ثم أضافت، ضاحكة، باللغة البرتغالية: «لديه اجتماعات!».

وتابعت بالإنكليزية: «أنا أعرف ما يكفي تقريباً حتى أتجول في الأرجاء، لا تقلق، أبي. سأكون حذرة. لطالما قلت لي إنني سائقة جيدة. كيف تجري الأمور بينك و...».

نبشت ليوني ذاكرتها بحثاً عن الاسم ثم تابعت: «... شيرلي؟».

- جيدة جداً حتى الآن. أما زلت تنوين القيام بتلك الرحلة إلى ديارك؟

- بالطبع! سوف أعلمك قبل فترة من قدومي.

- ابقي على تواصل معي في هذه الأثناء. أنا بحاجة لأن أعرف أنك سعيدة.

طمأنته ليوني قائلة: «أنا كذلك. إنني في منتهى السعادة!».

فكرت ليوني وهي تعيد السماعة إلى مكانها أنها بالغت قليلاً، فوالدها ليس غبياً. إنه قادر على القراءة ما بين السطور.

أما الآن، فالسيارة بانتظارها. بما أن معظم النهار ما زال أمامها، فلِمَ عساها لا تقود السيارة إلى لشبونة نفسها؟

بدت سيارة المرسيدس تماماً كسيارة فيدال بيضاء من الخارج، إلا أن

سيارتها تتميز بفرشها الجلدي الأحمر القاتم بدل الأسود.

وضعت مقبض علبة التروس في وضعية القيادة، ثم أرخت الفرامل اليدوية، وتحركت إلى الأمام ببعض الحذر. سرعان ما اكتسبت الثقة بنفسها فيما توجهت نزولاً على درب المنزل الطويل. كان فيدال قد دلها على المبنى الطويل الأبيض الذي يقع فيه المقر الرئيسي لشركة دوس سانتوس عندما قادا السيارة إلى لشبونة مساء الجمعة. فكرت ليوني أن تزوره هناك.

يسهل التفكير بذلك، لكن لا يسهل تحقيقه. اكتشفت ذلك حالما وصلت إلى شوارع المدينة. الدرب الذي اتخذته بدا لها مستقيماً عندما كانت برفقة فيدال، أما الآن فلم يعد يبدو كذلك. كانت الطريق مكتظة بالسيارات، ولم يسمح لها بالكثير من الوقت لتفكر عند تقاطع الطرق.

أحست ليوني بالارتياح عندما رأت اليافطة التي تحمل اسم دوس سانتوس. عندما استدارت بالسيارة إلى طريق عام آخر مزدحم بالسير كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ظهراً. إن حالفها الحظ فقد تجد فيدال على وشك أن يأخذ استراحة لفترة الغداء. كان فيدال قد أخبرها أن هنالك مرآب سفلي للسيارات تحت المبنى، فاستطاعت ليوني أن ترى ما بدا لها أنه مدخل المرآب على بعد سيارتين أمامها. في اللحظة نفسها خرجت من الموقف سيارة طويلة بيضاء مألوفة جداً بالنسبة إليها. تحرك فيدال بسيارته شيئاً فشيئاً نحو خط السير عندما بدأ هذا الأخير يتحرك مجدداً، فحصل بالقوة على فسحة للخروج، رأت ليوني امرأة ذات شعر أسود تجلس إلى جانبه في السيارة وتحدثه، فيما انصب اهتمامها بأكمله عليه. لم ينظر فيدال ناحيتها، كما كان من غير المحتمل أن يلحظها من خلال مرآته، لاسيما بوجود سيارتين أخريين تفصلان بينهما. لم تكن ليوني قد رأت المرأة سوى مرة واحدة من قبل، لكنها تعرفت إليها على الفور: سانتشا باريتوكالديرا ليست شخصاً يسهل نسيانه!

استدار فيدال إلى الجهة اليمنى عند التقاطع التالي. أما ليوني فاستدارت نحو اليسار فيما أحست بالخواء، إذا كان فيدال قد عاد إلى علاقته السابقة مع المرأة، فهذا يعني أن رغبته بها بدأت تتناقص. لكن لِمَ تراها تتفاجأ؟ هذا ما

توقعته منذ البداية.

وجدت ليوني طريقها إلى خارج المدينة مجدداً بشكل ما، عادت إلى الكوينتا، فركنت السيارة وتوجهت إلى الداخل.

لم تبدُ لها غرفة النوم كالجنة أبداً. إذ بدا وجه ليوني محبطاً في مرآة طاولة التزيين، أما عيناها فبدتا خاليتين من التألق. حاولت أن تفكر بصورة منطقية، إذا كانت سانتشا في السيارة مع فيدال، وحتى لو كانت ذاهبة لتناول الغداء برفقته، فهذا لا يعني بالضرورة أنه جدد علاقته بها.

هذا إذا ما كانت علاقتهما قد انتهت أصلاً...

كانت الساعة تقارب السابعة عندما ظهر فيدال أخيراً. لم يقم بأية محاولة لتفسير سبب تأخره، وهي حتماً لن تسأله عن السبب. قال لها أثناء العشاء: «هل جربت قيادة السيارة؟ إلى أين ذهبتِ؟».

ردت ليوني بشكل مبهم: «تجولت في الأرجاء. إنها آلة رائعة!».

بدت نبرته سهلة وهو يقول: «ربما لم تتسنَّ لك الفرصة لتقوديها بسرعة بعد. سوف نذهب في جولة معاً عندما أعود».

وجهت ليوني نحوه نظرة حادة مستفسرة: «تعود... من أين؟».

- أنا مضطر للذهاب إلى ميونيخ مجدداً.

قالت ليوني ملاحظة بعد لحظة: «قلت لي إنك سوف تصطحبني معك خلال رحلات العمل؟».

- ليس خلال هذه الرحلة. فأنا لست بحاجة إلى ما يلهيني.

سألته وهي تحاول الحفاظ على رباطة جأشها: «كم من الوقت ستتغيب؟».

هز كتفيه، وقال: «فقط ليلة واحدة، إذا سارت الأمور بشكل جيد».

- لابد أن لديك العديد من الأشخاص المؤهلين لمساعدتك في حل أي مشاكل طارئة؟

وافقها فيدال قائلاً: «نعم، هناك العديد من الأشخاص. سوف يرافقني اثنان منهم يوم غد».

أهما رجلان أم امرأتان؟ جاء هذا السؤال على طرف لسانها، لكنها عضت

الكلمات وتراجعت عنها بمجهود كبير. سألته: «متى ستغادر؟».

- الرحلة عند الساعة التاسعة. سأحاول ألّا أوقظك. وأنت، ماذا ستفعلين أثناء غيابي؟

- آه! سأتجول في أرجاء المكان، أقرأ كتاباً ما، ألعب بسيارتي الجديدة. وربما... أتعلم بعض البرتغالية.

أضافت ليوني عبارتها الأخيرة متعمدة.

اسود وجه فيدال قليلاً، وسألها: «من باولو؟».

- إنه الوحيد الموجود هنا باستثنائك أنت، بالطبع، ولديه ما يكفي من المعرفة باللغة الإنكليزية ليكون مفيداً لي.

البريق الذي قفز إلى عيني فيدال السوداوين بدا بمثابة تحذير، فقال: «ليس بعد الآن. إذا رغبتِ بتعلم اللغة سوف أرتب لك أمر التعليم المناسب».

رفع يده عندما حاولت ليوني أن تتكلم، فقال: «لا تتحديني بهذا!».

أطلقت ليوني كامل العنان لسخريتها، إذ قالت: «أتحداك أنت؟ نحن في القرن الحادي والعشرين، ولسنا في العصور الوسطى! هل ستطلب مني لاحقاً أن أرتدي حزام العفة أثناء غيابك؟».

لم يرفع فيدال صوته فوق نبرته العادية حين قال: «أنا أطلب منك أن تستخدمي المنطق الذي أعلم أنك تتحلين به، والمخبأ تحت هذا الغباء المنادي بحقوق المرأة. باولو...».

قاطعت ليوني كلامه قائلة: «أنت لا تطلب بل تأمرني! لكنني لست مثل والدتك. أنا لا أخضع لفكرة الرجل المسيطر. سأفعل ما أراه مناسباً».

ساد السكون فيدال للحظة، فركز نظره على وجهها اللطيف المضطرب الآن. سألها بعد فترة: «حتى لو عنى ذلك أن يفقد باولو وظيفته؟».

استنشقت ليوني نفساً مرتعداً، وهي تدرك أن تصرفها أشبه بتصرف طفل في الحضانة لا تصرف شخص راشد. لكنها مع ذلك لم تقوَ على التحكم برغبتها في قذف فيدال بكلامها، فانطلقت تقول: «ها أنت تعود إلى طبيعتك مجدداً. أليس كذلك؟ افعلي ما آمرك به وإلّا فإن شخصاً ما سيدفع الثمن! حسناً! أنت تربح.

بالأسلوب الذي تفوز به دوماً!».

قذفت فوطتها على الطاولة. وتابعت تقول: «أنا ذاهبة إلى النوم!».

تحدث فيدال بصوت هادئ: «لا! لن تذهبي. سوف تجلسين وتنهين عشاءك، كفي عن التصرف كبائعة سمك. اجلسي!».

أمرها فيدال بذلك عندما حاولت أن تدفع كرسيها إلى الوراء. خضعت ليوني مترددة، إذ شعرت بأطرافها ترتعش لكن ليس بسبب الخوف، فبغض النظر عن مساوئ فيدال إلّا أنه لا يستخدم العنف مطلقاً. إنها متأكدة من ذلك. ذلك الارتعاش سببه الضغط العاطفي الذي أخذ يتنامى، وكان لابد له أن ينفجر. لقد أحبت رجلاً لا يعرف معنى هذه الكلمة، وهو على الأرجح لن يعرف أبداً معناها على الإطلاق.

ما هو اللقب الذي أطلقه عليها؟ بائعة السمك! استفسر فيدال قائلاً: «إذاً؟ هل ستطلعينني من أين انبثق ذلك كله؟».

يمكنها أن تخبره بما رأته ببساطة، لكنها لن تفعل. إن اتهمته بمقابلة نساء أخريات فسوف يدرك أنها تشعر بالغيرة، وهذا سوف يدعوه إلى التساؤل حول حقيقة ما تشعر به نحوه. من جهة أخرى لا يمكنها أن تتأكد من أن فيدال لن يتهم والدها بالاختلاس إذا ما اختارت التملص من هذا الزواج. ستبقى ملتزمة بهذا الزواج ما دام فيدال يريده أن يستمر.

ادعت ليوني قائلة: «أنا... أتصرف بغباء وبقلة امتنان. السيارة رائعة حقاً!».

أصبحت نبرة فيدال فظة من جديد، فقال: «أنا لا أريد امتنانك، بل أريدك بعيدة عن الغباء».

أطلقت ليوني ابتسامة ساخرة، وقالت: «ذلك لا يعني أنني أحب أن يملى علي ما أفعله».

ابتسم فيدال باقتضاب، ثم قال: «أعرف ذلك. يجدر بي أن أتصرف بدبلوماسية أكثر».

- لا، أنت محق بشأن باولو. سأحاول الابقاء على مسافة معينة بيننا. أكره

أن أكون المسؤولة عن خسارته لوظيفته. لن يخسرها. أليس كذلك؟

- لن يفعل إلا إذا ارتكب حماقة تجعله يستحق ذلك.

استخلصت ليوني أنه يجدر بها أن تتصرف ببرودة أكبر من الآن فصاعداً مع باولو. لاقت عيناها عيني فيدال عبر الطاولة، قائلة: «هل يمكننا أن نضع هذه الدقائق الأخيرة القليلة خلفنا؟ أنا لست فخورة بنفسي».

أمال فيدال رأسه فيما ظهرت لمحة سخرية في التواء شفتيه، ثم قال: «الشعور متبادل».

فكرت ليوني بألم، ليته كذلك!

* * *

استيقظت ليوني ما إن نهض فيدال عند الساعة السادسة، فراقبته وهو يتمطى على حافة السرير قبل أن يتوجه إلى الحمام.

ادعت أنها نائمة عندما عاد من الحمام إلى غرفة النوم، فلم تنقلب على جنبها إلا بعد أن أغلق الباب بهدوء خلفه. الليلة سوف تكون أول ليلة يمضيانها منفصلين منذ زواجهما. حسناً! سوف تتأقلم مع الأمر لأنها مضطرة إلى ذلك، لكن فيدال لن يخضع إلى هذه الضوابط. إنه البحار الذي تتوفر لديه رفقة امرأة في كل مرفأ يدخله.

مر الصباح بتثاقل وبطء، أما فترة ما بعد الظهر فسارت ببطء أكبر. تبين لها أن إبقاء باولو بعيداً عنها أمر غير سهل. أخبرته أنها سوف تحظى بالتعليم اللائق للغة البرتغالية على يد مدرّس حقيقي، وبدا واضحاً أنه لم يتقبل الأمر بشكل جيد على الإطلاق.

بعد الاتصال الهاتفي الذي تلقته يوم أمس، تلقت ليوني زيارة شخصية. لم تقم سانتشا بأية محاولة لتبادل اللياقات. كانت ترتدي فستاناً حريرياً كهرمانياً يتلاءم مع البريق البادي في عينيها. ما إن رأت ليوني حتى أعلنت قائلة: «يجدر بك أن تعلمي أنني كُنت برفقة زوجك يوم أمس».

راقبتها ليوني بهدوء ظاهري متحكمة برغبتها بأن تطرد المرأة بالقوة من منزلها، وقالت لها: «أعلم».

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

حدقت المرأة بها بارتباك واضح، إذ سلبتها ليوني ما أرادت تحقيقه من انتصار. سألتها غير واثقة: «هل أخبرك فيدال؟».

هزت ليوني رأسها وهي تتعلق باتزانها بخيط رفيع: «هو لم يخبرني. أنا نفسي قصدت وسط المدينة يوم أمس لأجرب السيارة الجديدة التي قدمها لي، رأيتكما أنتما الاثنين».

وسألتها: «هل لحقتِ بنا؟».

رفعت ليوني حاجبيها أيضاً كما لو أن السؤال فاجأها، وقالت: «ولِمَ أفعل ذلك بحق السماء؟».

- أليس لديك اعتراضات على تورطه مع نساء أخريات؟

- لا، على الإطلاق!

بحسب التعابير المرتسمة على وجه سانتشا بدا واضحاً أنها تكافح لفهم مبدأ جديد تماماً بالنسبة إليها.

سألت ليوني ساخرة: «ما الذي تتصورينه؟ هل ظننت أنني سوف أترك فيدال لك؟».

أطلقت ضحكة رنانة، وقالت: «الزواج ليس من ضمن مفكرته. يمكنني أن أؤكد لك ذلك. أترين؟ أنا أفهمه جيداً. إذا كان هذا ما جئت من أجل قوله لي، فأتمنى لك نهاراً جيداً».

أضافت حين لم تقم سانتشا بأي رد: «أنا لا أظنك بحاجة إلى من يرشدك إلى طريق الخروج».

أدركت ليوني أنها حطمت تماماً الثقة بالنفس لدى هذه المرأة البرتغالية التي غادرت من دون أن تضيف كلمة أخرى، وانهارت على الكرسي الطويل حيث كانت تحاول قراءة كتاب ما. إذا كانت بحاجة إلى دليل على أن خروجهما يوم أمس كان بعيداً عن البراءة، فهي حتماً حصلت عليه الآن.

أحست ليوني أنها مهانة تماماً بعد أن فكرت كيف تصرف معها فيدال ليلة أمس. علاقتهما ليست مميزة لديه على الإطلاق! أمضت بقية نهارها كالمومياء، أما ليلها فأمضت معظمه مستيقظة تماماً. مهما كان الموقف صعباً

وسيئاً، فهي ما تزال امرأة مرتبطة. فيدال لن يتخلى عنها. ليس قبل أن يقرر هو أنه آن الأوان لذلك. أمامها خياران: فهي إما أن تطلع فيدال على زيارة سانتشا، وتقترح عليه أن يبقي نساءه الأخريات تحت سيطرته، أو أن تتغافل عن الأمر بأسره بالجزء الخاص من حياته. حسناً! هو لم يزعج نفسه حتى بأن يتصل بها ليطمئنها بوصوله سالماً.

كانت ليوني ما تزال في حالة فيض للأفكار السيئة عندما وصل فيدال إلى المنزل متأخراً بعد ظهر اليوم التالي. بدت تحيته متحفظة.

- نعم. جرت لقاءات العمل بشكل جيد.

هذا ما قاله لها عندما سألته. أقرت ليوني بحذر أن هذا الرجل مختلف تماماً عن ذاك الذي غادر المنزل صباح اليوم السابق. حصل شيء ما.

بدا فيدال بعيداً آلاف الأميال أثناء العشاء، فلم يتحدث إلا عندما كانت تكلمه هي، فيرد بكلمات ذات مقطع واحد. انتظر فيدال انتهاءهما من تناول العشاء حتى يسقط قنبلته على رأسها.

- تسنى لي الوقت لكي أفكر جدياً بعلاقتنا. أظننا قادرين على إنهاء هذا التدبير قبل أن يصبح عادة قديمة. والدك لن يعاني نتيجة ذلك. أعطيك وعدي بهذا. أنت أيضاً، بالطبع.

دُهشت ليوني لثبات صوتها، فقالت: «لِمَ الآن؟ وفجأة... هكذا؟».

رفع فيدال كتفيه العريضتين، فيما لم يكشف وجهه عن أي شيء وهو يقول: «كما أخبرتك للتو، حظيت بالوقت حتى أفكر بالمسألة بأسرها. لقد عاملتك بشكل سيء ولا عذر لي في ذلك. جلّ ما يمكنني أن أفعله هو محاولة التعويض عليك. سوف تكون التسوية سخية».

- أنا لا أريد مالك.

أصبح حلق ليوني مشدوداً كالطبل، أما جسدها فآلمها ألماً عظيماً. احتاجت إلى استجماع طاقتها بأكملها حتى تحافظ على رباطة جأشها، فيما ظهر المقت في عينيها وهي تقول: «يكفيني أن أستعيد حريتي. هل أستنتج أن والدي يمكنه أن يحتفظ بوظيفته أيضاً؟».

أجاب بنبرة متصلبة: «أخبرتك للتو أنه لن يعاني، وسوف تقبلين بالتسوية سواء أحببتِ ذلك أم لا».

هزت ليوني كتفيها متعمدة، وقالت: «أفترض أنه يحق لي ببعض التعويض. ذلك لا يعني أن الأمر بأسره كان سيئاً، فأنا تعلمت منك الكثير، وذلك سيجعلني مفيدة في وقت ما».

التمع شيء ما في أعماق عينيه السوداوين، ثم تلاشى بسرعة ليتركهما غامضتين لا يسبر غورهما. قال: «أرى أنك تتقبلين الأمر بصورة جيدة».

سألته: «ما الذي تتوقعه؟ هل توقعت أن أتعلق بك، وأتوسلك حتى تبقيني معك؟ يجب أن أكون مسلوبة العقل لكي أذهب إلى هذا الحد».

- وأنت لست كذلك، بالطبع.

- لا يمكنني أبداً أن أكون كذلك. المشاعر الوحيدة التي أثرتها بي هي من النوع الحسي. أنت بارع جداً، وأنا أقر لك بذلك. لكن... هذا ما أنت عليه. أليس كذلك؟ هناك أمر واحد مؤكد: والداك سوف يشعران بالابتهاج! سيتمكنان من البحث عن عروس تستحقك أكثر مني.

تابعت ليوني جملتها الأخيرة قبل أن يدلي بأي جواب. أطلق فيدال ضحكة قصيرة، وقال: «يمكنهما أن يبحثا».

- لكن زواجاً واحداً يكفي. أليس كذلك؟ هذا أمر يمكننا أن نتفق عليه على الأقل.

رجعت ليوني بذاكرتها إلى الوراء، إلى تلك الليلة عندما ذهبت إلى شقة فيدال في لندن حتى تتوسل إليه من أجل مستقبل والدها. لم تمض سوى أسابيع قليلة فقط، لكن بدا لها كأن دهراً مر على ذلك. قالت: «سوف أوضب بعض الأغراض. يمكنني أن أحجز غرفة في فندق ما إلى أن أحصل على رحلة للعودة إلى الديار، إذا طلبت لي سيارة أجرة».

نهض فيدال على قدميه مثلها، فيما راح عصب يتنفض على طول خط فكه، ثم قال: «هذا غير ضروري. سوف أرتب لك رحلة في الصباح».

سألته ليوني: «بماذا تفكر؟ ليلة أخرى لنا سوياً؟».

انتفضت عضلة في وجهه، لكنه أبقى على تحكمه بصوته، فقال: «إنه آخر شيء أتوقعه. سوف أستخدم غرفة... أخرى».

- إنه منزلك. سوف أستخدم أنا غرفة أخرى!

أحنى فيدال رأسه قائلاً: «لك ما شئتِ».

تركته ليوني واقفاً مكانه، فهي مضطرة للذهاب إلى غرفة النوم التي كانا يتشاركان بها، لكي تحضر على الأقل الأشياء الضرورية لهذه الليلة. اختارت أبعد غرفة استطاعت أن تجدها عن الغرفة الأولى. لم تسمح للتحكم الحديدي بنفسها أن يتداعى إلا حينما صارت داخل غرفتها وأغلقت الباب خلفها. غرقت في السرير فيما انتابها شعور بأن حياتها بأكملها تنهار. بدا الأمر بأسره مفاجئاً جداً، عنيفاً جداً، ومتطرفاً جداً. بدا لها كأنما الرجل الذي عرفته طيلة الأسابيع القليلة الماضية هو مجرد جزء من خيالها. مع ذلك، لمَ هي متفاجئة؟ فهي لم تضع ثقتها الكاملة باستمرارية هذا الزواج. غداً ستعود إلى ديارها. هذا ما يهم فعلاً.

* * *

تأخرت الرحلة بالوصول إلى لندن. كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة حين تمكنت ليوني من الخروج من المطار.

لم تكن لدى والدها أي فكرة بعد أنها في طريق عودتها إلى المنزل. على أي حال هو كان يشكك بالحقيقة ويتوقعها مسبقاً. أما المشكلة فتكمن في منعه من لوم نفسه كثيراً.

أما الآن فأولى أولوياتها تكمن في إيجاد وظيفة إذ لا نية لديها بالاعتماد على شهامة فيدال. هو يستطيع أن يقوم بأية تدابير ترضي ضميره - هذا إذا كان يملك ضميراً - لكنه لا يستطيع إجبارها على قبولها.

كانت السماء ترشق الأمطار بقوة في نورثوود، فأحست ليوني بالارتياح عندما وصلت لتجد المنزل مضاءاً. تبللت بالماء تماماً عندما قطعت المسافة القصيرة من سيارة الأجرة نحو الباب الأمامي، إذ لم تكن تحمل مظلة تقيها المطر، كما اضطرت إلى حمل حقيبتها. كانت تحمل مفتاحاً للباب الأمامي في

حقيبتها، لكن بدا من الصعب عليها أن تبحث عنه الآن. لذلك قرعت على جرس الباب عوضاً عن ذلك، وهي تجهز نفسها للحظات القادمة.

بدت المرأة التي فتحت الباب غريبة تماماً عنها. حدّقت المرأتان ببعضهما وهما تتبادلان الارتباك والحيرة. المرأة الأخرى كانت أول من تعافت من الصدمة، إذ قالت: «أنت ليوني! أليس كذلك؟».

ثم هزت يد ليوني مصافحة، وأضافت: «سؤال سخيف! كنت أنظر إلى صورتك الفوتوغرافية منذ بضع دقائق فقط!».

تراجعت المرأة إلى الوراء حتى تسمح لليوني بالدخول قائلة: «والدك في غرفة المكتب. وبالمناسبة أنا شيرلي. لست أدري إن كان والدك قد ذكر لك شيئاً عني؟».

قامت ليوني بمجهود كبير حتى يبدو كلامها طبيعياً، فقالت: «نعم، بالطبع! لقد أخبرني. أنت تماماً كما وصفك لي. توقعت أن يفتح أبي الباب، هذا كل ما في الأمر. إنه لا يعرف بأمر قدومي».

راقبتها المرأة الأكبر سناً بدهاء، وقالت: «رحلة سيئة. أليس كذلك؟ تبدين مرهقة. سأضع الابريق على النار فيما تقومين بإعلام والدك بمجيئك. سوف أحضر القهوة إلى الداخل لكليكما».

أظهرت ليوني ابتسامة، وقالت: «ذلك أمر أرحب به».

خلعت ليوني السترة المبللة، ثم رسمت تكشيرة على وجهها ما إن لمحت صورتها في مرآة البهو. قالت: «لم أكن أدرك أنني أبدو بهذه الفوضى!».

طمأنتها شيرلي قائلة: «إنك فقط مبللة قليلاً. بدأ شعرك للتو يعود إلى مكانه. إنه ذو لون رائع! أود أن أرسمك يوماً ما!».

سألتها ليوني بتفاجؤ: «هل أنت رسامة؟».

- إنها مجرد هواية. سأعلق سترتك لتجف. اذهبي إلى والدك. سوف يسر كثيراً لرؤيتك.

فكرت ليوني أنها هي أيضاً سوف تسرُّ برؤيته. توجهت نحو باب غرفة المكتب، فيما توجهت شيرلي نحو المطبخ. تمهلت للحظة حتى تستجمع شتات

نفسها قبل أن تفتحه. كان ستيوارت جالساً إلى مكتبه يدرس ملفاً مفتوحاً أمامه.

قالت ليوني بهدوء: «مرحباً، أبي! أنا عدت إلى المنزل مجدداً».

نهض ستيوارت بخفة فيما تلاحقت مجموعة مختلفة من التعابير على وجهه وهو يحدق بها. هتف بنبرة تدل على عدم التصديق: «لقد فعل ذلك! قام بذلك فعلاً!».

درست ليوني ملامح وجهه، وسألته: «ما الذي تتكلم عنه؟».

كان ستيوارت قد نهض على قدميه، فاستدار حول المكتب ليعانقها عن قرب. قال: «فيدال، بالطبع! لم أكن واثقاً أنه يمتلك النخوة في داخله!».

بادلته ليوني العناق وهي ما تزال تشعر بالذهول مما يقوله، فسألت: «لكي يفعل... ماذا؟».

قال ستيوارت بنبرة ملتوية: «أن يدعك ترحلين. أخبرته أنني مستعد لتسليم نفسي إن كان ذلك يعني ألا يبقى ممسكاً بك، على أي حال. أعلم لما تزوجت به. لطالما عرفت ذلك. أنا ببساطة لم أتحلّ بالجرأة الكافية لأواجه الأمر حينها».

جذبت ليوني نفسها مبتعدة عن والدها حتى تنظر إليه بارتباك قائلة: «متى تكلمت معه؟».

- اتصلت به إلى ميونيخ منذ ليلتين.

راحت الأفكار تتسارع في ذهن ليوني الآن في محاولة لتركيب المعلومات، فقالت: «أخبرني فيدال أنه هو من قرر إنهاء العلاقة».

- بالطبع! فهو ليس معتاداً على الوقوف في الجانب الخاسر. أظنه فعلاً يهتم لأمرك.

استطاعت ليوني أن تشعر بالدفء يجول في شرايينها. قد لا يكون والدها محقاً في تقديره، لكن غرائزها تقول لها ذلك أيضاً، فذلك يفسر الكثير من الأمور.

- أنا بحاجة إلى إجراء اتصال هاتفي. أريد أن أحجز رحلة

تمعن ستيوارت في وجهها، وسرعان ما أشرق عليه فهم جديد، فقال: «أنت تحبينه. ألست كذلك؟».

أكدت له ليوني: «تماماً! أعلم أنه ليس خالياً من الأخطاء، لكنني أحبه. إن اتضح لي أنك مخطئ بشأن شعوره نحوي، سوف أتقبل الأمر. لكن عليه أن يقول لي ذلك مباشرة».

كانت ليوني تتحدث عبر الهاتف عندما أحضرت شيرلي القهوة. نظرت الأخيرة متسائلة نحو ستيوارت الذي رفع كتفيه مستسلماً. أعلنت ليوني وهي تعيد سماعة الهاتف إلى مكانها: الثامنة والنصف غداً صباحاً. سوف أطلب سيارة أجرة».

هز والدها رأسه، وقال: «إذا كان هذا ما تريدينه فعلاً، سآخذك إلى هناك بنفسي».

* * *

استيقظوا جميعاً عند الساعة الخامسة والنصف، فوصلوا إلى المطار في الوقت المناسب للرحلة. عانقت ليوني والدها عند نقطة تفتيش جوازات السفر، وكذلك فعلت مع شيرلي.

أحست ليوني بالارتياح عندما رأت سيارة فيدال في الباحة الأمامية للمنزل. افترضت أن السيارة التي أهداها إياها مركونة في المرآب. كانت ليوني قد سألته مرة لِما لا يمتلك مجموعة كاملة من السيارات الفخمة، كما يفعل معظم الناس ممن هم في مركزه الاجتماعي والمادي فأجابها أنه غير مهتم بجمع رموز تدل على وضعه المادي.

لم يكن هنالك أي شخص في الأرجاء ليرى ليوني عندما ترجلت من سيارة الأجرة. دفعت للسائق مبلغاً باهظاً جداً كان قد طلبه من دون مساومة، ذلك أن أفكارها منشغلة بأمور أكثر أهمية الآن. سيطر على المكان نعاس صباح يوم الأحد، أما الصوت الوحيد المسموع فهو طنين النحل. فتحت إيلينا الباب لليوني، وعبّر وجهها الودود عن الارتياح. لم تلُمها ليوني، فلا بد أن المرأة المسكينة تتساءل عما يجري. أعلنت ليوني مبتسمة: «لقد عدت. هل ستسمحين

لي بالدخول؟».

عندما لم تتحرك المرأة أضافت بالبرتغالية: «الدخول؟».

ذلك القول أدّى إلى نتيجة. أخذت إيلينا الحقيبة التي وضعتها ليوني على الأرض، بينما ظل وجهها يعكس الارتباك والحيرة. قالت بالبرتغالية: «السيد موجود على الشرفة».

فهمت ليوني مغزى جملتها، إلا أنها لم تسألها على أي شرفة هو. فهي سوف تجده بنفسها.

وجدت فيدال مستلقياً على أحد الكراسي المخصص للاسترخاء، فيما أغمض عينيه من أشعة الشمس التي تتسلل من خلال أغصان شجرة الجكوندا المتدلية فوقه.

فتح فيدال عينيه وكأنه استشعر بوجودها. للمرة الأولى تجردت عيناه من قناعهما وهو ينظر إليها. تحرك بسرعة البرق فنهض واقفاً على قدميه، ثم جذبها نحوه وغمرها بذراعيه معانقاً إياها بحرارة وشغف. عناقه المحموم لم يدع لديها أي شك بحقيقة مشاعره نحوها. قال بفظاظة: «لقد عدتِ!».

ردت ليوني وهي تحاول أن تبقي صوتها ثابتاً: «كان علي أن أعود. غادرت من دون أن أقول لك إنني أحبك. أبي قال...».

بحثت عينا فيدال في وجهها وكأنهما تخترقان روحها: «دعك مما قاله والدك! قوليها مجدداً!».

سألته ليوني ببراءة: «أقول ماذا؟».

ضحكت عندما قام فيدال بحركة تهديد ممازحاً. فكررت له: «أنا أحبك. جعلتني أتعذب كثيراً بإرسالك لي إلى الديار كما فعلت».

- أنا تسببت لنفسي بعذاب أسوأ من الذي شعرت أنت به.

ملّس فيدال شعر ليوني بيديه، فأرجعه إلى الوراء بعيداً عن وجهها. أما النظرة المرتسمة في عينيه وهما تهيمان في ملامحها المرحة فعبرت لها عن كل ما أملت به ليوني لفترة طويلة. قال: «استخدمت مشكلة والدك حتى أجبرك على الزواج لأنني أدركت أنها الطريقة الوحيدة التي تمكنني من الحصول عليك.

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

عشت سنتين كالجحيم في محاولة لإيجاد طريقة ما لتجمعنا سوياً. عرفت أنك ترغبين بي، لكن هذا وحده لم يكن كافياً. أردتك لي بكليتك... بكل جزء منك على الإطلاق. أردت أن أسمعك تقولين ما قلته لي للتو، وأنا أعلم أنك تعنينه. أنت تعنينه فعلاً، أليس كذلك؟».

أغاظته ليوني قائلة: «فيدال باريلادوس سانتوس لديه شكوك؟ إنها المرة الأولى!».

تخلت عن المراوغة، فاقتربت منه وعانقته بشوق، فيما غمرها شعور بالسعادة لا يوصف وهي تحس بقوة الذراعين اللتين ضمتاها.

وصلا إلى غرفة النوم من دون أن يلحظهما أحد. كانت الستائر المائلة مشدودة وقد ألقت ظلالاً عبر السرير، وما هي إلا لحظات حتى غرقا سوياً وغاب كل منهما في الآخر بانسجام تام، فبدت كل لمسة وكل مداعبة بمثابة اختبار جديد.

غمغمت ليوني بعد أن استلقيا باسترخاء على السرير: «لماذا جعلتني أعتقد أنك تريدني أن أرحل؟».

أقر فيدال: «عزة النفس. لم أقوَ على حمل نفسي على الاعتراف بأنني أحبك، في حين أنني اعتقدت أن كل ما تشعرين به حيالي هو الانجذاب الحسي فقط. كنت أفكر بنفسي فقط منذ أن عدنا واجتمعنا سوياً... فكرت بحاجاتي فقط».

رفع فيدال جسمه على مرفقه لينظر إلى ليوني وقد غمرت الرقة عينيه، ثم تابع يقول: «جعلتني أدرك تماماً كم كنت أنانياً حين بذلتِ جهدك للدفاع عن حقوق كاترينا، فيما سلبتك أنا حقك باتخاذ قراراتك الخاصة. لكن حتى حينها لم أكن قادراً على الابتعاد عنك».

قالت ليوني بصوت أبح: «إلى أن تدخل والدي. أكنت تعتقد أنه سيفعل ما قال بأنه سيفعله؟».

- نعم، صدقته. عرفت أنه وصل إلى مرحلة أصبحت فيها مصالحه الخاصة ثانوية أمام مصلحتك. قال لي إنه خجل من نفسه لأنه سمح لك بالتورط بهذا

الزواج وهو يعلم أنك فعلتِ هذا فقط من أجله. جعلني أشعر بالخجل أنا أيضاً.

رفعت ليوني يدها حتى تداعب خطوط فمه الحازمة برؤوس أناملها، ثم قالت: «أهذا عدت إلى هنا ورميتني خارجاً؟».

بدت ابتسامته حزينة حين قال: «ظننت أنك لن تحبيني مطلقاً بعد كل ما فعلته بك. أجبرتك على الزواج مني وعلى التضحية بعذريتك التي كنت توفرينها لرجل تختارينه أنت».

همست ليوني: «ذلك لأنني لم أجد أي شخص آخر يستطيع التأثير بي كما فعلت. أنت الرجل الوحيد الذي يجعل نبضات قلبي تتسارع بمجرد النظر إليك، كما أن فمي يجف وتنقبض عضلات معدتي. ندمت على الساعة التي رفضت فيها الزواج منك كل يوم خلال العامين السابقين!».

- لماذا إذاً لم تجيئي إلي؟

- كنت مقتنعة بأنك حتماً تمقتني لأنني اعتبرت القصة التي نشرتها الصحافة عنك بمثابة دليل حي على إدانتك.

قال فيدال بنعومة: «لا يمكنني أن أمقتك أبداً. كيف يمكنني أن أتوقع منك أن تعرفي الحقيقة؟ سأكون كاذباً لو ادعيت عدم وجود نساء أخريات في حياتي، لكنني لم أحب أي امرأة أخرى كما أحببتك!».

لم تقصد ليوني أن تقول ذلك، لكن الكلمات خرجت من فمها من دون قصد، فقالت: «بمن فيهن سانتشا؟».

التعابير التي عبرت وجه فيدال بدت أقرب إلى التفاجؤ منها إلى الشعور بالذنب، فقال: «ما الذي جعلك تفكرين بها؟».

- قدت السيارة إلى لشبونة يوم السبت حتى أجربها وأتناول الغداء معك، ورأيتكما أنتما الاثنين تغادران سوياً.

درس فيدال ملامح وجهها للحظة فيما ظهرت على وجهه الحيرة، ثم قال: «هل لحقتِ بنا؟».

هزت ليوني رأسها فقالت: «لا. لم أرغب بمعرفة وجهتكما».

- أوصلتها إلى منطقة التسوق الرئيسية، ثم تابعت سيري إلى موعد عمل كنت للتو قد تأخرت في الوصول إليه. جاءت إلى مكتبي لتطلب نصيحتي بشأن عرض عمل.

- و... هل صدقتَ ذلك؟

- ليس تماماً، لكنني أوضحت لها بأن أي اهتمام أبديته لها في الماضي قد انتهى منذ زمن.

خمّنت ليوني أن سانتشا استعجلت في زيارتها الفورية إليها حتى تحاول خلق شرخ بينها وبين فيدال. لقد أطلقت كل غضب وهيجان الجحيم عليها حينها، أما الآن فقررت أن لا داعي لإخبار فيدال بذلك.

سألها فيدال وهو يراقب تعابير وجهها: «ألا تصدقينني؟».

طمأنته ليوني قائلة: «بالطبع، أنا أصدقك! أنا فقط أشعر بالقليل من الأسف لأجلها، هذا كل شيء. لقد خسرتك».

- هي لم تحصل علي قط. لم تفعل ذلك أي امرأة.

وضع فيدال شفتيه على جبين ليوني، ثم تنشق عطرها وهو يتنهد شوقاً إليها من جديد، ما جعل عينا ليوني تدمعان. غمغم فيدال بالقرب من أذنها: «لست بحاجة إلى أي امرأة أخرى بعد أن حصلت عليكِ. أنت تملأين حياتي وقلبي وكل لحظة من أيامي!».

خطرت لليوني فكرة عابرة، إذ سوف تتخلل أيام عمله الكثير من الأوقات التي سينسى فيها حتى أن له زوجة!

على أي حال من المحتمل، أن تحظى هي نفسها بمشاغل خاصة تلهيها في المستقبل غير البعيد. أدركت ليلة أمس فقط بأن دورتها الشهرية تأخرت لأكثر من أسبوع، والله وحده يعلم كيف حصل ذلك في حين أنهما كانا يستخدمان وسائل الوقاية ضد الحمل. لكن انتاب ليوني شعور قوي جداً بأن ذلك حصل. سألها فيدال وهو يبحث في وجهها مجدداً: «ما الذي تفكرين به».

ردت ليوني وهي توفر بقية الأخبار إلى وقت لاحق: «أفكر بمقدار حبي الجم لك وبمقدار شوقي إليك!».

التمعت عيناه السوداوان ضاحكتين، وقال: «وتقولين لي إنني أنا من لا يشبع!».

جعدت ليوني أنفها، وقالت: «إذا كنت غير راغب بذلك، بالطبع...».

تحول اللمعان في عينيه إلى توهج إذ قال: «سوف تدفعين ثمن هذا الافتراء، يا امرأة!».

فكرت ليوني أن الأمر يستحق ما بذلته من عناء، فيما بدأت الأمواج الحارة تتصاعد مجدداً في داخلها.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

خاتمة

تهادى الصبي صاحب العيد فوق العشب الأخضر وهو يغمغم مبتهجاً لبراعته، فيما راحت شقيقته التي تكبره بعامين ترعاه بحذر آخذة على محمل الجد أسبقيتها لشقيقها بسنتين.

أعلنت الجدة بإعجاب: «فيكتوريا طفلة حريصة».

فكرت ليوني بمرح أن ابنتها تبدو متمردة أحياناً. لطالما قال فيدال متهكماً في أكثر من مناسبة أن الابنة تشبه والدتها. ألقت ليوني نظرة على الشرفة حيث يجلس الرجال معاً وهم يتناقشون في أمور شتى. بدا من الواضح أن حديثهم ليس بالغ الجدية إذا أخذنا بعين الاعتبار ضحكهم الذي يُسمع من وقت إلى آخر. بدا فيدال الآن وسيماً تماماً كما بدا منذ أربع سنوات فالتركيبة الرائعة لعظام وجهه بقيت غير متأثرة بمرور الزمن، ولم يظهر أي أثر للون الرمادي في شعره الكثيف، كما أن عضلاته ما زالت قوية ومشدودة. أما حبه لزوجته وتوقه إليها فلم يخبوا مقدار ذرة، سألتها حماتها بفضول: «لماذا تبتسمين؟».

أجابت ليوني باللغة البرتغالية الطليقة: «أفكر كيف سارت الأمور كلها بشكل رائع».

لم تقوَ على مقاومة اندفاعها بأن تضيف: «من كان ليظن ذلك منذ أربعة أعوام؟».

أظهرت المرأة الأكبر سناً ابتسامة مترددة، فيما أقرت بشهامة غير اعتيادية: «أنا كنت مخطئة، فأنت أثبتت نفسك بصورة مرضية تماماً».

فكرت ليوني وهي تبتسم في داخلها أن هذا الكلام الصادر من فم حماتها هو مديح من أعلى المستويات! بالطبع، ساعد الطفلان على كسر الجليد. فيكتوريا

سجلت هدفاً فورياً وقد سميت تيمناً بجدتها، وحين وهبت ليوني لفيدال ابناً بالإضافة إلى الإبنة، انهارت الحواجز الأخيرة بينهم. مستقبل امبراطورية آل دوس سانتوس أصبح آمناً لفترة طويلة قادمة بوجود ماركو.

- ذلك يعتمد بالطبع على ما يقرر ماركو نفسه أن يفعله بحياته.

ذلك ما قالته ليوني عندما ذُكِر الأمر للمرة الأولى. فيدال نفسه قاوم الالتزامات المفروضة عليه، لكن موقفه أصبح الآن أكثر ليونة حتى بات يلعب دوراً فعالاً في إدارة الملكية. إنهم يزورون بالاسيو دي ميتشيا هذه الأيام بانتظام حتى في أكثر أيام الشتاء قساوة. أما العلاقات مع بقية العائلة فلانت خلال السنوات الماضية، لاسيما بعد أن وجد روك لنفسه زوجة وانتقل إلى الجانب الآخر من البلاد. نعمت كاترينا بالسعادة في حياتها في الدير، أما الدير نفسه فاستعاد مجده ورونقه بفضل الهبات المالية التي تلقاها من فيدال.

تزوج والد ليوني من شيرلي بعد شهرين من تعارفهما، والآن يتشارك معها في منزل نورثوود. هو ما زال يعمل لدى فيدال، لكنه أصبح في مجلس الإدارة الآن، ويمتلك حصصاً في الشركة. لا يمكن أن يقال إن فيدال وستيوارت مقربان من بعضهما، لكنهما يتفقان بما فيه الكفاية.

كان هو وشيرلي ينويان الحضور إلى هنا اليوم، لكن ابن شيرلي ما زال يتعافى من نوبة حرارة بسبب التهاب لوزتيه، لذا فإن ليوني وفيدال يخططان للسفر إلى لندن ليزورانهما لبضعة أيام.

بعد دقائق وقع ماركو فسقط على قفاه، وأخذ يعترض بنزق على محاولات فيكتوريا مساعدته للوقوف على قدميه. تحولت ضحكاته المكتومة إلى صياح غضب عندما وقفت شقيقته واضعة يديها على وركيها وهي تقول له أن يغرب عنها.

نهضت ليوني وذهبت لتنضم إليهما، فجلست على العشب ثم جذبت ماركو إلى حضنها ووضعتِ ذراعها حول خصر فيكتوريا. سألتهما باللغة البرتغالية: «ما الذي سيقوله جدكما عن هذه الجلبة؟».

ثم أضافت ضاحكة باللغة الإنكليزية: «أذناي ترنّان!».

علقت ابنتها بنبرة متغطرسة باللغة نفسها: «الأذنان لا ترنان، بل تحملان القرطين فقط».

أشار ماركو إلى القرطين الذهبيين الذين تضعهما ليوني وقد عادت إليه طبيعته المشرقة، وقال: «جميلين!».

انفجرت ليوني بالضحك وضمته إلى صدرها، ثم جذبت فيكتوريا حتى تطبع قبلة على رأسها المغطى بالشعر الأحمر المشع. لقد ورثت ابنتها لون الشعر والشبه من والدتها، أما ماركو فبدا من الواضح أنه صورة عن والده. لطالما قال فيدال إن هذا ما يجب أن يحصل.

رفعت ليوني نظرها إلى الأعلى فوجدت فيدال يراقبهم باستمتاع، فيما عبرت الابتسامة المرتسمة على وجهه عن الاحساس بالرضى الذي أحست به هي نفسها. ردت له ليوني الابتسامة. لقد نجح الأمر بأسره، كما أيقنت على الدوام في أعمق أعماقها.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN